
الصامتون يتكلمون
عبد الناصر.. ومذبحة الإخوان

سامي جوهر

الصامتون يتكلمون

غازي

عبد الناصر .. ومذبحة الإخوان

المكتب المصري الحديث

الطبعة الاولى ٢٥ أكتوبر ١٩٧٥
الطبعة الثانية ٥ نوفمبر ١٩٧٥
الطبعة الثالثة ١٥ نوفمبر ١٩٧٥
الطبعة الرابعة ٥ ديسمبر ١٩٧٥
الطبعة الخامسة ٥ يناير ١٩٧٥
الطبعة السادسة ٥ مارس ١٩٧٦

الناشر – المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر
الاسكندرية : ٧ شارع نوبار ت ٢٦٦٠٢
القاهرة : ٢١ شارع شريف ت ٥٣١٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ..

لقد حققت محاولتي المتواضعة في إزاحة الستار عن بعض الأسرار من تاريخ بلادي نجاحاً لم أكن أتوقعه .. ولعل ذلك يعود إلى أن القارئ المصري لم يكن يتوقع أنه سيأتي اليوم الذي يعرف فيه كل الأسرار. وتوضع فيه النقط فوق الحروف .. ويعلم حقيقة سنوات من الهوان عاشها .. لم يكن معتاداً أن يقرأ كلاماً صريحاً .. وواضحاً يكشف النقاب عن بطل زائف .. أو قائد ملهم .. ويزيح الستار عن أبطال حقيقيين استطاعوا أن يقاوموا.

وإن كان هناك فضل لذلك فهو يعود إلى الرئيس محمد أنور السادات الذي أطلق من قيودها .. وترك الحرية لكل قلم أن يكتب باطمئنان .. وفتح أبواب زنزانة التاريخ ليخرج إلى الناس معلناً الحقيقة التي غابت عنهم سنوات وسنوات مع الحرية.

وأثار ظهور الكتاب فرحة في قلب كل مصري وعربي يحب مصر والعروبة ويري ألا تقع بلاده في أخطاء الماضي الكريه.

وأثار ظهوره غضب الذين كانوا يستفيدون من حكم الديكتاتور وحكم الظلام .. وسارعت أقلام تجار الوطنية الانتهازيون تتساءل ((لماذا صمتوا .. ولماذا تكلموا)) .. وكعادة هذه الأقلام كانت تحاول خداع الجماهير برفع شعارات متناسية أن الكتاب يؤكد في كل صفحة من صفحاته أن الثلاثة لم يصمتوا أبداً.. كانوا يتكلمون وقت أن كان تجار الوطنية الانتهازيون لا يتكلمون إلا نفاقاً للحاكم ولا يتحدثون إلا بحمد الدكتاتور .. ولا يصلون إلا لفخامته .. ولا يسجدون إلا لعظمته .. فقد كان الرفيق الأكبر لهم ..

وليس أدل على أن الثلاثة لم يصمتوا أنهم وعائلاتهم تعرضوا للاضطهاد .. وللاعتقال .. ولفرض الحراسات .. وليس أدل على أنهم كانوا يتكلمون أن هذا الكتاب صدر نتيجة أوراق دونها المرحوم رشوان فهمي قبل وفاته عن مواقف بطولة لهم .. ومواقف إيمان بحق الوطن عليهم.

وأثار الكتاب غضب هؤلاء الذين كانوا يستفيدون من حكم الفرد .. هؤلاء الذين كانوا من أسباب نكبة البلاد بوجودهم بجواره .. ينقلون إليه الأكاذيب على أنها حقائق .. ويخفون عنه الحقائق بحجة الحفاظ على صحته.. وسارعوا بتدوين مذكرات حشوها بالأكاذيب والخيال الذي لا يتأتى إلا لمن اعتاد الجلوس تحت سحابات من الدخان الأزرق.

واليوم .. وأنا أقدم الطبعة السادسة أضمنها فصلاً جديداً عن عبد الناصر ومذبحة الإخوان عام 1954 .. بالإضافة إلى حقائق أخرى اكتشفتها بعد صدور الكتاب .. وأسأل الله أن أكون وفقت بمجهودي المتواضع في إزاحة الستار عن جانب من تاريخ بلادي.

القاهرة: مارس 1976 سامي جوهر

الحمد لله

لقد جاء اليوم الذي بدأ يعرف فيه الشعب الحقائق .. وأصبح له كل الحرية في أن يتكلم دون أن يخشى شيئاً..

وإذا كان الرئيس السادات قد فتح أبواب المعتقلات .. وأطلق الحريات للمسجونين .. فهو إلى جانب ذلك فتح الباب ليخرج التاريخ الحقيقي للبلاد من زنزانته التي ظل حبيساً بداخلها 16 عاماً كامله من مارس 1954 إلى سبتمبر 1970 ..

وجاء اليوم الذي أصبح كل من يختزن في قلبه سراً .. وكل من أغلق فمه عن حقيقة .. حراً في أن يكشف السر ويقول الحقيقة دون أن يخشى زوار الفجر أو سماً يدس له في طبق طعام أو كوب عصير إذا كان من الكبار ..

ولولا السادات لما كنت أستطيع أن أفكر في أن أكتب هذا الكتاب لا خوفاً من السجن أو الاعتقال أو التعذيب ولكن لأنني كنت واثقاً أنني لن أرى ما أكتبه في أيدي القراء ..

ولولا السادات لما كان الذين تحدثوا معي يفتحون لي، وأنا الغريب عنهم، قلوبهم ويكشفون عن هذه الأسرار الخطيرة لتصحيح التاريخ ..

والتاريخ دائماً يجد من يزيفه في ظل الحكم الديكتاتوري .. يجد من يتعرض لأحداثه وأشخاصه معتمداً على قلمه وسمعته السابقة.. فيخفى حقائق ويظهر أكاذيب ليعطي صوراً تخالف تماماً الواقع .. يجعل السفاح بطلاً .. ويجعل البطل خائناً أو جباناً أو من الصفات التي لا يقبلها على نفسه أي مواطن فما بالك إذا كان شخصاً عاماً معروفاً للناس وكان له دور في تاريخ بلاده .. ولكن التاريخ عندما يكتب في ظل حكم الحريات يكون دائماً هو التاريخ الحقيقي لأنه يكتب بدون خوف من الحاكم..

وتاريخ مصر لا زال مليئاً بالمجهول .. هناك علامات استفهام كثيرة لأحداث مرت بها بلادنا ولم تكشف كل الحقائق عنها .. وما زال البعض .. ولله الحمد وهم قلة .. يحاولون أن يزيفوا التاريخ وشخصياته التي عاشت بيننا عدة سنوات .. فيصورون شخصاً بأنه

القائد الملهم .. ويصورون غيره بأنه عميل يحاول اغتيال شخصية تاريخية..

والفرق بين القائد الملهم والآخرين .. أن القائد الملهم وجد من يكتب عنه الأكاذيب ويبرر حتى الجرائم التي كان يرتكبها .. بينما الآخرون لم يجدوا من يكتب عنهم بصدق .. أو أنهم لم يمنحوا الفرصة ليقولوا كل شيء وينشروه ليعلمه كل الناس ..

وهذا الكتاب محاولة متواضعة لإزاحة الستار والغموض عن بعض الأحداث التي عاشتها مصر في تاريخها الحديث .. محاولة لإعطاء كل شص قدره الحقيقي وإبراز ملامح صورته الحقيقية .. ليس فيه تجن على شخص معين من الأشخاص .. إنما هو سرد واف للأحداث كما رواها أبطالها الذين شاركوا فيها .. أحداثاً عشناها ومرت بنا وتركت لنا كثيراً من التساؤلات.

وهذا الكتاب كان مفروضاً أن يكون مذكرات المرحوم الدكتور رشوان فهمي نقيب أطباء مصر ثلاث مرات .. وواحد من القلائل المدنيين في مصر الذين كانت تربطهم بأغلب أعضاء مجلس قيادة الثورة وبالضباط الأحرار صداقة متينة .. كانوا يعلمونه بكل شيء .. ويعلم منهم بكل شيء .. عرف بعضهم قبل قيام الثورة .. وعرف أغلبهم بعد قيامها .. وعاش أحداثها كلها .. عرف الكثير من الأسرار وأدق التفاصيل .. وكان يدون في قصاصات من الورق كل ما سمعه ولا يستطيع أن ينشره في ذلك الوقت .. وعندما عادت الحرية للكلمة كاملة فكر في أن يجمع القصاصات ويكتب مذكراته ولكنه مات فجأة وترك القصاصات تروى الكثير من خفايا تاريخ مصر.

وجمعت القصاصات .. لم آخذ ما جاء بها أمراً مسلماً به .. طفت على الأحياء من أعضاء مجلس الثورة .. أسألهم حقيقة ما قرأت في أوراق الدكتور رشوان مما سمعه على ألسنتهم أو دونه من مذكراتهم .. وأقروا بها .. وأعطوا المزيد من التفاصيل ..

وللتاريخ أيضاً.. وللذين قد يقولون لماذا تكلموا الآن وكانوا صامتين .. فإن الثابت من الأوراق والمستندات التي تركها الدكتور رشوان فهمي أنهم لم يتركوا فرصة للتعبير عن آرائهم إلا وانتهزوها لم يتركوا محنة من المحن التي مرت بها البلاد .. إلا وسارعوا وكتبوا وقابلوا المسئول في ذلك الوقت .. وتعرض البعض للاعتقال وتعرض أقارب البعض للتشريد وفرض الحراسة .. ولم يمنعهم ذلك عن الكلام

وإبداء الرأي .. كانت لديهم كل الشجاعة لأن يقولوا آرائهم بصراحة لم يخشوا التلميح لهم بمحاولات مصطنعة لاغتيالهم تقوم بها إسرائيل .. ظلوا يتكلمون .. وما زالوا يتكلمون .. ودافعهم الأول مصلحة مصر .. وأبناء مصر..

وأنني أقدم هذا المجهود المتواضع لأبناء مصر محاولاً كشف الستار عن بعض ما خفي عنهم محاولاً تصحيح بعض ما كتبه غيري وفيه زيف مقرراً أن كل ما جاء به كان على ألسنة أصحابه .. وليسوا كاذبين.

سامي جوهر

- أكتوبر 1975

الباب الأول

- أسرار أزمة مارس 1954
- عبد الناصر يقترح التخلص من محمد نجيب.
- قصة تعيين المشير قائداً عاماً.
- الصراع على السلطة بين نجيب وعبد الناصر.

- عبد اللطيف البغدادي.
- كمال الدين حسين ..
- حسن إبراهيم ..

الثلاثة أعضاء في مجلس قيادة ثورة 23 يوليو .. والثلاثة ابتعدوا عن الأضواء منذ حوالي 10 سنوات .. ظلوا صامتين لا يتحدثون .. لا ينشرون حرفاً عما يعرفونه من الأسرار .. وهو الكثير .. وكانت تجمعهم الثلاثة صداقة وطيدة بالمرحوم الدكتور رشوان فهمي نقيب الأطباء ثلاث مرات وأحد ضحايا حكم الفرد قبل ثورة التصحيح .. كانوا يتحدثون إليه بكل صراحة .. ولا يخفون عنه سراً من أسرارهم. . وكان الرجل يدون أغلب ما يسمعه في ذاكرته ويدون القليل في مذكراته..

ومات الرجل ..

وترك فراغاً كبيراً .. وترك أوراقاً كان يمكن أن تصير مذكرات كاملة لأحداث مرت بالبلاد وعرفت بعض أسرارها .. وبقي أغلب الأسرار في الكتمان .. في الصدور ..

ومن الأحداث التي مرت بالبلاد ولم تعرف كافة تفاصيلها ما أطلق عليه اسم أزمة مارس سنة 1954 .. وصفها الدكتور رشوان فهمي في أوراقه بأنها أزمة تأخرت .. وقنبلة انفجرت بعد موعدها .. قال أنه كان ينصح دائماً بعدم تركيز كل الأضواء على محمد نجيب حتى لا يعشقه الشعب الطيب ويصبح أمر عزله من الأمور الصعبة التي قد تؤدي إلى حرب أهلية بين مختلف طوائف الشعب .. كان يصرح برأيه هذا إلى أصدقائه من رجال الثورة الذين كانوا فاتحوه في تأييدها قبل قيامها وكان في مقدمتهم العقيد عبد الرؤوف نافع الذي كان مسؤولاً عن تأمين تأييد الإسكندرية للثورة عند قيامها. . كان يقول ذلك للبغدادي ولحسن إبراهيم عندما كان يجتمع بهما في كل مرة يزوران فيها الإسكندرية..

وانفجرت الأمة .. وكادت البلاد تتعرض لما أنذر به المرحوم رشوان فهمي .. وكادت أسلحة القوات المسلحة تشتبك في

صراع بينها على السلطة .. وتم السيطرة على الأزمة .. وتم إبعاد محمد نجيب وإقالته بعد ذلك في أكتوبر من نفس العام.

صراع على السلطة:

وللتاريخ .. ذهبت إلى الثلاثة .. حسن إبراهيم، كمال الدين حسين، عبد اللطيف بغدادي أبحث لديهم عن المزيد من التفاصيل..

وتكلم حسن إبراهيم قال:

- تستطيع أن تسمى أزمة مارس 1954 أنها صراع على السلطة .. كان محمد نجيب قائداً للثورة .. أو هكذا كان مفهوماً للناس جميعاً .. لكافة الطبقات .. يتمتع بحب كبير في قلوب أبناء الشعب المصري .. وأحس عبد الناصر بخطورة نجيب .. بدأ يتجاهله .. يدعو إلى جلسات لمجلس الثورة ولا يحضرها محمد نجيب .. وكان محمد نجيب من ناحيته يقوم بتصرفات دون إخطار مسبق لمجلس قيادة الثورة وبدأ الإثنان صراع غريب بالخطب .. عبد الناصر يلقي كلمات تهاجم حكم الفرد والديكتاتورية .. ويرد نجيب بخطاب في منطقة أخرى .. وللتاريخ كان رئيس تنظيم الضباط الأحرار هو جمال عبد الناصر .. ولكنه آثر عدم الكشف عن شخصيته إلا بعد أن استقرت أوضاع الثورة وتم طرد الملك السابق فاروق .. ولكن التنظيم كان برئاسته .. وكان يرفض إلا الرئاسة ومن أجل ذلك تم انتخابه مرتين رئيساً لتنظيم الضباط الأحرار.

ويسرح حسن إبراهيم لحظات وكأنه يستجمع ذكرياته ويستأنف حديثه قائلاً:

- الحقيقة المرحوم جمال عبد الناصر كان يحب الرئاسة .. أنني أتذكر حادثة بسيطة ولكنها بعد سنوات كشفت لي عن حقيقته .. وهي حبه للرئاسة والانفراد بالحكم .. وجميعنا اكتشفنا فيه ذلك ولكن تفاوتت بالنسبة لكل منا الفترة التي اكتشف فيها حقيقة عبد الناصر .. والحادثة كانت مساء يوم 22 يوليو سنة 1952 .. وقبل قيام الثورة بساعات .. كنا مجتمعين وكتبنا خطة التحركات والعمليات .. وحضر زكريا محيي الدين .. وأعطاه عبد الناصر الورقة ليقرأها ويطلع عليها بصفته المسئول عن التحركات .. وقرأها زكريا وقال: كويس على بركة

الله .. ثم وضع الورقة وانصرف .. وهنا التفت إلينا عبد الناصر وقال مستنكراً تصرف زكريا.

عايز يبقى ريس وإلا إيه ؟؟

وحادث آخر .. كان عبد الناصر في بداية الثورة غير معروفاً لكل الناس تقريباً أنه القائد الحقيقي للثورة.. كان الذين ظهروا أمام الناس اثنان فقط .. محمد نجيب بصفته قائد الثورة وهو الذي وقع بيانها الأول .. وأنور السادات الذي أذاع البيان ..

كان عبد الناصر ينظر إلى محمد نجيب على أنه سرق الثورة لنفسه وعمل على خلاف مبادئها . . وكان نجيب لا يريد أن يخضع لوصاية من مجلس الثورة .. ونشأت ما سمى أزمة مارس سنة 1954 وانتهت بتولي عبد الناصر رئاسة الوزارة وبقاء نجيب رئيسا للجمهورية ثم إقالته بعد ذلك في أكتوبر 1954 وتحديد إقامته و .. من الإجراءات التي تم رفعها بعد وفاة عبد الناصر وبدأ نجيب يظهر من جديد..

وروى كمال الدين حسين جانباً آخراً عن أزمة مارس 1954 .. وثورة 23 يوليو .. قال:

- للتاريخ عندما قررنا القيام بالثورة وبدأنا نخطط لها لم يكن يجول في خاطر واحد منا أن يتصدى للحكم .. كنا نريد تصحيح أوضاع والقضاء على فساد استشرى حتى بدأ يشمل قيادات الجيش .. وعندما رسمنا القيام بالثورة كان لابد أن نختار زعيماً لها .. قائداً يعرفه الناس .. فنحن جميعاً أعضاء تنظيم الضباط الأحرار لازلنا شبانا غير معروفين بالمرة باستثناء أنور السادات لسبق اتهامه في عدد من القضايا السياسية..

واجتمعنا نبحث عمن يكون قائد الثورة الذي نقدمه للناس ويقتنعون به.. ورشح المرحوم عبد الحكيم عامر لنا اللواء محمد نجيب وكان عامر أركان حرب له .. وافقنا بالإجماع لأن نجيب كان يمتاز بالشجاعة التامة .. ولنزاهته المطلقة .. ولجاذبيته وحب الضباط له بعد انتخابات نادى الضباط ووقوفه ضد ترشيح السراي اللواء حسين سري عامر ..

واحد فقط اعترض على ترشيح نجيب وهو رشاد مهنا .. وكان

رشاد من المفروض أنه من أعضاء تنظيم الضباط الأحرار .. ونحن الذين رشحناه لعضوية مجلس إدارة النادي .. وبعد الانتخابات جلسنا نفاتحه في الانضمام إلينا .. وكان رشاد سبق اتهامه بتنظيم تشكيل سري داخل الجيش .. وسألنا رشاد عمن سيكون قائد الثورة ولما قلنا أنه نجيب رفض الانضمام إلينا وقال أنه لا يثق فيه .. ثم قدم طلباً بنقله إلى العريش للابتعاد عنا نهائياً .. وفعلاً ابتعد عن اجتماعاتنا إلا أنه ليلة الثورة ساعدها بكل ما لديه من إمكانيات.

وقامت الثورة .. وقدمنا نجيب وأعطيناه كل ما يمكن أن يعطى لإنسان .. عرضنا حياتنا للخطر من أجله .. كنا نتعلق برفارف سيارته لحمايته . . ثم اخترناه رئيساً للجمهورية .. ولا أنسى يوماً دخلنا مكتبه نحيطه بحبنا واحترامنا .. وبكى الرجل متأثراً وهو يردد لنا:

ـ أنا عملت إيه يا أولادي علشان تعملوا كل ده علشاني..

وكنا قد اتفقنا في بداية الثورة وبعد أن فشلت محاولاتنا أن تقوم كل الأحزاب بتطهير نفسها أن نتولى الحكم بأنفسنا لفترة انتقال حددناها بمدة ثلاث سنوات ثم اضطرتنا الظروف أن تمتد سنة أخرى .. إلا أننا فوجئنا بمحمد نجيب يجري اتصالات مع رجال الأحزاب السابقين .. يعقد اجتماعات مع الشيوعيين ومع الإخوان المسلمين .. مع الوفديين ومع السعديين .. كان محمد نجيب في ذلك يعمل لحماية نفسه برجال الأحزاب .. أحسسنا أنه يريد الاستئثار بالسلطة .. وقررنا إبعاده ..

وصمت كمال حسين ثم قال مستدركاً:

ـ نسيت أن أقول لك أنني كنت مكلفاً بكتابة محاضر مجلس الثورة .. كنت في بادئ الأمر أسجل المناقشات كاملة ثم بدأت أكتفي بتحرير ملخص للمناقشات .. وانتهيت إلى الاكتفاء بكتابة القرارات.. وقد ظلت هذه المحاضر في خزائن مجلس الثورة حتى حل مجلس الثورة ولا أعرف مصيرها الآن .. وكنا في بداية مجلس الثورة نتناقش بكل حرية .. كنا كأي مجموعة من الناس عندما نتناقش، تختلف وجهات النظر بيننا .. لم يكن كل واحد منا يفكر أن يسعى إلى سلطة أو مركز .. كان المفروض أن كل واحد فينا يبذل كل جهده لله وللوطن.

وكانت أول استقالة من مجلس قيادة الثورة تقدم بها المرحوم يوسف صديق .. حقيقة أنه دخل مجلس الثورة ليلة الثورة فقط

عندما نجح بقواته في مهاجمة مقر القيادة في كوبري القبة .. إلا أنه في فبراير سنة 1953 قدم استقالته .. وعندما حاولنا إقناعه بالعدول عنها قال:
- أنتم تتحدثون في كلام لا أفهمه..

وبعد يوسف صديق .. وفي سنة 1954 استقال صلاح سالم لفشله في مهمته في السودان .. وأخرج خالد محيي الدين من مجلس الثورة في عام 1954 أيضاً، وكان نجيب قد عينه رئيساً للوزراء ولمدة 24 ساعة فقط.

وكان تحرك سلاح الفرسان قبل أزمة مارس سنة 1954 سبباً في أن يفكر عبد الناصر أن يكون الجيش مسئولاً من شخص واحد فقط .. فقد كان العمل يجري أن كل واحد منا مسئول عن السلاح الذي كان يتبعه .. فمثلاً البغدادي وحسن إبراهيم وجمال سالم كانت مسئوليتهم سلاح الطيران .. وأنا مكلف بسلاح المدفعية .. حسين الشافعي وخالد محيي الدين مسئولان عن سلاح الفرسان .. وهكذا .. ولذلك عرض علينا عبد الناصر في سنة 1953 أن يكون هناك قائد عام للقوات المسلحة يكون مسئولاً أمام مجلس الثورة عن جميع الأسلحة ويتفرغ كل منا إلى ناحية أخرى من شئون البلاد .. ووافقنا على الاقتراح .. وقدم لنا اقتراحه الثاني أن يتولى عبد الحكيم عامر هذه المسئولية ورغم أنه لم يكن هو المناسب لهذا المنصب إلا أننا وافقنا بالإجماع .. فقد كان عبد الحكيم أقربنا إلى قلب عبد الناصر ومن أجل ذلك اختاره لثقته فيه .. ومعارضتنا قد يفسرها تفسيرات شتى نحن في غنى عنها .. منها مثلاً أن من سيعارض سيقال أنه يريد المنصب لنفسه.. وكنا جميعاً نعمل دون النظر إلى منصب معين .. فوافقنا بالإجماع ..

وبعد أزمة مارس 1954 بدأ التفكك في مجلس الثورة .. بدأ عبد الناصر حكمه كرئيس للوزراء ولا يدعو مجلس الثورة بصفة منتظمة.. وقررت أنا وبغدادي أن نستقبل .. واتصلت بعبد الناصر أطلب منه أن يدعو مجلس الثورة للاجتماع .. فاعتذر لسفره إلى الإسكندرية وقال اجتمعوا أنتم.. اتصلت بعبد الحكيم عامر .. وافق على عقد الاجتماع واتصلنا بجمال سالم فوافق على عقد الاجتماع في منزله لمرضه وعدم استطاعته مغادرة المنزل .. وفعلاً عقد الاجتماع في منزل جمال سالم وحضره معي الأخ بغدادي وحسن إبراهيم وعبد الحكيم عامر .. وأثرت الموضوع وعبد الحكيم قال لي: أنت استعجلت يا كمال ..

وظل مجلس الثورة حتى صدر دستور سنة 1956 وطلب منا عبد الناصر في يونيو أن نصدر قراراً بحل المجلس .. ووجدنا أنفسنا مجبرين أن نوافق على رأيه ونترك له الحكم منفرداً .. فقد كان دائماً يشكو من أن مجلس الثورة يقف حائلاً بينه وبين تنفيذ مشروعاته التي يراها لصالح الوطن .. ووجدنا أيضاً أننا إذا رفضنا قرار الحل فإنه سيخرج إلى الناس ويقول عنا أننا متمسكين بالحق الإلهي في حكم البلاد .. وخاصة أن الدستور لم تأت فيه سيرة إلى مجلس الثورة على أساس أن يكون هو القيادة الجماعية للبلد ..

* * *

خطة للتخلص من نجيب:

وينتهي كمال الدين حسين من روايته وهي تكشف جانباً جديداً جديدا من خبايا ثورة 23 يوليو وأزمة مارس 1954 وحل مجلس الثورة .. ويأتي الدور على عبد اللطيف البغدادي ليروي ذكرياته عن تلك السنوات .. واذهب إليه .. والرجل بجانب ذاكرته القوية فهو يحتفظ بمذكرات مستفيضة عن كل حدث صغير أو كبير شارك فيه أو سمع عنه منذ أن أصبح رجلاً عاماً.. تاريخه ليس ملكاً له وحده ولكنه ملك لبلده .. وقال لي أنه اعتاد منذ انضمامه إلى تشكيل الضباط الأحرار وحتى اليوم .. وغداً .. ألا ينام قبل أن يسجل ما صادفه في يومه من أحداث تستحق التسجيل .. إلى جانب تعليق على ما يكون قرأه في الصحف أو الكتب من مقالات أو أحداث تحتاج إلى تصحيح للتاريخ .. يكون كاتبها تعمد الكذب وإخفاء الحقيقة لإرضاء حاكم أو ذكرى حاكم .. وحدثني البغدادي عن أزمة مارس 1954 .. استخدم نفس التعبير الذي ذكره لي حسن إبراهيم أن الأزمة لم تكن في الواقع إلا صراعاً على السلطة بين محمد نجيب وبين جمال عبد الناصر ..

بدأت الأزمة عندما أحس محمد نجيب أن عبد الناصر يتعمد الظهور في مختلف وسائل الإعلام على أنه الرجل الأول في الثورة .. وكان لعبد الناصر عدة طرق في ذلك الوقت منها أن يدعو مجلس الثورة للانعقاد بدون إخطار محمد نجيب الذي يفاجأ في صباح اليوم التالي بقراءة قرارات اتخذها المجلس برئاسة عبد الناصر .. وكان محمد نجيب من جانبه يدلي بالتصاريح المناقضة لأهداف الثورة ويقوم باتصالات برجال الأحزاب .. ومن الطرق التي استخدمها عبد الناصر في مهاجمة نجيب التلميح إلى الحكم الفردي

الديكتاتوري الاستبدادي .. وكان نجيب بطبيعة الحال يرد .. وزاد الأمر واشتد الخلاف بين الإثنين.

وفي يوم 23 فبراير سنة 1954 .. بدأت الأزمة ..

كنا مجتمعين وكان من المقرران يعقد اجتماع لمجلس الثورة .. وعلم محمد نجيب بذلك فحضر إلى مكتبه في مقر القيادة بكوبري القبة .. وكنا جالسين في غرفة عبد الناصر .. نبحث في أمر محمد نجيب بعد أن أصبح مشكلة .. وأثناء جلوسنا حضر إلى الغرفة إسماعيل فريد وقال لنا:

- سيادة اللواء فوق مستنيكم ..

فشتمه جمال سالم هو واللواء .. فخرج مهرولاً ..

وبعد قليل دق جرس التليفون .. وكان المتحدث محمد نجيب ورد على التليفون حسين الشافعي .. وسأله نجيب أن نصعد لعقد الاجتماع في مكتبه فرد عليه حسين الشافعي قائلاً:

- له عددنا ما اكتملش..

وبعد ربع ساعة سمعنا ((البروجي)) ينطلق معلناً خروج محمد نجيب .. وكان الصحفيون في الخارج في انتظار اجتماع مجلس الثورة .. وأوقعنا نجيب بذلك في مأزق .. إذا اجتمعنا بدونه وبعد انصرافه ستنطلق الإشاعات .. وإذا لم نجتمع بعد الإعلان عن الاجتماع ستنطلق الإشاعات .. وإذا لم نجتمع بعد الإعلان عن الاجتماع ستنطلق الإشاعات أيضاً .. وأثناء جلوسنا نبحث الأمر حضر إسماعيل فريد يحمل مظروفاً .. وقدمه لجمال عبد الناصر قائلاً:

- استقالة سيادة اللواء ..

وجلسنا نبحث في المشكلة .. كل منا يقترح .. والوحيد الذي لا يتكلم عبد الناصر .. كانت استقالة نجيب وإعلانها قد يؤدي إلى ثورة داخل البلد نتيجة حب الناس المتزايد له .. وعدم قبولها هو رضوخ لنا لتصرفاته .. ورأي البعض إقالته وإعلان ذلك للناس وأسبابه .. ورأي البعض أن يترك رئاسة الوزارة لجمال عبد الناصر .. ووافقنا على هذا الرأي بالأغلبية واعترض اثنان فقط هما جمال سالم وحسين الشافعي ..

وتركنا عبد الناصر نتناقش ثم قال بصوته الهادئ

- النهارده إيه ؟

واجبنا كلنا:

- 23 فبراير

فقالوا بنفس الصوت الهادئ.
- يوم 23 مارس مش حيبقى فيه نجيب.
وسألناه:
- إزاي .. ؟
فأجاب بهدوء:
- نخلص منه ..
ووجدت نفسي أبكي وأصرخ:
- إزاي واحد مننا نخلص منه ..
وأجاب عبد الناصر بنفس هدوءه:
لأنه أشد إجراما على الثورة من أعدائها .. أنه خان مبادئها.
وتساءل جمال سالم:
لو اكتشف في المستقبل أن المجلس رسم خطة التخلص من نجيب .. إيه حتكون مصير الثورة .. من سيثق في مبادئها.
وقال صلاح سالم:
مش ممكن أوافق على كده .. إن إبعاد محمد نجيب معناه أن الاتحاد مع السودان يضيع إلى الأبد .. فالسودانيون ينظرون إلى نجيب على أنه واحد منهم..
وقلت وأنا لا أزال أبكي:
- أن هناك احتمال ولو واحد في المليون تنكشف الحقيقة .. وعندها ستنتهي الثورة وتنهار كل مبادئها..
وقررنا عقد اجتماع مشترك مع الوزراء لبحث الأزمة. . وفي هذا الاجتماع ظهر رأي كان صاحبه الدكتور عبد الجليل العمري.. فقد ذكر أننا خلقنا الرمز وطلبنا من الناس أن تعبده وتحبه .. ولذلك فمن الصعب أن نفاجئ الناس بهدم هذا الرمز بين يوم وليلة .. واقترح أن يبقى نجيب رمزاً للثورة على أن يبقى الحكم لغيره..
واقتنعنا بهذا الرأي وتركنا إلى عبد الناصر طريقة تحقيقه ..
وفي يوم 25 مارس أعلنا حل مجلس الثورة والعودة إلى الثكنات في يوليو التالي بعد إجراء انتخابات وعودة الحياة الديمقراطية .. وتحرك عمال النقل وأضربوا عن العمل وتم شل الحركة في المدينة تماماً .. ونجحت خطة عبد الناصر .. واكتشفنا بعد ذلك أنه دفع 4 آلاف جنيه إلى الصاوي رئيس نقابة النقل للقيام بتلك الحركة وكنا

نعتقد أنه تحرك تلقائي من جماهير الشعب .. وعندما أخذت على جمال ذلك التصرف قال لي:
ما هو كان لازم ندفع لهم .. لأن خالد محيي الدين ويوسف صديق كانوا حيدفعوا أيضاً لتحقيق غرضهم ..
وكنا اتخذنا قراراً بقبول استقالة محمد نجيب من مجلس الثورة ولكن فوجئنا بعبد الناصر يقرر إعادته للمجلس قائلاً أنه هزم في هذه المعركة وسيعود إلى الصف ولن يخرج عنهم واعترضت على ذلك .. أنا وجمال سالم .. وقدمت استقالتي بعد ذلك من المجلس في يوم 14 أبريل بعد مناقشة حادة وعنيفة بيني وبين جمال عبد الناصر في اجتماع عقد خصيصاً لبحث أسباب التفكك الذي حاق بالمجلس.
ويصمت عبد اللطيف البغدادي لحظات ويقول:
كان دائماً جمال عبد الناصر يفاجئنا بتصرفات يقوم بها بمفرده حتى من قبل قيام الثورة واذكر أنه يوم 9 يناير سنة 1952 أعد خطة لاغتيال حسين سري عامر ولم يكشفها لنا إلا بعد قيامه بتنفيذها مع حسن إبراهيم وكمال رفعت وحسن التهامي .. كان جمال يقود السيارة وترك محركها دائراً بينما كانت مهمة حسن إبراهيم مراقبة الطريق.. أما التنفيذ فقام به كمال رفعت وحسن التهامي بمدافع رشاشة وفشلت الخطة لأن الرصاص أصاب السائق فقط ونجا حسين سري عامر.
وانتهت رواية البغدادي .. وفيما يلي نص الاستقالة التي قدمها يوم 14 أبريل 1954 ..
إخواني .. أعضاء مجلس قيادة الثورة..
أتقدم إليكم كقضائي لأنه لا يملك أحد بمفرده أن يتصرف في أمري فالأمر أمركم أنتم .. وأقول .. أنه قد تبين لي في جلسة 11 أبريل 1954 أنكم كلكم رسل إلا أنا فبشر .. ولاحظت أن سكوتكم ولم يعترض أحد منكم، أي أن ما كان يلمسه أحدكم كنتم جميعاً تلمسونه وإذا كانت هذه حقيقة فيحق لكم أن لا يتواجد هذا البشر بينكم كما أنني لا أنكر عليكم أنني أخذت أبحث عن تلك الرواسب التي في نفسي وأحللها لأتبين حقيقة أمري ونفسي ولأعمل على علاجها ما استطعت، ولأحاول أن أعود إلى زمرتكم وقلت لنفسي: تذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين .. وفشلت في ماضي يوم قيام الثورة حتى الآن وقلت لنفسي.
- هل سعيت يوماً وراء السلطة والسلطان؟

- وهل وقفت يوماً موقفاً معيباً من أعضاء هذا المجلس؟

- وهل سعيت يوماً وراء القوة وحاولت تركيز السلطة ونقلها بين يدي لتأتي الناس إلى تسعى لأنهم يحبون القوة ويخشونها طالما تتحكم في لقمة عيشهم؟

- وهل انحرفت عن مبادئ الثورة ومثلها التي اعتنقتها من قبل قيامها.

- وهل لمت أحد لأنه يتدخل في اختصاصاتي وسمحت لنفسي بهذا التدخل؟

أو سعيت إليه؟

- وهل كنت سبباً في إيجاد خلاف أو انقسام داخل هذا المجلس

كلا يا إخواني .. والله بحثت وفتشت لم أجد ما يمس كل هذه المبادئ ولكنني وجدت نفساً طاهرة نقية عيبها أنها تكره الطغيان والاستبداد.

تعلمت الحرية واعتنقتها فآمنت بحرية الرأي .. والفكر والاستقلال في إبداء الرأي مهما كانت النتائج.

تعلمت الصراحة فكانت سبباً في شقائي وتعب الآخرين مني .. وهناك ضمير يحاسب تلك النفس على ما تقوله أو تفعله .. وهي تعلم أن هناك قاضياً سيحاسبها في يوم من الأيام ولكنه ليس بقاض سياسي وإنما هو قاضي التاريخ الذي يسعى دائماً وراء الحقيقة وهو الذي يظهرها ويكشفها للناس مهما طال عليها الأمد .. هذا القاضي ستقفون أمامه في يوم من الأيام لا مفر من ذلك.

وكان هناك رادع آخر بجانب ضميري أعمل له ألف حساب هو ذلك القاضي العادل .. قاضي التاريخ.

وإذا كانت يا إخواني الصراحة في القول وحرية الرأي والفكر، ومقاومة الطغيان والخوف من هذا القاضي الذي لا يحابي أحداً .. كل هذه رواسب يجب إزالتها .. فأقول لكم أنه لا يمكنني أن أزيل تلك الرواسب من نفسي لأنها قد امتزجت بي وامتزجت بها وأصبح من العسير الفصل بيننا.

ولكن لما كنت أضع مصلحة الوطن فوق كل اعتبار . .لذا أترك لكم حرية التصرف في أمري واستحلفكم بالله أن تتوخوا الصدق والأمانة عندما تبررون تصرفكم معي، ولا تذكروا إلا الحقائق وإلا فستقتلون أنفسكم بأيديكم، فالحقائق لابد لها أن تظهر في يوم من الأيام، واليوم لكم وغداً عليكم.

والله ولي التوفيق ...

14 أبريل 1954 عبد اللطيف البغدادي

حقيقة الأزمة:

وبداية أزمة مارس 1954 أحس بها الشعب لأول مرة يوم 25 فبراير سنة 1954 ، استيقظ الشعب في ذلك الصباح على باعة الصحف تنادي استقالة محمد نجيب .. عبد الناصر رئيس الوزارة وبلغت مبيعات الصحف في ذلك اليوم أرقاماً خيالية..

لقد نشرت الصحف بيان مجلس قيادة الثورة وتضمن قبول الاستقالة المقدمة من محمد نجيب من رئاسة الجمهورية ورياسة الوزارة ومن جميع الوظائف التي يشغلها .. وهي الاستقالة التي بعث بها للمجلس يوم 23 فبراير .. وجاء في البيان أن مجلس قيادة الثورة قرر أن يستمر بقيادة البكباشي جمال عبد الناصر رئيساً لمجلس الوزراء على أن يبقى منصب رئيس الجمهورية شاغراً إلى أني تم شغله بالانتخابات بعد عودة الحياة النيابية.

وذكر البيان أن اللواء محمد نجيب طلب أن يكون له حق الاعتراض على أي قرار يجمع عليه أعضاء مجلس الثورة وطلب أن يباشر سلطة تعيين الوزراء وعزلهم وسلطة الموافقة على ترقية الضباط، أي أنه طالب بسلطة فردية مطلقة وأن المجلس حاول بكافة الطرق الممكنة طوال الشهور العشر الماضية إقناعه بالرجوع عن طلبه هذا الذي يعود بالبلاد إلى حكم الفرد المطلق ولكنه عجز عن إقناعه عجزاً تاماً وتوالت اعتكافاته بين وقت وآخر حتى يجبر المجلس على الموافقة على طلباته إلى أن وضع المجلس منذ أيام ثلاثة أمام أمر واقع مقدماً استقالته.

وفي نفس اليوم التالي تم تحديد إقامة محمد نجيب في منزله بالزيتون، وعقد صالح سالم مؤتمراً صحفياً أعلن فيه أن أعضاء مجلس الثورة كانوا قد قرروا الانسحاب من الحكم وتركه لنجيب وأنهم أرسلوا إلى وحدات الجيش هذا القرار، إلا أن الضباط ما إن علموا بهذا القرار حتى أرسلوا مبعوثين مصرين على أن يحيد أعضاء المجلس عن هذا القرار.

وبدأت تصريحات متتالية كل يوم تقريباً للصاغ صلاح سالم تبرر أسباب قبول المجلس استقالة نجيب .. أخذ يردد في كل مجال وعلى صفحات الصحف ما يشير إلى أن محمد نجيب أراد أن يحكم البلاد بمفرده عن طريق السيطرة الكاملة على مجلس الثورة.. وكان يضرب أمثلة على ذلك منها أنه طلب ألا يقابل أ] فرد منا سفيراً من سفراء الدول الأجنبية، ولما ناقشناه في ذلك

رفض المناقشة ثم تقدم بحل وسط وهو أن يمتنع عن مقابلة أي سفير ونمتنع نحن بدورنا عن مقابلاتهم ونترك هذه المهمة لوزير الخارجية .. ورفضنا اقتراحه .. ومن الأمثلة التي كان يسوقها صلاح سالم للتشهير بنجيب أنه كان يستدعي رجال الإذاعة ويأمرهم بتكرار إذاعة خطبه مرات ومرات حتى نشرة الأخبار لم يكن يسمح بقراءتها إلا بعد أن يدون بنفسه أخبار اتصالاته وزياراته ومقابلاته وما يريد ويحذف ما لا يريد من الأخبار.

ونشر صلاح سالم أنه اضطر إزاء تصرفات نجيب مع الإذاعة وتضارب أوامره مع ما كان يصدره لموظفي الإذاعة، بصفته مديراً للإذاعة خلال شهري أكوبر ونوفمبر 1953، إلى أن يتوجه إلى السجن الحربي وكان مقره وقتئذ في ميدان باب الحديد – رمسيس حالياً – وأدخل نفسه زنزانة حتى جاءه حسين ذو الفقار صبري وبعض زملائه وأخرجوه من السجن لمعاودة مباشرة نشاطه.

وقال صلاح سالم أن ضباط الجيش حضروا إليهم في مجلس الثورة وهددوهم بقتل نجيب وإعادتهم لمباشرة سلطاتهم في حكم البلاد .. ولذلك فهم بين أمرين .. أما الخضوع لرغبات نجيب وترك الحكم له أو الخضوع لرغبات ضباط الجيش ..

وكان هذا أخطر ما قاله صلاح سالم .. فقد كان يعني قيام حرب أهلية طرفاها الشعب الذي خرج في مظاهرات صاخبة عنيفة يطالب ببقاء نجيب .. والجيش الذي ادعى صلاح سالم أن ضباطه هددوا بقتل نجيب.

واستمرت المظاهرات يومين .. وفي الساعة السادسة والنصف من مساء يوم 27 فبراير سنة 1954 أذيع بيان من مجلس الثورة نصه: حفظاً على وحدة الأمة يعلن مجلس قيادة الثورة عودة الرئيس اللواء محمد نجيب رئيساً للجمهورية وقد وافق سيادته على ذلك ..

وفي اليوم التالي خرجت المظاهرات العنيفة التي هددت بتكرار حادث حريق القاهرة تعلن ابتهاجها بعودة نجيب، ورغم استخدام قوات الأمن الرصاص في تفريق المتظاهرين إلا أنهم استمروا في مسيرتهم حتى ميدان عابدين يحملون قمصاناً ملوثة بالدماء انتزعوها من فوق أجسام ضحايا البوليس ولم يتفرقوا إلا بعد أن ألقى فيهم محمد نجيب كلمة تطمئنهم إلى عودة الحياة النيابية...

وكانت خلال ذلك اليومين قد جرت اجتماعات مستمرة ومحاولات لإعادة محمد نجيب حتى يعود الهدوء إلى البلاد .. ثم تم الاتفاق أن يعود نجيب رئيساً للجمهورية ويبقى عبد الناصر رئيساً لمجلس الثورة ومجلس الوزراء.

ولكن الحالة في البلاد لم تهدأ .. استمرت المظاهرات تؤيد محمد نجيب .. وحدثت اشتباكات بين المتظاهرين ورجال الأمن وسقط عدد من الجرحى وقبض على عدد قيل أنهم من مدبري هذه المظاهرات .. وسافر نجيب إلى السودان يوم أول مارس وعاد بعد 24 ساعة ليذيع بياناً محاولاً تهدئة النفوس معلناً أنه ومجلس الثورة قلباً واحداً ويداً واحدة.

وساد الهدوء أياماً قليلة لا تتجاوز الأسبوع .. ولكن داخل النفوس كانت هناك ثورة .. محمد نجيب أحس بحب الشعب له وتمسكه به .. أحس بعودته أنه أصبح بعيداً عن الحكم وأن كل السلطات في يد عبد الناصر .. وبدا بأزمة أخرى .. وباستقالة أخرى .. كان يصر على تحديد سلطات رئيس الجمهورية وسلطات مجلس الثورة وأعضاء مجلس الوزراء ويرأسه نجيب .. وتحدد موعد الاجتماع يوم الإثنين 8 مارس.

واجتمع أعضاء المجلسين ولم يحضر محمد نجيب .. واتصل به سليمان حافظ في منزله يبلغه بانتظار الجميع وصوله .. وقال له أنه سيحضر ..

ووصل نجيب .. وصافح الجميع .. وسادت فترة من الصمت وفجأة قال جمال عبد الناصر ..

أنا متنازل عن كل شيء في سبيل وحدة الوطن .. لقد ضحينا بحياتنا من أجل بلادنا في وقت من الأوقات لتنجح الثورة وأن من واجبي لهذه الثورة أن أتنازل عن أي سلطة أسندت إلي .. ولهذا فأنا أعلن تنازلي عن رئاسة الوزارة ورياسة الثورة للواء محمد نجيب ..

وقام نجيب وعانق عبد الناصر وتقرر أن تعود الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل أزمة استقالة نجيب.

وبدأ الحديث عن إقامة جمعية تأسيسية تضع الدستور وتجري الانتخابات النيابية لتشكيل البرلمان الذي ينتخب أعضاءه رئيس الجمهورية على أن يتم كل ذلك في يوليو من نفس العام

.. وبدا الإعلان عن التفكير في إقامة الحزب الاشتراكي الجمهوري وأن يرأسه نجيب ويكون سكرتيره عبد الناصر وسيدخل أعضاء الحزب الانتخابات البرلمانية .. وتمهيداً لكل ذلك تم رفع الرقابة عن الصحف .. إلا أنها أعيدت بعد 24 ساعة من رفعها على جريدة القاهرة المسائية لنشرها نبأ غير صادق تضمن الإفراج عن رشاد مهنا وكان قد حوكم لاتهامه بتدبير مؤامرة ضد محمد نجيب.

واستعدت البلاد كلها لعودة الحياة النيابية والأحزاب .. وفجأة .. في يوم 22 مارس أعلن مجلس قيادة الثورة عدوله نهائياً عن فكرة إنشاء ((الحزب الجمهوري)) وأعلن محمد نجيب أن الجمعية التأسيسية سيتم قيامها قبل 23 يوليو وأن الأحكام العرفية ستلغى قبل 18 يوليو وأنه سيتم الإفراج عن المعتقلين إلا من صدرت ضدهم أحكام قضائية..

وأثارت تصريحات نجيب أزمة جديدة .. وفي 24 مارس بدأت بوادرها تظهر .. فقد امتنع جمال عبد الناصر وصلاح سالم عن حضور اجتماع مجلس الوزراء وتقرر عقد مؤتمر لأعضاء مجلس الثورة ومجلس الوزراء في اليوم التالي ..

وفي يوم 25 مارس اجتمع مجلس الثورة .. ودارست مناقشات عنيفة .. وانتهى المجلس إلى اتخاذ 6 قرارات هي:

- السماح بقيام الأحزاب.
- المجلس لا يؤلف حزباً.
- عدم حرمان مواطن من الحقوق السياسية حتى لا يكون هناك تأثير على حرية الانتخابات.
- يجري انتخاب الجمعية التأسيسية انتخاباً حراً ومباشراً دون أن يعين أي فرد وتكون لها سلطة القيادة والسيادة وسلطة البرلمان كاملة.
- حل مجلس الثورة يوم 24 يوليو باعتبار أن الثورة انتهت وتسلم لممثلي الأمة الشرعيين.
- تنتخب الجمعية التأسيسية رئيساً للجمهورية بمجرد انعقادها وكان هذا ما يريده محمد نجيب .. واعتكف عبد الناصر في منزله وبدأت الأزمة تنفجر وتوقفت الحياة تماماً في مدينة القاهرة يوم 27 مارس بعد أن قام عمال النقل بإضرابهم مطالبين باستمرار مجلس قيادة الثورة في مباشرة سلطاته وعدم

السماح بقيام أحزاب ومعارضة إجراء أي انتخاب حتى يتم جلاء المستعمر ... كما قامت مظاهرات صاخبة تعترض على تلك القرارات وتطالب ببقاء المجلس وكانت تردد هتافات موحدة هي: - لا تتخلى عنا يا جمال – إلى القتال يا جمال – لا حزبية ولا انتخابات ..

واستمرت الفوضى تعم البلاد ثلاثة أيام وكان آخر ما قام به المتظاهرون هو الهجوم على مبنى مجلس الدولة والاعتداء على الدكتور عبد الرازق السنهوري رئيس المجلس على أساس أنه هو الذي أعد قرارات إجراء الانتخابات وتشكيل الجمعية التأسيسية وسيتولى رئاسة الوزارة .. وفي يوم 29 مارس اجتمع مجلس الثورة وقرر العدول عن قراراته السابقة ... والبقاء في الحكم حتى يتم الجلاء ..

وانتصر عبد الناصر على نجيب في هذه المرة .. وكان ثمن انتصاره 4 آلاف جنيه دفعها إلى صاوي أحمد صاوي رئيس اتحاد عمال النقل ..

الباب الثاني

* قسم على المصحف والمسدس.
* أحرار من غرز الحشيش.
* لقاء مع قادة الإخوان.
* قراءة الفاتحـة.
* الإخوان وهيئة التحرير.
* مفاوضات الإخوان والإنجليز.
* الصراع الثالث مع الإخوان.
* محاولة اغتيال عبد الناصر.
* محاكمات الإخوان.
* محاكمة بدون محامين.
* صور ومهازل من المحاكمة.
* قصة إعفاء محمد نجيب.
* محاولة مدبرة!.

عبد الناصر ومذبحة الإخوان

قسم على المصحف والمسدس:

انتهت أزمة مارس بإعلان مجلس قيادة الثورة عدوله عن القرارات التي سبق أن أعلنها بعودة الحياة النيابية والسماح بقيام الأحزاب وحل مجلس الثور يوم 24 يوليو .. وكان ذلك هو المخطط الذي رسمه عبد الناصر بنفسه دون أن يشرك فيه أحداً من زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة .. أراد كرجل صعيدي تجري في عروقه عادة الثأر أن يأخذ بثأره من محمد نجيب وممن عاونوه في شهر فبراير واضطر أن يعيده إلى رئاسة الجمهورية ثم رئاسة مجلس الثورة ومجلس الوزراء بعد أيام تحت ضغط المظاهرات العنيفة.

وبدأ عبد الناصر بعد الأزمة مباشرة يخطط للتخلص نهائياً من محمد نجيب وكذلك من جماعة الإخوان المسلمين التي لم ينس عبد الناصر أنها كانت تقف وراء محمد نجيب عندما قدم استقالته وأنها هي التي حركت المظاهرات تطالب ببقائه .. رغم أن نفس الجماعة كانت تؤيده هو كل التأييد قبل قيام الثورة .. وبعد قيامها أنه كان عضواً في جهازها السري ..

وعلاقة .. أو عضوية عبد الناصر بجماعة الإخوان المسلمين كانت حقيقة وإن كان هو حاول إنكارها بعد ذلك ..

وذهبت إلى كمال الدين حسين أسأله عن تلك الحقيقة .. هل كانت الثورة عند قيامها إخوانية .. هل كان عبد الناصر حقيقة عضواً في الجهاز السري للإخوان أيام الشهيد حسن البنا .. وهو الجهاز الذي نسب إليه اغتيال النقراشي باشا والخازندار ووضع قنبلة في مبنى محكمة مصر بباب الخلق..

وصمت كمال الدين حسين .. وبدا يستجمع شريطاً من الذكريات عن الأيام الأولى للنضال والكفاح .. ثم قال:

- عندما تخرجنا من الكلية الحربية وكنا شباباً مليئاً بالحماسة

والوطنية .. وبدأت مجموعات منا في كل سلاح تتجمع وتناقش الأوضاع في البلاد .. مجموعات ليس هناك ما يربطها .. وكنت أقيم في حي السيدة زينب .. وكان يقيم في نفس الحي الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف وتوطدت العلاقات بيني وبينه .. وكان من الشباب الثائر . وعضواً بأحد التنظيمات السرية في الجيش التي كانت تقوم بنشاط ضد قوات الاحتلال.

وتوطدت علاقتي بعبد المنعم عبد الرؤوف .. كنا نتحدث في كل شيء .. وقد اصطحبني في أحد الأيام إلى منزل جمال عبد الناصر، وكان عند تقاطع شارع أحمد سعيد بشارع الملكة نازلي – رمسيس حالياً – كانت تلك أول مرة ألتقي فيها بعبد الناصر .. وكانت كذلك أول مرة ألتقي فيها بالمرحوم الصاغ محمود لبيب الذي كان موجوداً .. والمرحوم الصاغ محمود لبيب كان وكيلاً لجماعة الإخوان المسلمين وكان بمثابة حلقة الاتصال بين الضباط الوطنيين في الجيش وفي الطيران .. وبين جماعة الإخوان المسلمين.

وتكررت لقاءاتي مع عبد الناصر ومحمود لبيب وعبد المنعم عبد الرؤوف .. وكان ذلك قبل حرب فلسطين بعامين أو ثلاثة .. ولم تكن حتى ذلك الوقت مدونين في سجلات الإخوان المسلمين كأعضاء .. وإن كنا أقسمنا على المصحف والمسدس في منزل المرحوم عبد الرحمن السندي الذي كان رئيساً للجهاز السري للإخوان أيام المرحوم حسن البنا ثم عزله المرشد الهضيبي بعد ذلك .. أقسمنا أن نعمل على إقامة شرع الله في البلاد[1].

وجاءت حرب فلسطين عام 1948 وتطوعت للعمل مع الفدائيين برئاسة المرحوم البطل أحمد عبد العزيز وكان المرحوم حسن البنا مرشد الإخوان يقوم بإعداد الفدائيين للتطوع بالعمل الفدائي في فلسطين.

ووقعت اتفاقية الهدنة في فبراير عام 1949. . وصدر قرار بحل جماعة الإخوان المسلمين فتوقفت اتصالاتنا بجماعة الإخوان

---

[1] (وهم القسم الذي أشار إليه كمال الدين حسين في رسالته إلى عبد الحكيم عامر المنشورة ضمن محتويات الباب الخامس من هذا الكتاب . وقال قادة الإخوان أن من كان يقسم هذا القسم يصبح عضواً في الجهاز السري).

المسلمين ثم أعيدت للعمل وبدأ نشاط كان محوره عبد الناصر بعد وفاة المرحوم الصاغ محمود لبيب الذي كنا نعتبره الأب الروحي لنا ..

وكانت لجنة القيادة في هذه الفترة مكونة من جمال عبد الناصر وعبد المنعم عبد الرؤوف من المشاة وحسن إبراهيم عن الطيران وأنا عن المدفعية وخالد محيي الدين عن الفرسان .. ثم انفصل عبد المنعم عبد الرؤوف وانضم عبد الحكيم عامر من المشاة وصلاح سالم من المدفعية وعبد اللطيف البغدادي من الطيران وبعد فترة انضم جمال سالم عن الطريان أيضاً وأنور السادات عن الإشارة وكان آخر من انضموا زكريا وحسين الشافعي وعبد المنعم أمين ويوسف صديق وذلك يوم 15 أغسطس سنة 1952 للدور الذي ساهما به ليلة الثورة ..

واقترح جمال بعد ذلك أن تبقى الحركة داخل الجيش غير مرتبطة بالإخوان المسلمين .. وإن كانت استمرت صلاتنا بهم حتى قيام الثورة .. وإلى ما بعدها .. وبدأ عبد الناصر يشرف على تشكيل الخلايا في جميع وحدات الجيش .. واتفقنا ألا ينضم أحد إلى التنظيم إلا إذا كان معروفاً عنه التمسك بالمبادئ والأهداف..

* * *

أحرار من غرز الحشيش:

ويبتسم كمال الدين حسين ويقول وعلى ملامحه علامات الأسى:

كان هدفنا أن يكون جميع الضباط الأحرار من المشهود لهم بمتانة الخلق. . ولكننا فوجئنا بعد قيام الثورة أن عبد الناصر ضم إلى الخلايا عدداً من الضباط المعروفين بسوء الخلق والانتهازية .. وصارحت عبد الناصر برأي زملائي ضباط سلاح المدفعية في نوعية هذه الفئة من الضباط الذين ضمهم إلى التشكيل .. فأجابني ضاحكاً:

- أنا كنت مضطر أجمع أي عدد من المندفعين والمغامرين .. ودول أنا جبتهم من غرز الحشيش والبارات.

وللأسف كان هؤلاء الضباط هم أول من أساء إلى الثورة بتصرفاتهم وتهافتهم على تحقيق المكاسب المادية لأنفسهم .. وللأسف أيضاً أن بعضهم يحاول اليوم أن يوهم الناس بأنه كان من أخلص المخلصين إلى الرئيس السابق عبد الناصر بينما كان يستغل صلته

بالرئيس السابق لتحقيق المكاسب المادية وتكوين الثروات من المال الحرام..

ويستأنف كمال الدين حسين حديث الذكريات مع الإخوان المسلمين فيقول:

وقامت الثورة فجر يوم 23 يوليو .. وفي صباح اليوم السابق ذهبت أنا وجمال عبد الناصر إلى لقاء عدد من زعماء الإخوان في منزل كان يقيم به صالح أبو رفيق واجتمعنا به وبالإخوة صالح أبو رفيق والمرحوم منير دله والمرحوم حسن العشماوي وفريد عبد الخالق وعبد القادر حلمي وأبلغناهم بقرب موعد قيام الثورة كما اتفقنا معهم على قيام الثورة كما اتفقنا معهم على قيام مجموعة من متطوعي الإخوان المسلمين بحماية طريق السويس لاحتمال تحرك القوات البريطانية لضرب الثورة.

واختتم كمال الدين حسين كلامه قائلاً:

واستمرت علاقة الثورة بالإخوان المسلمين .. وكان عبد الناصر يكلفني بالاتصال بهم، وبعد ذلك أصبح يكلف صلاح سالم .. ثم بدأت العلاقات تقف .. والخلافات تقع حتى حدثت محاولة اغتيال عبد الناصر في أكتوبر سنة 1954 وتمت محاكمة الإخوان وأعضاء الجهاز السري بعد أن كشفت التحقيقات التي كان يطلعنا عليها عبد الناصر أنهم كانا يريدون السيطرة على الحكم.

* * *

لقاء مع قادة الإخوان:

انتهى حديث كمال الدين حسين عن علاقة الثورة بالإخوان المسلمين .. ومن أجل تحقيق التاريخ كان لابد من الاستماع إلى تاريخ علاقة عبد الناصر بالإخوان المسلمين يرويه بعض قادة الإخوان المسلمين الذين بقوا على قيد الحياة وأفلتوا من حبل المشنقة..

وأول هؤلاء القادة هو لواء شرطة بالمعاش صلاح شادي .. وهو من القلائل الذين كانت تربطهم بعبد الناصر علاقة وثيقة قبل وبعد قيام الثورة .. قبل الثورة عندما كان يعد لها عبد الناصر بمعاونة الإخوان المسلمين .. وبعد الثورة عندما كان يستند إلى تأبيدهم .. وقد صدر ضده حكم بالإعدام من محكمة الشعب أيام محاكمات

الجهاز السري للإخوان عام 1954 وخفف الحكم إلى المؤبد ليبقى على قيد الحياة يكشف أسرار اتصالات عبد الناصر بالإخوان وقد كان صلاح شادي وقتها برتبة صاغ- رائد – ومسئولاً عن تنظيمات الإخوان المسلمين داخل جميع القوات النظامية لنشر الدعوة الإسلامية.

وثاني هؤلاء القادة هو صالح أبو رقيق المستشار بالجامعة العربية حالياً .. وكان هو الآخر تربطه بعبد الناصر علاقة وثيقة جداً استمرت حتى صدر ضده الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة واستطاع أن يتحمل سنوات السجن ليبقى شاهداً حياً للتاريخ.

والثالث هو فريد عبد الخالق وكيل وزارة الثقافة سابقاً وصدر ضده حكم بالأشغال الشاقة.. وكان من القلائل الذين يتحدثون بصراحة مع جمال عبد الناصر ..

وجمعتني بالثلاثة عدة جلسات يروون فيها ذكريات مضى عليها أكثر من ربع قرن .. وكان أول المتحدثين هو اللواء متقاعد صلاح شادي وكان حديثه عن أول لقاء له مع عبد الناصر في عام 1949 .. قال:

- في أواخر عام 1949 خلف حسين سرى باشا – إبراهيم عبد الهادي في رئاسة الوزارة وأصدر قراراً بعودة جماعة الإخوان المسلمين .. وحضر ي ضابط بوليس من القنطرة هو اليوزباشي- وقتئذ-عبد الفتاح غنيم لزيارتي وأبلغني برغبة المرحوم الصاغ – وقتئذ – صلاح سالم في اللقاء معي .. فرحبت .. وتم اللقاء وحدثني صلاح سالم عن رغبة تشكيل الضباط الذي كان منضماً للإخوان المسلمين قبل قرار حلها بإعادة العلاقات مع الجماعة .. فأعلنته ترحيبنا بذلك ما دام الهدف واحداً وهو خدمة الوطن والالتزام بشرع الله نظاماً وطرد المستعمر، فوعدني أن يقابلني في موعد آخر بالمسئول عن تنظيمهم.

وفعلاً تحدد الموعد والتقينا في مكتب المرحوم محمد العشماوي- باشا- وحضر في هذا اللقاء جمال عبد الناصر بصفته المسئول عن تنظيم ضباط الجيش.

وكنت ألقاه لأول مرة .. وإن كنت سبق أن سمعت باسمه من المرحوم محمود لبيب الذي كان وكيلاً لجماعة الإخوان على أنه أحد أعضاء تشكيل الإخوان في الجيش هو والبكباشي عبد المنعم عبد

الرؤوف .. وهو التشكيل الذي عرف بعد ذلك باسم تشكيل الضباط الأحرار .. وكان محمود لبيب هو الذي اختار لهم هذا الاسم حتى يبتعد تنظيمهم عن أعين الحكومة إذا عرف أنه تشكيل مرتبط بجماعة الإخوان ..

وتحدثنا طويلاً في ذلك اللقاء .. وكان رأي عبد الناصر أن عبد الرحمن السندي غير مقنع للضباط وأنه لا يستطيع أن يجمع ضباط الجيش على الفكرة الإسلامية، وتحدثت معه على أن أهدافنا جعل الإسلام هو النظام الحاكم ..

وتكررت لقاءاتنا. وبدأ التعاون بيننا في كل شيء .. حتى كان صلاح سالم يشتري لنا أسلحة من العريش للكفاح المسلح في حرب القنال، وأذكر أنه بعد قيام الثورة أعاد لنا صلاح سالم مائتي جنيه دفعها للمرحوم عبد القادر عودة ثمن أسلحة لم يكن أتم شراءها ..

واتفقنا مع جمال عبد الناصر أن يقوم أحد الضباط من تنظيمه بتدريب الشباب من الإخوان على استخدام الأسلحة .. فاختار الصاغ – وقتئذ-مجدي حسنين وكان ضابطاً في مدرسة الأسلحة الخفيفة بثكنات الجيش في العباسية.

وفي يوم 26 يناير 1952 .. يوم حريق القاهرة .. جاءنا جمال عبد الناصر مذعوراً وطلب منا البحث عن مكان لإخفاء أسلحة فيه كان يخفيها في مدرسة الأسلحة الخفيفة عند مجدي حسنين، وأنه يخشى أن السلطات تقوم بتفتيش المدرسة فتعثر عليها ..

وفي الحال تم الاتفاق .. وقام الإخوان المرحومين منير الدلة وحسن العشماوي وعبد القادر حلمي المستشار حالياً بالكويت وصالح أبو رقيق المستشار بالجامعة العربية بالتوجه بسياراتهم إلى بوابة 6 حيث كان ينتظرهم مجدي حسنين وقاموا بنقل الأسلحة داخل سياراتهم إلى منزل عبد القادر حلمي في أول شارع الهرم .. وفي المساء حضر جمال عبد الناصر ونصح بنقل الأسلحة إلى الريف فوقع الاختيار على عزبة حسن العشماوي في الشرقية .. ورسم جمال عبد الناصر بنفسه كيفية تشييد مخزن السلاح وطلب أن يكون تحت الأرض بمسافة ثلاثة أمتار وتغطى جدرانه بمادة الإسبتيوس العازلة من الحريق والرطوبة.

ويبتسم صلاح شادي في أسى وهو يتذكر الماضي القريب ويقول:

- وحفرنا المخزن أسفل جراج في العزبة .. ولم يكن يعرف مكانه سواي أنا والمرحوم حسن العشماوي والمرحوم منير الدلة وصالح أبو رقيق وعبد القادر حلمي .. وطبعاً جمال عبد الناصر وبقيت الأسلحة بالمخزن .. وعندما قامت الثورة وفي إحدى جلساتنا مع عبد الناصر سألناه عما إذا كان يريد الأسلحة فطلب أن تبقى في مكانها.

وتأزمت العلاقة بين عبد الناصر وبين جماعة الإخوان بعد رفضهم الاشتراك في الوزارة ورفضهم دخول هيئة التحرير واعتقال عدد من الإخوان ثم صدر قرار بحل جماعة الإخوان في يناير سنة 1954 .. وفجأة .. وبدون أية مقدمات .. هبط الوحي على محافظ الشرقية وأخبره أن أسفل جراج عزبة العشماوي كنز .. فجمع العمال وتوجهوا إلى العزبة وقاموا بالحفر .. وبطبيعة الحال عثروا على الأسلحة .. وكان حسن عشماوي مقبوضاً عليه في ذلك الوقت .. ونشرت الصحف صورته وسط أكوام الأسلحة .. التي كان يعرف مكانها عبد الناصر .. ولم يقدم حسن العشماوي للمحاكمة.. وأفرج عنه بعد ذلك في مارس 1954 .. وكان سبب عدم تقديمه للمحاكمة بسيط .. فعندما توجه إليه وكيل النيابة في السجن الحربي لسؤاله عن سر احتفاظه بهذه الأسلحة أجابه:

- أرجو أن تبلغ عبد الناصر .. هل أجيب أم أصمت؟! وخرج وكيل النيابة ولمي عد ثانية. وأفرج بعدها عن العشماوي.

وقد استطعت الحصول على جانب من مذكرات المرحوم حسن العشماوي وهو الذي يتعلق بهذه الواقعة التي حدثت بعد صدور قرار حل الإخوان المسلمين في يناير عام 1954 واعتقاله. . قال في مذكراته:

- لم ينقض يومان على قراءتي قرار حل الإخوان وبيان مجلس الثورة، حتى استدعاني ضابط وقادني تحت الحراسة إلى مكتب مدير السجن حيث وجدت أحد زملائي وكلاء النيابة العامة جالساً مجلس المحقق وبدأ بسؤالي عن اسمي ومهنتي دون توجيه يمين مما يشير إلى كوني متهماً ثم وجه إلى أول سؤال في التحقيق:

- هل تملك مزرعة في مديرية الشرقية؟

وتجلى في ذهني بوضوح ما وراء هذا السؤال وأيقنت أن عبد الناصر الذي أباح- لنفسه أن يقول في قرار الحل ما قال – ينوي أن يؤاخذني بالأسلحة الموجودة في مزرعة أهلي والتي أنقذت بإخفائها رقبته وزملاءه بعد حريق القاهرة والتي عرضت عليه أكثر من مرة أن يستردها فكان يبدي اطمئنانه إلى وجودها عندي للحاجة وفهمت عند سماع سؤال المحقق لماذا كان يسألني عن مكان مزرعتي كل من يستلمني من ضباط المباحث والمخابرات العسكرية بعد أن سلمت نفسي منذ ثلاثة أيام مضت ولم أكن أدري بعد أن التمثيلية تم إخراجها وأن الجرائد نشرت في الصباح خبر ضبط ترسانة أسلحة ومتفجرات في مزرعتي تكفي لإحراق القاهرة.

وأجبت على السؤال بما معناه:

- لا .. أنا لا أملك مزرعة على الإطلاق ولكن لعائلتي مزرعة في الإبراهيمية مركز ههيا مديرية الشرقية. وبالمناسبة لقد خبأت فيها – بغير علم من أهلي أو سكانها كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر والمتفجرات مملوكة للبكباشي جمال عبد الناصر ولست على استعداد لبيان مكانها أو الظروف التي تسلمتها فيها إلا إذا أذن هو شخصياً بذلك.

ولم يكن بعد ذلك مجال لسؤال أو جواب وعدت إلى زنزانتي ورجع لتحقق بالتحقيق الذي علمت أنه أرسل إلى مجلس الوزراء ثم صدر قرار من النائب العام بحفظه وأعلن عبد الناصر أن للسلاح الذي ضبط بمزرعتي وضعاً خاصاً فلن تطبق عليه قوانين العقاب ومع ذلك حوكمت بعد سنة بتهمة إحراز هذه الأسلحة ولعلها التهمة الوحيدة التي صدر على حكم بالإدانة من أجلها.

وكان هذا التحقيق الموجز فرصة للإذن لي بورق وقلم وكتب بدعوى الاستعانة بها على تحضير دفاعي واستنفذت من الكتب لأقطع بها الساعات الطوال في أيام متعاقبة ولكني لم أحاول أن أحضر أي دفاع ولا شك أن قصة السلاح وكانت معروفة بين كثير من الضباط جعلت لي بينهم مكانة معينة فحاولوا معاملتي على أحسن صورة اعتذاراً منهم على ما بدر من رئيسهم نحوي.

ومرت الأيام .. لا أحد يسألنا، ولا أحد يحقق معنا. ولا يعكر

صفونا شيء إلا الشعور بأننا سجناء ولكن أحد ضباط السجن لم يعدم وسيلة يوماً لإظهار بطشه حين جرت يوماً مناقشة بينه وبين أحد الإخوان فغضب وأصدر أمره بإغلاق الأبواب علينا وأوقف حرساً بالسلاح والذخيرة الحية ليشرف على ذهابنا إلى دورة المياه خمس دقائق كل أربع وعشرين ساعة .. ولكن هذا التكدير (كما يسمونه في السجن) لم يستمر أكثر من يومين ..

ورؤى أن ينقل بعضنا إلى السجن رقم 1 بجوار الإدارة واختير لذلك مجموعة مع المرشد العام، وكنت أنا منهم وكانت زنزانتي رقم 13، وكانت فرصة رأيت فيها الكثير من الضباط الساخطين على عبد الناصر ومن حوله، جاءوا لزيارتي والاتفاق معي على عمل ضده ولم أكن من الغفلة بحيث أعطيهم اسماً واحداً خارج السجن ليتصلوا به، إنني لا أدري إلى الآن إن كان هؤلاء الذين اتصلوا بي مخلصين في خلافهم مع عبد الناصر. أم عاملين لحسابه .. ولكنني أعلم أن أغلبهم لا يزال يشغل مناصب حساسة في حكم عبد الناصر ولذلك حبست نفسي عن ذكر أسمائهم حماية لهم ومن يدري لعلهم لا يزالون ينتظرون الفرصة للإطاحة به وبحكمه أو ربما كانوا من أخلص أعوانه حاولوا استدراجي لحسابه .. وأياً كانوا ((فقد خرجوا بلا شيء)).

ويكمل صلاح شادي حديثه قائلاً:

- استمرت الاتصالات بين عبد الناصر وبيني قبل قيام الثورة وقبل الثورة بأيام جاءني وأبلغني أنه يفكر في التعجيل بالقيام بالثورة لوجود عدد كاف من الضباط المنضمين لتنظيمه في القاهرة .. وأنه يمكنه بواسطتهم عمل حاجة .. وطلب أن نعقد جلسة للتشاور .. فحددت له لقاء في شقة عبد القادر حلمي أحد الأعضاء البارزين بالجماعة وعضو مكتب الإرشاد .. وقد صدر الحكم عليه بالمؤبد هو الآخر.

قراءة الفاتحة:

ويلتقط صالح أبو رقيق المستشار بالجامعة العربية الحديث ليكمله:

- كان ذلك قبل قيام الثورة بليلتين .. حضر جمال عبد الناصر ومعه كمال الدين حسين إلى شقة عبد القادر حلمي وهي في الطابق الثاني بالمنزل الذي كنت أقيم به في أول شارع الهرم بالقرب من جامع سيدي نصر الدين..

ويسرح مع ذكرياته ويقول:
- لقد شهد هذا المنزل كثيراً من الأحداث .. إنني كنت أقيم بالطابق الأول منه وعبد القادر في الطابق الثاني .. وقد أخفينا فيه حسين توفيق عن أعين البوليس أياماً بعد اتهامه باغتيال أمين عثمان .. وهي القضية التي اتهم فيها الرئيس أنور السادات أيضاً.

وفي هذا المنزل تكررت اجتماعات عبد الناصر ورجال الثورة مع الإخوان المسلمين بعد الثورة.

جاءنا عبد الناصر وكمال الدين حسين واجتمعا بنا .. صلاح شادي وأنا والمرحوم حسن العشماوي وفريد عبد الخالق وعبد القادر حلمي .. وأبلغنا اعتزامه القيام بالثورة خلال أيام فطلبنا منه الانتظار لحين استطلاع رأي المرشد فطلب استطلاع رأيه أيضاً في أن يتولى الإخوان الحكم بعد نجاح الثورة .. وكان المرشد في ذلك الوقت موجوداً بالإسكندرية .. ولكنه ألح لمعرفة رأيه بسرعة معلناً أنه سيؤجل الحركة يوماً لهذا الغرض .. وفعلاً سافرت مع حسن العشماوي وعبد القادر حلمي وفريد عبد الخالق إلى الإسكندرية وقابلنا المرشد فطلب منا إبلاغ جمال عبد الناصر موافقته وتأييده وحمايته للثورة كما طلب إبلاغه أنه ليس من المصلحة أن تظهر للثورة علاقة بالإخوان حتى لا يتدخل الإنجليز لمقاومتها واقترحت أن يتولى الحكم على ماهر – باشا – على أساس أنه غير حزبي وكان رئيساً للوزارة وقت وفاة الملك فؤاد واستطاع أن يقود البلاد وتطمئن له جميع الجهات.

وعدنا إلى القاهرة واتصل صلاح شادي بعبد الناصر ودعاه للحضور إلى شقة عبد القادر حلمي في صباح اليوم التالي .. يوم 22 يوليو .. وجاء عبد الناصر ومعه كمال الدين حسين وأبلغناه الرسالة.

ويقول صلاح شادي مكملاً الواقعة:

وقبل أن ينصرف جمال عبد الناصر انتحيت به جانباً وطلبت أن يقرأ معي الفاتحة أن تكون الحركة لله ولإقامة شرع الله .. فقرأها معي .. وتعانقنا وانصرف ..

وقامت الثورة .. وفي الساعة الثالثة من صباح يوم 23 يوليو

جاءني حسن العشماوي وأبلغني أن جمال عبد الناصر اتصل به تليفونيا لعدم وجود تليفون بمنزلي وطلب منه أن يحضر لي ليكلفني بالذهاب إلى منزله لإبلاغ أسرته أن كل شيء تم بنجاح .. وفعلاً ذهبت في سيارة حسن إلى منزل عبد الناصر بكوبري القبة.. وكانت السيدة زوجته وشقيقة عز العرب على ما أعتقد يطلان من الشرفة في قلق .. فنقلت لهما رسالة عبد الناصر وانصرفت.

ويستأنف صالح أبو رقيق حديثه عن الأيام الأولى للثورة:

ونجحت الثورة .. وقام رجال الإخوان بحراسة المرافق ليلة الثورة .. وفي الأيام التالية اتصل كمال الدين حسين بصلاح شادي وأبلغه أن قوات بريطانية ستتحرك من السويس إلى القاهرة .. فأرسلنا مجموعة من الفدائيين إلى الكيلو 96 لعرقلة تقدم الإنجليز .. وظلوا يحرسون الطريق عدة أيام.

وتم أول لقاء بين عبد الناصر والمرشد حسن الهضيبي يوم 28 يوليو .. حضر عبد الناصر إلى منزلي حيث كان ينتظره المرشد وعبد القادر حلمي وحسن عشماوي وصلاح شادي .. وقال لي عبد الناصر ونحن نصعد درجات السلم.

- أنا خايف على الأولاد من نشوة النصر ..

ووجدتني أقول له بسرعة:

- نصر إيه .. ده لسه المشوار طويل .. عايزين ننظف البلد ونطهرها من الفساد وتقوم المشروعات.

وعندما وصلنا .. ودخل عبد الناصر وصافح الهضيبي فوجئت به يقول للمرشد:

- قد يقال لك أن إحنا اتفقنا على شيء .. احنا لم نتفق على شيء .. وكانت مفاجأة.. فقد كان اتفاقنا أن تكون الحركة إسلامية ولإقامة شرع الله واستمرت المقابلة في مناقشات أنهاها المرشد بقوله لجمال عبد الناصر.

- اسمع يا جمال .. ما حصلش اتفاق .. وسنعتبركم حركة إصلاحية.. إن أحسنتم فأنتم تحسنون للبلد وإن أخطأتم فسنوجه لكم النصيحة بما يرضى الله .. وانصرف جمال . وقال لنا المرشد وكأنه كان يستطلع الغيب:

- الراجل ده مفهش خير ويجب الاحتراس منه..

وكانت قد شكلت الوزارة برئاسة علي ماهر كما اقترحنا ولكن بعد شهور جاءنا عبد الناصر يشكو من على ماهر ومماطلته في إصدار قوانين الإصلاح الزراعي .. وسأل المرشد عمن يتولى الحكم بعده .. وكان رأينا أي شخص صالح ..

ويضيف صلاح شادي قائلاً:

وتم تشكيل وزارة برئاسة نجيب .. وطلب منا جمال عبد الناصر الاشتراك في الوزارة .. استدعاني أنا وحسن وكان يوسف صديق حاضراً .. وفاجأنا بقوله:

- أنا عايز ثلاثة من الإخوان يدخلوا الوزارة ..

فرد يوسف صديق:

- احنا حنخليها فقهاء ..

فقال له حسن عشماوي:

- مالهم الفقهاء .. ماله واحد زي الشيخ الباقوري بغض النظر عن الموضوع..

وقال عبد الناصر:

- أنا كنت اقترحت أنك تدخل الوزارة – والكلام كان موجهاً لحسن عشماوي – أنت ومشير الدلة ولكن الزملاء معترضين لصغر سنكم .. واحنا عايزين ترشحوا لنا اثنين أو ثلاثة..

وذهبنا إلى المرشد ..واجتمع مكتب الإرشاد واتخذ قراراً بعدم الاشتراك في الوزارة بعد مناقشات طويلة .. فقد رأى البعض أن اشتراكنا في الوزارة سيجعلنا مبصرين بكل الخطوات التي تقوم بها لحكومة .. ولكن المرشد كان له رأي آخر وهو أنه لو حدثت أخطاء من الحكومة فإنها ستلقي على الإخوان فضلاً عن أن رسالة الإخوان كما كان يراها المكتب في تلك الآونة هي عدم الزج بأنفسهم في الحكم ..

وأبلغنا جمال عبد الناصر بقرار المكتب، فطلب من المرشد أن يرشح له أشخاصاً آخرين من غير الإخوان، فرشح له أحمد حسن وزكي شرف ومحمد كمال الديب .. إلا أن عبد الناصر اختار أحمد حسن فقط كوزير للعدل واستطاع الاتصال بالشيخ أحمد حسن الباقوري وكان عضواً بمكتب الإرشاد وأقنعه بالخروج

على قرار المكتب وقبول الوزارة كوزير للأوقاف . فقبل ..
ويستطرد صلاح شادي مكملاً الرواية قائلاً:
- واتصل بي كمال الدين حسين وطلب مني محاولة إقناع أعضاء مكتب الإرشاد بقبول دخول الشيخ الباقوري الوزارة حتى لا يحدث صدع بين الحكومة والإخوان .. فذهبت إلى مقر الجمعية لإبلاغ المرشد بحديث كمال الدين حسين لي فوجدته في حالة ثورة على صالح أبو رقيق لأنه أبلغه أن الشيخ الباقوري في مقر قيادة الثورة ليحلف يمين الوزارة .. وكان المرشد لا يريد أن يصدق أن الباقوري خالف قرار المكتب .. وبعد ساعة أذيع تشكيل الوزارة وخرج المرشد إلى منزله .. وعند خروجه قابله الصحفيون.
وسألوه:هل عرضت عليكم الوزارة؟
فأجاب: لقد عرضت علينا واعتذرنا .. واغضب هذا التصريح جمال عبد الناصر. ويكمل صالح أبو رقيق روايته نقلاً مما سمعه عن المرشد فقال:
جلس المرشد في صالون منزله حزبنا لخروج الباقوري عن إجماع مكتب الإرشاد .. وقرب منتصف الليل وصل الشيخ الباقوري إلى منزل المرشد وصافحه وقبل يده وقال:
- أنا تصرفت .. وأتحمل نتيجة تصرفي . وأنا مستعد أن أستقبل من مكتب الإرشاد..
ورد الهضيبي:
- ليه؟..
وقال الباقوري:
- ومن الهيئة التأسيسية.
ورد الهضيبي:
- وليه؟!.
وقال الباقوري:
- ومن جماعة الإخوان المسلمين.
ورد الهضيبي:
- هكذا يجب.
وطلب الشيخ الباقوري ورقة وكتب استقالته من جماعة الإخوان المسلمين .. وانصرف..

وفي صباح اليوم التالي توجه المرشد إليه في مكتبه بوزارة الأوقاف مهنئاً له فقال له الباقوري:

- أعذرني يا مولاي .. أنها شهوة نفس.

فرد المرشد:

- تمتع بها كما تشاء .. اشبع بها.

* * *

الإخوان .. وهيئة التحرير:

وكان هذا أول صدام بين عبد الناصر وبين جماعة الإخوان المسلمين .. أراد عبد الناصر شيئاً .. وكان يعتقد أنه إذا أراد فيجب أن يُطاع .. أراد أن يدخل الإخوان الوزارة .. وقال له مكتب الإرشاد ((لا)).. الكلمة التي كانت تثيره دائماً .. ولكن استمرت العلاقات فاترة بين عبد الناصر وبين الإخوان .. بدأ الطرفان ينظران إلى تصرفات الطرف الآخر بكل حذر .. ثم جاء الصدام الثاني .. أو كلمة ((لا)) الثانية التي قالها الإخوان لعبد الناصر..

ويقول صلاح شادي:

في أحد الأيام في أوائل عام 1953 اتصل بي جمال عبد الناصر وقال لي:

- يا صلاح .. أنا باعت لك إبراهيم الطحاوي وسيحدثك في موضوع هام وعايز رأيك ورأي جماعة الإخوان فيه.

وفعلاً جاءني إبراهيم الطحاوي وقال لي أن الرئيس السابق عبد الناصر يريد من جماعة الإخوان أن تنصهر داخل هيئة التحرير ويصبحا تنظيماً واحداً.

وقلت له .. مش ممكن .. أن معنى هذا القضاء على جماعة الإخوان .. وهيئة التحرير ما هي إلا حزب سياسي ونحن جماعة دينية.

وفوجئت به يقول لي:

- ما هو الرئيس عايزك تمسك هيئة التحرير.

وأجبته: أنني لا أبحث عن مصلحة شخصية .. ولكن من الخطأ أن تطلب منا ذلك.

وانصرف إبراهيم الطحاوي .. وبطبيعة الحال أبلغ الرسالة

إلى عبد الناصر الذي طلب أن يعقد معنا جلسة عمل في منزل عبد القادر حلمي .. المنزل الذي شهد كثيراً من الاجتماعات.

وحضر جمال عبد الناصر ومعه عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين والمرحوم عبد الحكيم عامر وأحمد أنور الذي كان وقتئذ قائداً للبوليس الحربي .. وكان يحضر هذا اللقاء من جماعة الإخوان أنا وصالح أبو رقيق وفريد عبد الخالق وبطبيعة الحال عبد القادر حلمي الذي دعانا لتناول الغداء .. وبعد أن انتهينا منه جلس عبد الناصر يتحدث عن هيئة التحرير وعن رغبته أن تنصهر داخلها جماعة الإخوان المسلمين لتكون تنظيماً قوياً.

ويلتقط صالح أبو رقيق خيط الحديث من صلاح شادي ليكمله قائلاً:

رددت على جمال .. قلت له .. شوف يا جمال .. الحكومة أياً كانت ما دامت في الحكم وأرادت تكوين حزب فمصيره الفشل .. سيولد الحزب ميتاً .. لأن الذين سينضمون إلى عضويته ويسارعون إليها هم أعداؤها قبل أنصارها وذلك خوفاً منها .. وعندك تجربة إسماعيل صدقي باشا في سنة 1930 خير دليل على ذلك .. فعندما تولى الحكم شكل حزب الشعب وزور الانتخابات ونجح مرشحوه .. ولما خرج من الحكم انتهى حزب الشعب وتلاشى..

وضحك جمال وقال بخبث:

- أنتم عصاة.

فناداه فريد عبد الخالق أن يجلس إلى جواره على أريكة جانب غرفة الصالون ودار بين الإثنين حديث يستطيع فريد أن يقول لك تفصيلاً .. وقال لي فريد:

- قلت له .. يا جمال أنني أرى الجو ينذر بصدام ليس من مصلحة أحد في البلد أن يقع .. وكنت بذلك أشير إلى رغبته في أن تنصهر جماعة الإخوان داخل هيئة التحرير وكذلك لعدة مواقف اعتبرناها عدائية وكانت مظاهرها حذف الرقابة جميع بيانات الجماعة وعدم نشرها بالصحف.

فأجابني:

- أعملكم إيه .. ما أنتم عصاه ..

وتعجبت لرده وقلت له مستنكراً:

- عصاة.. دي كلمة كبيرة يا جمال .. عصاة ليه .. هل نحن نقف موقفاً عدائياً من الأهداف الوطنية للثورة ومصلحة البلد .. إننا نريد تحقيق الديمقراطية وعودة الحياة النيابية.

فأجابني بسرعة:

- ما أنتم كده بتحرجوني .. طالبين انتخابات حرة .. يعني عايزين النحاس باشا يرجع تاني وتعود نفس الأوضاع .. أنا باقولكم ادخلوا هيئة التحرير وتولوا أنتم أمرها وتصبح هي مسرح نشاطكم .. وأنتم بترفضوا .. عايزين إيه أمال ؟

فقلت له:

- **اسمع يا جمال .. احنا بنصارحك .. الديمقراطية لابديل لها** .. وأنت يجب أن تكون عندك الثقة من أن الشعب سيتمسك بك ولن يرضى عنك بديلاً .. أما أن تتشكك في ذلك فهذا أمر غريب فعلاً .. لماذا تتشكك؟.

أما بالنسبة لدخولنا هيئة التحرير فليس هناك تعارض من أن تقود أنت التنظيم السياسي عن طريق هيئة التحرير ونبقى نحن كدعاة للتربية الإسلامية .. أما رأيك أن تندمج الجماعة مع هيئة التحرير فهذا بالضبط أشبه بمن يضع زيتاً وماء في زجاجة ويحاول أن يمزجهما ببعض .. مش ممكن أبداً يمتزجان .. ومن الأفضل للإسلام وللبلد ولك أن نبقى بعيدين عن السياسة ومؤيدين لك كحركة إسلامية .. والتزام الحكمة وضبط النفس ممكن أن يكون جسراً لنعبر من فوقه الأزمة، وليس من هدفنا نهائياً أن ننافسك في الحكم فنحن لا نريد الحكم .. ولذلك لا أرى أي سبب للتصادم وعدم تقبل النصيحة وخاصة أن المرشد قال لك عند بدء الخلاف بالحرف الواحد ((يا جمال عندما تشعر بضيق من الإخوان أبلغني وأنا أسلم لك مفتاح المركز العام ونقفلها حتى لا نقع أية فتنة.

وصمت جمال للحظات .. وأحسست أنه لا يجد ما يرد به ... وفجأة تكلم ليكشف لي بما في داخل نفسه قال:

- اسمع يا فريد .. أقولك اللي في نفسي واخلص .. أنا عندي

فكرة مستولية على ولا أعرف إذا كانت غلط والا صح .. إنما أنا عايز في خلال سنتين تلاتة أوصل إلى أني أضغط على زر .. البلد تتحرك زي ما أنا عايز .. واضغط على زر .. البلد تقف.

فضحكت وقلت له:

- احنا بقالنا 27 سنة بنعمل لتربية نشء من المسلمين يفهم الإسلام فهماً متكاملاً ويعمل على هدى منه .. ولا نستطيع أن نقول رغم ذلك أننا بلغنا درجة أن احنا نقدر نجمع الإخوان في لحظة وتفرقهم في لحظة .. اسمع يا جمال .. أنت بتفكر وكأنك ضابط في معسكر .. يصدر الأمر فينفذ في الحال .. لكن تغيير مسار المجتمعات لا يمكن أن يتم إلا في جو من الحرية والديمقراطية يسمحان بازدهار المفاهيم الصحيحة والقيم السليمة.

فأصر على رأيه قائلاً:

- الحقيقة ده اللي سيطر على تفكيري..

فأتممت حديثي معه قائلاً:

- إذا كان كده .. فلا فائدة من نصيحتي أو نصيحة غيري وهذا شيء مؤسف جداً.. والذي سيحكم لك أو عليك هو التاريخ.

وانتهى بذلك حديثنا .. وانصرف جمال مع إخوانه .. وبقينا نتناقش ونضحك من رغبته أن يضغط على زر فتتحرك البلد كما يريد .. ويضغط على زرار فتقف البلد .. كنا نعتقد أنه يحلم .. ولكنه استطاع فعلاً أن يحقق الحلم بعد ذلك..

* * *

مفاوضات الإخوان والإنجليز:

وفي فبراير سنة 1953 بدأ الحديث عن إجراء مفاوضات مع الإنجليز للجلاء عن مصر .. ولعب الإخوان المسلمون دوراً في هذه المفاوضات شرحه لي صالح أبو رقيق .. واستغله عبد الناصر بعد ذلك في التشهير بالإخوان واتهامهم بالعمالة والتعاون مع الإنجليز..

قال لي صالح أبو رقيق:

في شهر فبراير سنة 1953 جاءني المرحوم الدكتور محمد سالم وأبلغني برغبة السفارة البريطانية أن يلتقي بعض المسئولين من جماعة الإخوان بمستر إيفانز المستشار الشرقي بالسفارة البريطانية

لاستطلاع رأي جماعة الإخوان فيما يرتضونه لنجاح مفاوضات الجلاء التي ستبدأ مع الحكومة .. وكان الإنجليز يعلمون موقف الإخوان ودفعهم بالشباب لمحاربة القوات البريطانية في منطقة القنال في حرب عصابات.

وأبلغت المرشد المرحوم حسن الهضيبي بذلك وبعد مناقشات ودراسة أمسك بسماعة التليفون واتصل بعبد الناصر الذي رحب بذلك أشد ترحيب وطلب أن يطلع على نتائج هذه المحادثات .. وانتدبني المرشد أنا والمرحوم منير دلة للاتصال بإيفانز .. وفعلاً اجتمعنا به وعدت للهضيبي أنقل له صورة كاملة عما دار بيننا من حوار .. فطلب مني أن أكتب تقريراً مفصلاً وتسليمه له في اليوم التالي .. وعدت إلى منزلي وكتبت التقرير وسلمته للمرشد في اليوم التالي فاتصل تليفونيا بعبد الناصر الذي سارع إلى منزل الهضيبي وقال بالحرف الواحد بعد أن قرأ التقرير:

- كويس .. ده انتم استطعتم الوصول إلى حاجات لم يكن من الممكن أن نوصل لها ..

وكان إيفانز ينتظر رداً على عروضه من المرشد بنفسه .. فأبلغ المرشد رغبة إيفانز لعبد الناصر الذي طلب منه مقابلته ..

وفعلاً تمت مقابلة المرشد بإيفانز يوم 9 فبراير في منزل المرشد وبعد أن خرج إيفانز اتصل المرشد مباشرة بعبد الناصر وأبلغه في مقابلة تمت بعد ذلك في منزل المرحوم منير دلة كل تفاصيل المقابلة .. وتوقفت بعد ذلك اتصالات إيفانز بالإخوان بعد أن بدأت المباحثات الرسمية التي تعثرت أكثر من مرة .. حتى انتهت بتوقيع الاتفاق النهائي في شهر سبتمبر عام 1954.

ويضحك صالح أبو رقيق في ألم ويقول:

- ومن الغريب أنه عندما اشتد الخلاف بين عبد الناصر والإخوان بعد ذلك أخذ يشهر بهم على أساس أنهم كانوا يتصلون بالإنجليز بدون علمه (!!) وأبدوا تنازلات مما جعل موقفه محرجاً خلال المحادثات .. وجند لادعائه هذا كل الصحف وأغلب الأقلام الصحفية .. وصدقه الناس بطبيعة الحال .. ولم يعلن أبداً أنه كان على علم بهذه الاتصالات وأنها تمت بموافقته وبتشجيع منه .. تماماً كما فعل مع الأستاذ مصطفى أمين بعد ذلك بـ 12 عاماً عندما كلفه بمعاودة الاتصال برجال السفارة الأمريكية ثم

قدمه للمحاكمة أمام محكمة الدجوى بتهمة التجسس .. وكان يكفي لتبرئة مصطفى أمين أن يقول عبد الناصر أن تلك الاتصالات كانت بأمره كما قرر ذلك مصطفى أمين .. إلا أن عبد الناصر بعث خطاباً إلى المحكمة ينفي تكليفه مصطفى أمين بذلك .. وكشف التاريخ بعد ذلك أن مصطفى أمين كان صادقاً .. باعتراف عبد الناصر نفسه إلى محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان سابقاً والدكتور فائق السمرائي سفير العراق في القاهرة سابقاً.

* * *

الصراع الثالث:

ويسترسل صالح أبو رقيق في الحديث عن الصراع الثالث بين عبد الناصر والإخوان فيقول:

في أواخر عام 1953 اشتد الخلاف بين الإخوان وعبد الناصر .. كان الإخوان يطالبون بعودة الحياة الديمقراطية للبلاد وتحديد موعد لإعلان الدستور .. وحاول عبد الناصر أن يستقطب بعض أعضاء مكتب الإرشاد للوقوف ضد المرشد حسن الهضيبي وعندما فشل أصدر مجلس الثورة قراراً في 12 يناير سنة 1954 بحل جماعة الإخوان المسلمين وكان المرشد يرى أن الثورة لم تنفذ الأحكام الإسلامية المتفق عليها .. واستدعى عبد الناصر الشيخ محمد فرغلي عضو مكتب الإرشاد وأراد إقناعه أن مصير الثورة والإخوان واحد من الأهداف واحدة وأنه يجب أن يقف الإخوان وراء الثورة .. وأن المرشد حسن الهضيبي يريد أن يفرض رأيه على الثورة وأن التعاون معه أصبح مستحيلاً.

ونقل الشيخ فرغلي حديث عبد الناصر لبقية زملائه أعضاء مكتب الإرشاد وأحسوا جميعاً أنه يريد أحداث فرقة بينهم فازدادوا تماسكاً. ولم يهمهم قرار الحل.

وبدا عدة محاولات لتشويه الإخوان المسلمين .. وكانت المحاولة الأولى إعلان اكتشاف مخزن الأسلحة في عزبة حسن العشماوي .. وكانت المحاولة الثنية اتفاقه مع عبد الرحمن السندي رئيسي الجهاز السري وكان الهضيبي قد عزله بعد أن أعلن أن لا سرية في الدعوة .. وعين بدلا منه يوسف طلعت .. اتفق عبد الناصر مع السندي على أن يقوم بعض معاونيه باحتلال مبني الإخوان المسلمين لإرغام المرشد على الاستقالة .. وفشلت المحاولة وزاد الإخان تمسكاً بمرشدهم.

ثم وقعت أحداث فبراير عام 1954 بعد إعلان قبول استقالة محمد نجيب .. وخرجت المظاهرات تطالب نجيب بالبقاء وكان من المعروف أنها من تدبير جماعة الإخوان المسلمين .. وشهدت القاهرة أعنف المظاهرات واضطر عبد الناصر إلى إعادة نجيب. . وفي يوم 28 فبراير خرجت المظاهرات فرحة بعودة نجيب واتجهت إلى ميدان الجمهورية .. وحاول البوليس فض المظاهرات فأصيب عدد من المواطنين .. وحمل المتظاهرون قمصان المصابين ملوثة بدمائهم وتوجهوا إلى قصر عابدين .. وخرج إليهم محمد نجيب محاولاً دفعهم للانصراف.. ولم يتحركوا .. ولمح بينهم عبد القادر عودة فدعاه إلى الشرفة لإلقاء خطاب لفض المتظاهرين .. وصعد عودة ووقف بجوار محمد نجيب الذي أعلن أنه سينشيء الجمعية التأسيسية وسيعيد الحياة النيابية .. وانصرفت المظاهرات .. وقد جاء في خطاب نجيب ما يلي بالنص:

((أننا قد قررنا أن تكون الجمهورية جمهورية برلمانية على أساس هو أن نبدأ فوراً بتأليف جمعية تأسيسية تمثل كافة هيئات الشعب المختلفة لتؤدي وظيفة البرلمان مؤقتاً وتراجع نصوص الدستور بعد أن يتم وضعها وبعد ذلك تعود الحياة النيابية إلى البلاد في مدى أقصاه نهاية فترة الانتقال وهذا أمر اتفقنا عليه .. ونحن عند وعدنا الذي قطعناه على أنفسنا من أننا لم نقم إلا لإعادة الدستور على أساس سليم في نهاية فترة الانتقال.

واختتم نجيب كلمته قائلاً:

نحمد الله سبحانه وتعالى مرة أخرى على أننا اجتزنا هذا الامتحان القاسي بنجاح وأؤكد لكم مرة أخرى أني لا أطمع في حكم أو سلطة أو جاه وإنما أطمع فقط في أن أؤدي واجبي وأن تزهق روحي في سبيل بلادي وتحريرها وفي سبل اتحاد أبنائها والسلام عليكم ورحمة الله".

وكانت تلك الكلمة سبباً في انصراف المتظاهرين .. وفي نفس الوقت أثارت ثائرة عبد الناصر ضد الإخوان المسلمين .. فقد همس لعبد الناصر معاونوه أن الذي أوحى لنجيب بذلك الكلام هو المرحوم عبد القادر عودة أحد أقطاب الإخوان المسلمين الذي كان يقف إلى جوار نجيب في شرفة قصر عابدين.

ومرت ثلاثة أيام .. وفي يوم 2 مارس قامت سلطات البوليس الحربي باعتقال 118 شخصاً بينهم 45 من الإخوان المسلمين، 20

من الاشتراكيين وخمسة وفديين و4 شيوعيين بادعاء أنهم كانوا يدبرون لإحداث فتنة بالبلاد مستغلين فرحة الشعب بعوده نجيب .. وكان في مقدمه المقبوض عليهم مرشد الإخوان المسلمين الشيخ حسن الهضيبي وعبد القادر عوده وصالح أبو رقيق وأحمد حسين زعيم الاشتراكيين.

وتعرض رجال الإخوان المسلمين لأبشع عمليات التعذيب داخل السجن الحربي، وفي يوم 8 مارس سنة 1954 بعث عمر عمر نقيب المحامين برسالة إلى محمد نجيب وكانت قد عادت له كل السلطات يطلب فيها التحقيق في وقائع تعذيب المحامين من المعتقلين هم أحمد حسين وعبد القادر عودة وعمر التلمسياني.

وأمر نجيب بالتحقيق فوراً .. ولم يبدأ التحقيق إلا بعد مرور 10 أيام بسؤال الثلاثة .. وأكدوا جميعاً أن الضابط محمد عبد الرحمن نصير كان يشرف على عمليات التعذيب وكان يشترك في ضربهم بنفسه .. واستطاع المرشد أن يهرب رسالة من سجنه نشرت في جريدة المصري وكان نصها:

أما بعد، فإن مجلس قيادة الثورة قد أصدر قراراً في 12 يناير سنة 1954 بأنه يجري على جماعة الإخوان المسلمين قانون حل الأحزاب السياسية ومع ما في هذا القرار من مخالفة لمنطوق القانون ومفهومه. فقد صدر بيان نسبت إلينا فيه أفحش الوقائع وأكثرها اجتراء على الحق واعتقلنا ولم نخبر بأمر الاعتقال ولا بأسبابه وقيل يومئذ أن التحقيق في الوقائع التي ذكرت به سيجري علناً فاستبشرنا بهذا القول لأننا انتظرنا أن تتاح لنا فرصة الرد عليه لنبين أن ما اشتمل عليه وعلى الصورة التي جاءت به لا حقيقة له. فيعرف كل إنسان قدره ويقف عند حده. ولكن ذلك لم يحصل.

وإلى أن تتاح لنا الفرصة فإننا ندعوكم وندعو كل من اتهمنا وندعو أنفسنا إلى ما أمر الله تعالى به ورسوله عليه الصلاة والسلام حين قال: "فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين".

وقد استمرت حركة الاعتقالات طوال شهرين كاملين. حتى امتلأت المعتقلات والسجون بطائفة من أطهر رجالات البلد وشبابها بلغوا عدة آلاف لكثير منهم مواقف في الدفاع عن البلاد وعن حرياتها

شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ولم يكتفوا بالكلام كما يفعل كثير من الناس. أما كيفية الاعتقال ومعاملة المعتقلين فلن نعرض لها هنا.

وقد بدت في مصر بوادر حركة- أن صحت – فقد تغير من شئونها وأنظمتها وقرار حل الإخوان. وأن إنزال اللافتات عن دورهم لم يغير الحقيقة الواقعة وهي أن الإخوان المسلمين لا يمكن حلهم لأن الرابطة التي تربط بينهم هي الاعتصام بحبل الله المتين وهي أقوى من كل قوة وما زالت هذه الرابطة قائمة ولن تزال كذلك بإذن الله ومصر ليست ملكاً لفئة معينة ولا يحق لأحد أن يفرض وصايته عليهم أو أن يتصرف في شئونها دون الرجوع إليها والنزول على إرادتها. لذلك، كان من أوجب الواجبات على الإخوان المسلمين أن يذكروكم بأنه لا يمكن أن يبت في شئون البلاد في غيبتهم وكل ما يحصل من هذا القبيل أن يكون له أثر في استقرار الأحوال ولا يفيد البلاد بشيء.

وأن ما دعوتم إليه من الاتحاد وجمع الصفوف لا يتفق وهذه الأحوال. فإن البلاد لا يمكن أ، تتحد وتجمع صفوفها وهذه المظالم وأمثالها قائمة.

نسأل الله تعالى أن يفي البلاد كل سوء وأن يسلك بنا سبيل الصدق في القول والعمل وأن يهدينا إلى الحق إلى الصراط المستقيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين

وفي يوم 25 مارس تم الإفراج عن جميع أعضاء الإخوان المسلمين المعتقلين .. وكان للإفراج عنهم قصة يرويها صالح أبو رقيق. فيقول:

- جاءنا في السجن الحربي المرحوم محمد فؤاد جلال والسيدان محمد أحمد ومحيي الدين أبو العز صباح يوم 25 مارس يطلبان منا الوقوف مع الثورة والتعاون معها على أساس أننا الوطنيون. فقلت لهم وأنا أضحك:

كيف يتم ذلك ونحن خلف الأسوار .. هو احنا اللي حبسنا نفسنا ...

فأجابوا: ما أنتم حتخرجوا على طول ..

وقلت لهم: وما الموقف وقد وجهتم إلينا أخطر اتهام يوجه إلى مواطن وهو الاتصال بالإنجليز بدون علمكم وسنضطر إلى الدخول في جدال معكم لتبرئة أنفسنا وأنتم أعلم بالحقيقة .. فما الحل ..

فأجابوا:نسأل عبد الناصر .. وفعلاً عادوا بعد قليل وقالوا أن عبد الناصر يقترح أن يخرج المرشد فوراً ومعاونوه الستة الذين جاء ذكرهم في بيان الاتصالات بالإنجليز ويذهب إليهم عبد الناصر في منزل المرشد ويهنئهم بصفته وباسم مجلس الثورة وينشر ذلك في الصحف .. وفعلاً قبلنا ذلك لما فيه من دلالات وتم الإفراج عنا وحضر عبد الناصر ومعه صلاح سالم إلى منزل المرشد.

وبدأت جماعة الإخوان المسلمين تستأنف نشاطها من يوم 26 مارس .. واعتقد الجميع أن الحياة النيابية ستعود ..

وفي نفس اليوم بدأ عبد الناصر تنفيذ خطته .. وفوجئت القاهرة بتوقف جميع وسائل النقل بها في الساعة الواحدة ظهراً ما عدا الترام بعد أن استطاع أن يستميل إليه الصاوي رئيس اتحاد نقابات عمال النقل ليعلن إضراب شامل لمطالب خاصة .. ثم بدأت الإذاعة تذيع إضراب العمال بسبب قرارات عودة الحياة النيابية للبلاد ورغبتهم في الإبقاء على مجلس الثورة.

وخرجت جردتا الأهرام والأخبار تؤيدان هذا الاتجاه وتطالبان ببقاء مجلس الثورة .. بينما انفردت جريدة لمصري بالوقوف ضد ذلك الاتجاه .. محاولة الكشف عن المؤامرة التي تدبر للقضاء على الحياة الدستورية الطبيعية للبلاد.

وبدأت المظاهرات تشتد .. وهي المظاهرات التي كان يدبرها رجال البوليس الحربي. وكانت تطالب بعدم عودة الحياة النيابية .. واشتدت المظاهرات .. وأصدر المرشد حسن الهضيبي بياناً يوم 28 مارس هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

لا ريب أن مصر الآن تمر بفترة بالغة الدقة والخطوة في تاريخها بعيدة الأثر في كيانها ومستقبلها وهي فترة تقتضي من كل مواطن أن يهب البلاد نفسه ويبذل لها وجوده ويؤثرها بالخالص من رأيه ومشورته حتى يأذن الله بانجلاء هذه الغمرة ويبدل الوطن منها حياة أمن واستقرار ووحدة.

ولقد فوجئ الإخوان المسلمون غداة خروجهم من السجون والمعتقلات بتوالي الأحداث الخطيرة التي تتعرض لها البلاد في حدة وسرعة لم يتيسر معها معرفة أسبابها والعوامل التي تؤثر فيها تم تحديد وسائل العلاج التي تلائمها.

من أجل ذلك بادر الإخوان المسلمون إلى العمل على أداء واجبهم في التماس المخرج من هذه الأزمة، فبدا لهم أن من العسير أن ترسم الخطط الصالحة ويوضع العلاج لهذه المشاكل وتسمع المشورة الصادقة المستقلة في جو الغضب والانفعال وقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يسأل الله ألا يستجيب له وهو غضبان.

لهذا لم يكن بد من الإسراع بلقاء المسئولين والاتصال بطرفي الخلاف للدعوة إلى اتخاذ مهلة تتجنب فيها المضاعفات وتنتهي فيها حالة التوتر القائمة حتى يتيسر لأولي الرأي والإخلاص أن يتقدموا للمسئولين عن الأمة بخطة كاملة ومدروسة تكشف عن البلاد هذه الشدة وتضع الحلول الكفيلة بوقاية البلاد من أن تتعرض لمثلها في آية مناسبة..

وعلى هذا الأساس قام وفد الإخوان المسلمين برياسة المرشد العام بلقاء البكباشي جمال عبد الناصر في الليلة الماضية ثم بزيارة اللواء محمد نجيب لانشغاله في هذه الليلة بالاجتماع بجلالة الملك سعود ضيف مصر الكبير الذي آثرها مشكوراً بكريم وساطته في علاج هذا الموقف العصيب.

وما زال الإخوان المسلمون يواصلون خطواتهم في إقناع المسئولين باتخاذ مهلة مع قيامهم في الوقت نفسه بدراسة خطة العلاج الشاملة أملين أن يستجيب المسئولون إلى ندائهم فتتغلب الحكمة والوطنية على بواعث الخلاف والفرقة ويلتقي الجميع بإذن الله على كلمة سواء.

وإذا كانت الجهود تتوالى في العمل على جمع الكلمة وحل الأزمة. فإننا نناشد شعب مصر الكريم أن يعتصم بالهدوء والسكينة ورباطة الجأش وأن ينصرف أبناؤه جميعاً إلى أعمالهم في انتظام وطمأنينة مع التوجه إلى الله العلي الكبير أن يحفظ البلاد من كل سوء وأن يعين الساعين ويجمع المسئولين على الحل الكامل السليم الذي يخرج بالبلاد من المأزق الحاضر ويحفظ وحدة الأمة ويصون حقوق الشعب وحرياته ويحقق الاستقرار المنشود في ظل حياة نيابية

نظيفة محوطة بالضمانات التي تجنبها مساوئ الماضي ونوفر الجهود لتخليص الوطن من الغاصب المستعمر ولمتابعة حركة الإصلاحات الإيجابية التي تستكمل البلاد نهضتها والله ولي التوفيق.

وأذيع ذلك البيان الذي طلبه عبد الناصر نم المرشد بعد اتفاق الاثنين على توقف المظاهرات لحين انتهاء زيارة سعود وإيجاد حل للأزمة .. ونشر البيان يوم 29 مارس .. نفس اليوم الذي غادر فيه الملك سعود مصر.

ويقول صالح أبو رقيق:

وذهب جميع أعضاء مجلس الثورة لتوديع الملك سعود في مطار ألماظة وذهب بعض أعضاء مكتب الإرشاد لتوديع الملك .. وعند انصراف الجميع فوجئت باثنين يمسكان بذراعي .. كانا عبد الناصر والبغدادي .. وسألاني:

- أنت فطرت؟؟ فقلت لهما: لأ ..

فقالا: تعال نفطر سوا .. فحاولت الاعتذار .. ولكنهما أصرا ودعيا الهضيبي ولكنه اعتذر .. وذهبت معهما إلى ميس المطار .. وأثناء جلوسنا نتناول الإفطار سألني عبد الناصر:

- فين حسن ؟!

وكان يقصد حسن العشماوي .. وكان حسن أقرب المدنيين إلى قلب عبد الناصر كما كان عبد الحكيم عامر أقرب العسكريين إلى قلبه..

وقلت له:

- حسن زعلان منك وله حق عرب عليك .. وكنت أشير بذلك إلى حادث التشهير به بالعثور على مخزن الأسلحة في عزبته ..

فضحك وقال:

- طيب ده لازم يشكرني .. ده احنا عملنا له دعاية بمليون جنيه والجرايد نشرت صوره..

ثم أضاف:

- لا .. ده نا لازم أشوفه وأصالحه ..

ثم بدأنا نتحدث عن الأوضاع .. والمظاهرات التي تطالب بعدم إجراء انتخابات وأنها لابد وأن تتوقف .. وعن بيان المرشد.

فبادرني قائلاً:

- أنتم عايزين انتخابات ليه .. عايزين زينب الوكيل تتحكم

في البلد تاني .. دي سبت موضع ((العفة)) للبوليس الحربي عندما توجه إليها أحد ضباط البوليس الحربي لسؤالها .. عايزينها تتحكم تاني في البلد.

قلت له:

- حرام عليك يا شيخ بلاش تشنيع .. المهم المظاهرات تتوقف والمرشد أذاع بيان نشرته الصحف اليوم يدعو الجميع للهدوء ..

فأجاب:

- خلاص مفيش مظاهرات ..

وانصرفنا .. وعلمت أنه توجهت مظاهرة في نفس اليوم إلى مجلس الدولة واعتدى المتظاهرون على المرحوم عبد الرازق السنهوري .. وقد كلفني المرشد بالذهاب إلى عبد الناصر لمعاتبته لأخذله بالاتفاق وفض المظاهرات التي تحاصر جريدة المصري وعدم الاعتداء عليها وتنفيذ قرارات مجلس الثورة بإعادة الحياة النيابية. وعندما قلت له ذلك قال:

- أنتم يهمكم إيه ..، مادمتم أنتم أحرار .. ما لكم ومال الباقي.. فقلت له: هل تستطيع أن تعلن ذلك في مؤتمر صحفي .. فضحك وقال: طبعاً لا ..

ومرت أزمة مارس .. وتوقفت المظاهرات .. وبقي محمد نجيب رئيساً للجمهورية .. وجمال عبد الناصر رئيساً للوزارة .. واكتشفنا تلاعبه بالحريات والديموقراطيات .. ثم بدأت محادثات الجلاء .. وفي شهر يونيو وقع بالحروف الأولى على اتفاقية الجلاء .. ووجدنا الاتفاقية لا تحقق الهدف فعارضناها .. وبعثنا له بعريضة تتضمن أوجه اعتراضنا..

وبدأ شن حملة دعائية ضد الإخوان المسلمين .. وحاول إحداث انشقاق في صفوف الإخوان .. وبدأت تحدث اشتباكات بين الإخوان المسلمين ورجال الشرطة .. بدأت يوم 27 أغسطس عام 1954 في مسجد شريف بالروضة ..وقف حسن دوح وكان زعيم الطلبة الإخوان بالجامعة وألقى خطبة تتضمن هجوماً على اتفاقية الجلاء. وبعد الصلاة خرج المصلون في مظاهرة وحدث اشتباك بنيهم وبين رجال الشرطة.

وفي نفس الوقت هاجم عبد الناصر الإخوان علانية في خطاب

ألقاه بهيئة التحرير يوم 5 سبتمبر وجند الصحف كلها لنشر أنباء عن المرشد الهضيبي وكان في جولة بالبلاد العربية على أساس أنه يعلن عداءه للثورة.

وأحس بعض الإخوان بالخطر .. واقترح عدد منهم كان على علاقة بالحكومة عقد اجتماع للهيئة التأسيسية لبحث الوضع بين الحكومة والإخوان .. وكان عبد الناصر يتوقع أن ينجح أعوان في هذا الاجتماع من اتخاذ قرار بعزل الهضيبي.

وعقد الاجتماع مساء يوم الخميس 24 سبتمبر سنة 1954 واستمر 20 ساعة وحضره مائة عضو من جملة الأعضاء وعددهم 137 عضواً..

وظهرت صحيفة الأهرام والجمهورية تحملان نبأ كاذباً عن انشقاق خطير في صفوف الإخوان تضمن نشوب معركة بالأيدي بين المجتمعين .. أما جريدة (الأخبار) فقد نشرت الحقيقة وكانت عن حدوث مشادة كلامية بين الأعضاء.

وانتهى الاجتماع على خلاف ما كان يرغب عبد الناصر .. ومرت أيام .. وفي يوم 26 أكتوبر من نفس العام حدثت محاولة اغتيال عبد الناصر .. وقد تكون محاولة حقيقية أو محاولة مدبرة .. وقد تكون محاولة فردية أو بتدبير من جماعة الإخوان المسلمين .. ولكن الذي ثبت أن عبد الناصر استغلها في تحقيق ثلاثة أهداف.

- تكوين زعامة شعبية لنفسه.
- التخلص من محمد نجيب إلى الأبد.
- القضاء على جماعة الإخوان المسلمين التي ساندته في بدء الثورة..

* * *

محاولة اغتيال عبد الناصر:

ولن أتجنى على أحد وأقرر شيئاً عن تلك المحاولة .. وعما إذا كانت حقيقية أو مدبرة .. إنما سأسردها كما جاءت في الصحف في ذلك الوقت .. وللقاريء وحده أن يقارن بين الوقائع وظروف المحاكمة ويقرر هل كانت محاولة حقيقية .. أم محاولة مدبرة ..

الزمان مساء 26 أكتوبر سنة 1954

المكان: ساحة ميدان المنشية في مدينة الإسكندرية.

الساحة مزدحمة بالآلاف من المواطنين .. حضروا للاستماع إلى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر الذي سيلقيه بمناسبة توقيع اتفاقية الجلاء مع الإنجليز يوم 19 أكتوبر من نفس العام.

ودخل عبد الناصر إلى المنصة الرئيسية ومعه صلاح سالم وعبد الحكيم عامر وحسن إبراهيم والشيخ الباقوري والسيد الميرغني حمزة وزير الزراعة والمعارف بالسودان وأحمد بدر المحامي السكرتير المساعد لهيئة التحرير بالإسكندرية.

ووقف عبد النصر ليلقي خطابه .. ومرت دقائق .. وفجأة دوى صوت الرصاص .. وساد الهرج المكان .. وأمسك عبد الناصر بالميكروفون يردد في كلمات مرتجلة .. وقف يقول:

أيها الأحرار .. حياتي فداء لكم .. دمي فداء لمصر ..

أيها الرجال .. أيها الأحرار .. أتكلم إليكم بعون الله بعد أن حاول المغرضون أن يعتدوا علي .. فدمي فداء لكم .. أن حياة جمال عبد الناصر ملك لكم ..

أيها الرجال .. أيها الأحرار .. هذا هو جمال عبد الناصر بينكم .. أنا لست جباناً .. أنا قمت من أجلكم .. من أجل عزتكم وكرامتكم وحريتكم .. أنا جمال عبد الناصر منكم ولكم .. عشت لكم وسأعيش حتى أموت عاملاً من أجلكم ومكافحاً في سبيلكم، وأموت من أجل حريتكم وكرامتكم ومن أجل عزتكم.

أيها الرجال .. أيها الأحرار .. فليقتلوني .. لقد غرست فيكم العزة وغرست فيكم الكرامة .. لقد أنبت في هذا الوطن الحرية والعزة والكرامة، فلأمت من أجل مصر .. من أجلكم .. من أجل أحفادكم .. كافحوا واحملوا الرسالة وأدوا الأمانة من أجل عزتكم ومن أجل كرامتكم[1].

يا أهل مصر .. يا أبناء الوطن .. قمت من أجلكم .. وسأموت في سبيلكم .. في سبيل حريتكم وفي سبيل كرامتكم ..

([1]) هكذا دائماً يلقي تاريخ من سبقوه من الثوار.. بل مسح كل أصالة الشعب المصري وادعى لنفسه أنه غرس في الشعب العزة والكرامة .. وكان الشعب كان بدون عزة أو كرامة من قبله!!

أيها المواطنون .. أنا جمال عبد الناصر .. إذا مت فإني أموت وأنا مطمئن فكلكم جمال عبد الناصر .. تدافعون عن العزة وعن الحرية وعن الكرامة .. سيروا على بركة الله.

سيروا نحو مجدكم.. لا تخافوا الموت.. فالدنيا فانية .. ونحن نعمل لنموت من أجلكم .. من أجل مصائركم وحريتكم .. ومن أجل عزتكم وكرامتكم ..

أيها الرجال .. أيها الأحرار .. أيها المصريون ..سيروا على بركة الله .. والله معكم ولن يخذلكم، فلن تكون حياة مصر معلقة بحياة جمال عبد الناصر، إنها معلقة بكم أنتم وبشجاعتكم وبكفاحكم، فكافحوا .. وإذا مات جمال عبد الناصر فليكن كل منكم جمال عبد الناصر متمسكين بالمبادئ والمثل العليا.

أيها الرجال .. أيها الأحرار .. منذ 24 سنة اعتدت يد الاستعمار على الهاتفين بالحرية في هذا الميدان، فقتل من قتل، واستشهد من استشهد، فإذا كان جمال لم يقتل في الماضي وجاء ليقتل اليوم بأيدي الاستعمار وأعوانه ونجا، فقد نجوت لأحقق لكم العزة ولأحقق لكم الحرية ولأحقق لكم الكرامة .. أن الخيانة تريد أن تكبلكم وتستبد بكم، فإذا نجوت فلكي أزيدكم حرية وعزة وكرامة، وليعلم الخونة أن جمال ليس فرداً واحداً في هذا الوطن فكلكم جمال عبد الناصر.

يا إخواني .. دمي من دمكم .. وروحي من روحكم .. ومشاعري من مشاعركم .. أيها الرجال لقد استشهد الخلفاء الراشدون جميعاً في سبيل الله وإذا كان جمال يقتل فأنا مستعد لذلك في سبيلكم وفي سبيل الله والسلام عليكم ورحمة الله.

وتعالت الهتافات ((الله معك يا جمال)) .. وأنهى عبد الناصر الكلمة التي ارتجلها .. أو هكذا بدت.

وكانت الكلمة مذاعة على الهواء .. وسمع جميع أبناء مصر أصوات طلقات الرصاص .. والكلمة الرائعة التي ألقاها جمال عبد الناصر .. واحتل قلوب الجميع .. وحقق الزعامة التي كان يحلم بها .. وأصبح الأسطورة في أحاديث كل الناس .. ولم تنم الأمة العربية بأسرها في تلك الليلة .. الكل كان ينتظر الصباح ليقرأ شيئاً عن الحادث .. وعن الجاني.

وظهرت صحف الصباح .. صباح 27 أكتوبر سنة 1954 ..

تحمل في صدر صفحاتها الأولى نبأ القبض على الجاني الأثيم بدون نشر صورته ..
قالت جريدة الأهرام:
((لم يكد الجاني الأثيم يطلق رصاصاته الغادرة حتى كان الجمهور قد هجم عليه وعلى ثلاثة أشخاص يقفون على مقربة منه ودخان الرصاص يتصاعد من حولهم وكاد يفتك بهم لولا أن بادر رجال البوليس والمخابرات إلى القبض عليهم وضبط السلاح في يد الجاني[1] وقد اقتيد الأربعة إلى نقطة بوليس شريف ..
ويدعى الجاني محمود عبد اللطيف محمد ويعمل سباكاً في شارع السلام بامبابة.
وقد عثر في المكان الذي كان يقف فيه الجاني على أربعة أظرف فارغة من عيار 36 ملليمتر وهي تختلف عن طلقات المسدس الذي ضبط مع المتهم، إذ أن المسدس الذي عثر عليه مع المتهم من نوع المشط الذي لا يلفظ الأظرف الفارغة)).
كان هذا ما نشرته جريدة (الأهرام) في عددها الصادر يوم 27 أكتوبر 1954. وأثار ذلك التساؤل عن سر اختلاف نوع الأظرف الفارغة عن طلقات المسدس المضبوط في يد الجاني .. وبدأت همسات هل هناك شخص آخر.
وفي نفس العدد نشرت الصحف أن الجاني ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين..
وتوالت في الأيام التالية نشر اعترافات محمود عبد اللطيف وأنه من الجهاز السري للإخوان المسلمين .. كان مكلفاً باغتيال عبد الناصر، لتبدأ حركة اغتيالات لبقية أعضاء مجلس الثورة و160 ضابطاً من الضباط الأحرار والقيام بثورة وأن الجهاز السري كان سيقف أمام أي تحركات مضادة ..

(1) السلاح ضبط في يد الجاني .. هكذا نشرت النبأ جميع الصحف .. وأرجو ألا ننسى يا عزيزي القارئ هذا للأهمية في الصفحات التالية ولتحكم بعقلك وضميرك على حقيقة الحادث كما أنه لم ينشر شيء بعد ذلك عن الثلاثة الآخرين الذين قيل أنهم ضبطوا مع الجاني.

ومع الاعترافات بدأ نشر أنباء اكتشاف مخازن أسلحة للجهاز السري والقبض على أفراده .. مخازن في جميع محافظات الجمهورية .. ومتهمين من مختلف الفئات والمهن .. طلاب بالجامعات ومحامين ومدرسين وعمال وفلاحين وضباط بالجيش وضباط بالبوليس وتجار .. أي من فئات الشعب جميعها العمال والفلاحين والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية!!

* * *

محاكمة الإخوان:

وفي يوم أول نوفمبر .. أي بعد الحادث بأربعة أيام فقط .. أصدر مجلس قيادة الثورة برئاسة جمال عبد الناصر أمره بتأليف محكمة مخصوصة لمحاكمة المتهمين في محاولة اغتيال عبد الناصر برئاسة قائد الجناح جمال سالم .. وكان المرحوم جمال سالم معروفاً للجميع بالتصرفات الشاذة.. وكان أمر تشكيل المحكمة شاذاً أيضاً .. فقد تضمن أن للمحكمة كل السلطات وأن يلحق بها مكتب للادعاءات يتولاه البكباشي زكريا محيي الدين يقوم بإعلان المتهم بالادعاءات المقامة ضده قبل المحاكمة بـ 24 ساعة فقط .. ولا يجوز تأجيل المحاكمة أكثر من مرة واحدة ولمدة لا تزيد على 48 ساعة .. وللضرورة القصوى .. وأحكامها نهائية ولا يجوز الطعن فيها بأي طريقة من الطرق أو أمام أي جهة من الجهات ..

وبدت للجميع أن نهاية جماعة الإخوان المسلمين أصبحت محققة .. فما كانت تنشره الصحف عن اعترافات الذين قبض عليهم من أفراد الجهاز السري وكيف أنهم كانوا يسعون إلى قيام حرب أهلية واغتيال جميع أعضاء مجلس الثورة وتحويل البلاد إلى مجموعة من الخرائب .. كان ما ينشر كافياً لشحن كل الشعور والقوى ضد الإخوان المسلمين.

وبدأ الناس في لهفة شديدة إلى معرفة شكل الجاني الأثيم .. ومضت خمسة أيام كاملة دون أن تنشر له صورة واحدة .. وأخيراً نشرت صورته وآثار التعذيب واضحة تماماً على وجهه .. ونشر تحتها أنها صورة للجاني ويبدو فيها آثار اعتداء المواطنين عليه وقت القبض عليه!!

وللتاريخ .. فإن ما ينشر اليوم من جرائم التعذيب التي ارتكبها أعوان حكم عبد الناصر لا توازي واحداً على الألف مما تعرض له الإخوان المسلمون في عام 1954.

قال لي اللواء شرطة بالمعاش صلاح شادي:

- أنهم قبضوا على بعد حادث محاولة اغتيال الرئيس السابق .. حاولوا معي بكل الوسائل أن أقرر أن الحادث من تدبير الجهاز السري للإخوان المسلمين .. استخدموا معي التهديد والوعيد .. ولم أخضع .. اقتادوني إلى مبنى مجلس قيادة الثورة في الجزيرة أدخلوني القاعة التي تحولت بعد ذلك إلى قاعة لمحكمة الشعب .. كان بالقاعة كمال الدين رفعت وعلي صبري وصلاح الدسوقي ومحمد عبد الرحمن نصير وغيرهم من الزبانية ..كان كمال رفعت يستخدم عضلاته وكفاءته كبطل في الملاكمة في كيل اللكمات لي ..

ويبتسم صلاح شادي في مرارة ويقول:

- كان كمال رفعت برتبة يوزباشي .. وكنت أيام الثورة الأولى قد طلبت من جمال عبد الناصر أن يبعث أحداً من رجال الثورة معي إلى مؤتمر للطلاب في الجامعة ليحدثهم عن الثورة وأهدافها .. فأعطاني كمال رفعت .. ووجدته لا يستطيع أن يقنع الطلاب .. فجلست وكتبت له خطاباً ألقاه في الطلاب .. ورغم ذلك فقد أخذ يكيل لي اللكمات الشديدة حتى إذا شعر بالتعب يدفعني ناحية علي صبري الذي كان ممسكاً بمسدس يحركه في يده بلا مبالاة مصوباً فوهته لي ويقول:

- أنت ما تستحملش رصاصة تنطلق .. وتخلص..

وفي نفس الوقت يتولى صلاح الشتاوي .. وهو نفسه صلاح الدسوقي الذي كان محافظاً للقاهرة .. وكان وقتئذ أله وزارة الداخلية بعد زكريا محيي الدين .. وكان ممسكاً بكرباج ينهال به على ضرباً ثم يدفعني إلى بقية الزبانية ليكملوا تعذيبي .. ويحاولون أن أوقع بإمضائي على أقوال لم أقلها .. وأرفض .. وتتكرر العملية..

ويبتسم صلاح شادي وهو يتذكر تلك اللحظات العصيبة في حياته والتي كان سببها أنه وضع كل ثقته في عبد الناصر وقرأ معه (الفاتحة) قبل قيام الثورة أن تكون لله ولإقامة شرع الله .. ويقول:

- كانت قوة من عند الله سبحانه وتعالى جعلتني لا أشعر بما ألاقيه وأتعرض له من عذاب .. ورفضت ما كانوا يحاولون إملاءه علي من أن الرئيس محمد نجيب رئيس الجمهورية وقتئذ كان على اتصال بنا للقيام بحركة مضادة ضد عبد الناصر وإخوانه

.. وأن أعترف على زميل لعبد الناصر في تشكيل الضباط الأحرار وهو البكباشي عبد المنعم عبد الرؤوف بأنه أعد خطة للاستيلاء على مجلس الوزراء واغتيال عبد الناصر وإخوانه .. وكان التعذيب يتم بمعرفة وحضور عبد الناصر في غرفة مجاورة واكتشفت ذلك عندما كان يخرج أحد المحققين ويغيب للحظات ثم يعود ليسألني عن وقائع لا يعلمها إلا الله وأنا وعبد الناصر.

وقال لي أحد المواطنين:

أنهم كانوا لا يقيمون وزناً لأي شيء .. كل شيء امتهنوه حتى كلام الله .. أنني لا أنسى أبداً يوم اقتحامهم زنزانة صلاح شادي وفي مقدمتهم كان واحد ممن ادعوا صفة الضباط الأحرار هو النقيب محمد عبد الرحمن نصير .. وكان صلاح جالساً ممسكاً كتاب الله تعالى يقرأ منه .. واختطفه .. ومزقه بين يديه وداس فوقه بقدميه .. وعندما سأله:

- ألا تخاف من الله.

لطمه وهو يقهقه وقال:

- ربنا بتاعكم لو جاء هنا لوضعته في الزنزانة اللي جنبك.

وظلت أحاديث الناس تتناول في كل المجالات ما كان يعتزمه الإخوان المسلمين من خراب للبلاد .. كانت الناس تستقي معلوماتها مما تنشره الصحف .. وكان بعض المفكرين يراودهم الشك في حقيقة الحادث الذي تعرض له الرئيس السابق جمال عبد الناصر .. البعض كان لا يريد أن يصدق أن الحادث من تدبير الإخوان المسلمين، وكان يستند في شكوكه إلى ما نشرته جريدة الأهرام صبيحة يوم الحادث من ضبط الجاني والمسدس في يده والعثور على أظرف طلقات رصاص من عيار لا يطابق رصاص المسدس.

وفجأة .. وبلا أي مقدمات .. وفي يوم 2 نوفمبر سنة 1954 .. أي بعد الحادث بستة أيام .. نشرت جميع الصحف الصباحية صورة الرئيس السابق عبد الناصر وأمامه عامل بناء ممسكاً بمسدس .. ومع الصورة حكاية مثيرة .. تقول الحكاية أن عامل البناء خديوي آدم .. وهذا اسمه .. كان يستقل الترام يوم الحادث المشئوم عائداً إلى منزله .. وعند ميدان المنشية شاهد جماهير من الناس مجتمعة وسأل عن سر تجمعهم ولما علم أن عبد الناصر سيلقي خطاباً نزل من الترام واندس وسط الجمايهر.

وعندما دوى صوت طلقات الرصاص وساد الهرج الآلاف المجتمعة سقط فوق الأرض .. وشعر بشيء يلسعه في ساقه .. وتحسسه فوجده مسدساً وكانت ماسورة المسدس لا تزال ساخنة .. وأيقن في الحال أنه المسدس الذي استخدمه الجاني في إطلاق الرصاص على زعيم البلاد (!!) .. ووضع المسدس في جيبه واعتزم بينه وبين نفسه ألا يسلم المسدس إلا لعبد الناصر شخصياً.

وتستطرد القصة في استكمال حبكة خيوطها وحتى لا يتساءل القارئ عن السر في عدم تسليمه المسدس في نفس الليلة وانتظاره 5 أيام .. فتقول القصة:

أن العامل خديوي آدم رجل فقير جداً يوميته 25 قرشاً.. ولم يكن يملك ثمن تذكرة قطار أو أوتوبيس يحمله إلى القاهرة .. فسار على قدميه المسافة من الإسكندرية إلى القاهرة . فوصلها يوم أول نوفمبر وتوجه في الحال إلى مجلس قيادة الثورة وطلب مقابلة جمال عبد الناصر .. وأعطاه المسدس .. فكافأه عبد الناصر بمائة جنيه (!!).

وهكذا ظهر سلاح جديد في الجريمة طلقاته من عيار 36 مللميتر لتكون من نفس أظرف الطلقات التي عثر عليها .. واختفت تماماً سيرة المسدس الذي ضبط في يد الجاني لحظة القبض عليه .. هكذا أراد الحاكم ورجال التحقيق..

وفي اليوم التالي مباشرة نشرت الصحف أن الجاني تعرف على المسدس الذي عثر عليه خديوي آدم وقرر أنه نفس المسدس الذي استخدمه لاغتيال عبد الناصر وأنه تسلمه من رئيسه في الجهاز السري المحامي هنداوي دوير .. وتعرف هنداوي هو الآخر على المسدس وقرر أنه نفس المسدس الذي أعطاه للجاني .. وكان رئيسه في الجهاز السري المحامي إبراهيم الطيب أعطاه له ليسلمه للجاني.

هكذا تعرف الإثنان على سلاح الجريمة.. وهكذا اختفت تماماً سيرة المسدس الأول الذي ضبط مع الجاني لحظة القبض عليه .. واحد فقط أنكر أن المسدس الذي عثر عليه خديوي آدم يتعلق بالجهاز السري .. هذا الشخص كان هو إبراهيم الطيب نفسه .. وجاء إنكاره أمام محكمة الشعب عندما عرض عليه رئيسها جمال سالم المسدس فقرر أنه ليس نفس المسدس الذي أعطاه لهنداوي .. إنما هو مسدس آخر ..

ولم يحقق جمال سالم هذه النقطة الهامة .. أغفلها تماماً .. كما أغفل أثناء المحاكمة تكليف الادعاء بتقديم شهود الإثبات الذين ضبطوا الجاني لحظة ارتكابه الجريمة .. وكانوا .. ويا للمصادفة من العاملين بمديرية التحرير التي أنشأها مجدي حسنين أقرب الضباط الأحرار إلى قلب عبد الناصر الذي من أجله تلاعب عبد الناصر بالديمقراطية كما سيأتي شرحه في الباب التالي .. والشهود الثلاثة أولهم عبد الحميد محمود حبيب العامل بمديرية التحرير وكان أول من أمسك مسدس الجاني أو هكذا قال .. والثاني اليوزباشي جمال النادي وهو من مديرية التحرير أيضاً وقد كسر ذراعه أثناء مقاومة الجاني له أو هكذا قرر .. أما الثالث فهو حامد حسنين عجمي العامل بمديرية التحرير أيضاً وقد عضه المتهم في ساقه عندما أمسك به أو هكذا قرر (!!) .. ولعل الادعاء خشي أن يقدمهم ويقدم خديوي آدم العامل الذي عثر على المسدس حتى لا تتخبط أقوالهم .. ويظهر شيء محظور كانوا يسعون لإخفائه!! أن أي طالب بالسنة الأولى حقوق يعلم أن أول شهود الإثبات هم الذين لهم صلة بضبط الجاني أو مشاهدة الجريمة أو اكتشاف سلاح الجريمة .. ولكن هؤلاء الأربعة لم يدلوا بشهادتهم عند محاكمة الجاني..

محاكمة بدون محامين:

وتقرر تقديم محمود عبد اللطيف إلى محكمة الشعب برئاسة جمال سالم .. وللتاريخ فإن الأوراق التي قدمت إلى أعضاء هيئة المحكمة كانت كافية لأن تصدر أحكامها بإعدام كل الذين يقدمون أمامها .. كانت أمام هيئة المحكمة أوراق تتضمن اعترافات تقول أن الهضيبي أنشأ جيشاً سرياً ضخماً لتأمين حكم الإخوان المسلمين بعد قيامهم باغتيال عبد الناصر وجميع أعضاء مجلس الثورة باستثناء محمد نجيب وكذلك اغتيال 160 ضابطاً من الضباط الأحرار . وأن هذا الجيش السري كان سيقف أمام جيش مصر وبوليس مصر ويقوم بقمع الحركات الشعبية التي كان من المتوقع حدوثها وأن غرض هاذ الجيش ليس محاربة المستعمر بل إعلان حرب داخلية في مصر للاستيلاء على الحكم .. وأن الخطة كانت تقسيم بلاد الجمهورية إلى مناطق .. وكل منطقة لها قائد وفصائل وكل فصيلة لها قائد .. وأن الذين أشرفوا على إنشاء هذا الجيش السري ثلاثة هم يوسف طلعت وكان يختص بأفراد الجيش من المدنيين وصلاح شادي وهو قائد تنظيم رجال

البوليس وعبد المنعم عبد الرؤوف قائد التنظيم في صفوف الجيش المصري .. وأن جميع الأسلحة والقنابل والذخائر التي ضبطت في مخازن الإخوان المسلمين كانت تكفي لتدمير ثلاثة أرباع مدينة القاهرة وتحويلها إلى خرائب..

وبدأت محكمة الشعب أولى جلساتها يوم الثلاثاء 9 نوفمبر سنة 1954 .. وكانت عمليات القبض على بقية زعماء الإخوان المسلمين وأعضاء الجهاز السري لا تزال مستمرة. بل كان يقبض على بعضهم وفي اليوم التالي مباشرة يقاد إلى محكمة الشعب لسماع أقواله كشاهد في القضية الأولى التي تنظرها المحكمة.. وكانت القضية الأولى .. أو المحاكمة الأولى للمرحوم محمود عبد اللطيف الذي أسندت إليه محاولة اغتيال عبد الناصر بمسدس ضبط في يده وقت الحادث ثم اعترف بارتكابه الحادث بمسدس آخر عثر عليه العامل بمديرية التحرير خديوي آدم .. وظهر بعد الحادث بـ 5 أيام..

ووجه إلى محمود عبد اللطيف ادعاءان:

الأول: اشترك مع آخرين في تنفيذ اتفاق جنائي الغرض منه إحداث فتنة دامية لقلب نظام الحكم وذلك بإنشاء نظام سري مسلح للقيام باغتيالات واسعة النطاق وارتكاب عمليات تدمير بالغة الخطورة وتخريب شامل في جميع أنحاء البلاد تمهيداً لاستيلاء الجماعة التي ينتمي إليها على مقاليد الحكم بالقوة..

والثاني: شرع في قتل البكباشي أركان حرب جمال عبد الناصر رئيس الحكومة تنفيذاً للاتفاق الجنائي المشار إليه في أولا.

وتلا رئيس المحكمة الإدعاءين على المتهم وسأله السؤال التقليدي:

- مذنب أم غير مذنب.

وعادة .. بل ودائماً يقرر المتهم في مثل هذه الحالات أنه غير مذنب .. وهو في ذلك يتعلق بآخر خيط من الأمل لينقذ رقبته من حبل المشنقة .. أما في حالة محمود عبد اللطيف وأغلب زملائه الين وقفوا أمام تلك المحكمة فإنهم كانوا يقررون أنهم مذنبون .. كان يقررها البعض عن جهالة مصدقاً ما قالوه له قبل المثول أمام هيئة المحكمة من أن زعيم البلاد سيخفف عنه الحكم بل ويلغيه وأن المقصود فقط محاكمة زعمائه في جهاز الإخوان .. والبعض كان

يقررها لفقده الثقة في أي بصيص من نور العدالة بعد ما تعرض له من أبشع ألوان التعذيب .. وكان محمود عبد اللطيف وهنداوي دوير من النوع الأول .. ويؤكد ذلك أنه يوم تنفيذ حكم الإعدام فيهما أخذ يردد هنداوي دوير في هستيرية وهم يقتادونه إلى حبل المشنقة:

- (ضحكوا علي .. خدعوني .. ضحكوا علي. . مش ده اتفاقنا .. مكانش ده الاتفاق .. مش ده اتفاقنا).

المهم ... أنني هنا لا أحاول أن أتجنى على شخص ما .. ولكني أذكر الحقيقة والحقيقة التي أسجلها للتاريخ .. والتي جمعتها مما نشر في ذلك الوقت عن تلك المحاكمات .. وهي صورة غريبة .. وغريبة جداً للعدالة في تلك الأيام .. صورة محاها تماماً الرئيس أنور السادات في عهده الحالي .. عهد سيادة القانون ..

وبعد أن قرر المتهم أنه مذنب وقف المدعي العسكري وقال .. وأنا هنا أنقل كلامه بالحرف الواحد:

- ((حين أعلن المتهم بالادعاءات المقامة عليه في سجنه .. سألناه إذا كان قد وكل أحد المحامين للدفاع عنه فقال أنه لم يوكل أحداً والأمر بتشكيل المحكمة لا يحتم وجود محام مع المتهم أثناء محاكمته فضلاً عن أن القضية معدة والشهود موجودون)).

أي والله هذا ما قال المدعي العسكري .. أنه يقدم متهماً بادعاءات عقوبتها الإعدام ويطلب محاكمته بدون محام يدافع عنه لأن أمر تشكيل المحكمة لا يحتم وجود محام .. هكذا .. كان الأمر مخالفاً لأبسط مبادئ العدالة وكل الدساتير في العالم التي تكفل للمتهم حق الدفاع عن نفسه .. ولكن دستور عبد الناصر كان خلاف كل الدساتير .. كما كانت أفعاله خلاف كل الأفعال.

ونعود إلى بقية فصول المحاكمة..

ويلتقط رئيس المحكمة خيط الكلام من المدعي ويتوجه بالأسئلة إلى المتهم الواقف أمامه بلا حول ولا قوة ويسأله:

- عايز حد يدافع عنك؟

ويتعلق محمود عبد اللطيف ببصيص من نور الأمل ويهمس:

- أيوه .. عايز يا أفندم ..

ويدور أغرب حوار .. بين رئيس محكمة .. ومتهم .. يسأله رئيس المحكمة:

- مين؟
ويرد المتهم:
- محمود سليمان غنام ..
ويفاجأه رئيس المحكمة وكأنما يقرأ الغيب ويسأله:
- وإذا ما قبلش؟
ولا يترك محمود خيط الأمل ويقول:
- يبقى فتحي سلامة ..
ويكرر رئيس المحكمة:
- وإذا ما قبلش؟
ويقول المتهم:
- يبقى مكرم عبيد ..
ويسد رئيس المحكمة أمامه كل الأبواب ويسأله:
- وإذا ما قبلش؟
وكان رئيس المحكمة يتوقع من المتهم أن يجيب ((يبقى أمري لله وأترافع عن نفسي)).. ولكنه خيب أمله وقال:
- يبقى أي واحد ثاني ..
- ويلتفت جمال سالم إلى ناحية المدعي ويصدر قراره ونصه:
- على مكتب الادعاء أن يتصل بالمحامين الذين ذكرهم المتهم بالترتيب، فإذا حضر أي واحد منهم كان بها .. وإلا انتدب أي محام آخر وتؤجل الجلسة 48 ساعة وتعقد في الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس 11 نوفمبر.

ونفذ مكتب الادعاء قرار المحكمة .. أو هكذا نشر في الصحف صباح اليوم التالي:

اتصل المدعي العسكري أولاً بالأستاذ محمود سليمان غنام .. وصرح المدعي العسكري أنه اعتذر لأنه أصلاً يستنكر الجريمة ولا يمكنه أن يترافع عن المتهم من الناحية القومية لأنه يستنكر استخدام أساليب العنف في الجدل السياسي .. هكذا !!

واتصل المدعي بعد ذلك بالأستاذ فتحي سلامه .. وقال المدعي أنه هو الآخر اعتذر لسببين .. أولهما : الشعور الوطني والآخر: احتقاره للمجرم الأثيم .. هكذا!!

واتصل المدعي بآخر المحامين الثلاث الذين ذكرهم المتهم وهو مكرم عبيد .. وقال المدعي أن مكرم عبيد قال حين فوتح برغبة المتهم أن يدافع عنه .. غريب أن يطلب مني الدفاع عن المتهم، فأنا لا أستطيع أن أدافع عمن يعتدي على الرئيس جمال عبد الناصر فها إجرام خطير .. هكذا!!

وقالت الصحف .. استكمالاً للخير السابق والذي أملاه عليها مكتب الادعاء .. أن مكتب الادعاء خاطب نقابة المحامين فاجتمع مجلس النقابة في الحال برئاسة عمر عمر نقيب المحامين واتصل ببعض المحامين .. ولكنهم رفضوا جميعاً .. هكذا!!

ولن علق على هذا الجزء من المسرحية.

وانعقدت الجلسة الثانية للمحاكمة يوم الخميس 11 نوفمبر سنة 1954 .. والكل يعتقد أن المحاكمة ستتم بدون محام يعكر صفوها .. ويفاجأ الجميع أن محامياً كبيراً هو المرحوم حمادة الناحل يقف معلناً تطوعه للدفاع عن المتهم بعد أن قرأ اعتذارات زملائه .. ولأن شرف المهنة يقتضيه أن يقف مدافعاً عن المتهم .. وكانت جرأة حمادة الناحل وتمسكه بمبادئ وشرف المهنة سبباً لأن يتعرض بعد ذلك لأبشع ألوان التعذيب ودخل السجن ولفقت له القضايا هو وغيره من المحامين الذين كانوا يتطوعون للدفاع عن المتهمين أمام محاكم عبد الناصر الاستثنائية.

ويتحفز رئيس المحكمة للمحامي الجريء .. وبرفض كل طلب يتقدم به لمعاونته في مهمته للدفاع عن المتهم.. كان يرفض الطلب قبل أن يكمل المحامي كلامه .. واتخذ رئيس المحكمة منذ اللحظة الأولى موقف المهاجم دائماً لكل شاهد .. وكان كل الشهود من المهمين أيضاً .. يحاول أن ينكر أقواله التي سبق أن أبداها في التحقيقات تحت الظروف المعينة التي يعرفها الجميع الآن بعد أن أعاد الرئيس السادات للقانون سيادته وللإنسان حريته .. وكفل لكل متهم حق الدفاع عن نفسه والتحقق من كل طعن بيديه .. وليس أدلى على ذلك من قرار أصدره النائب العام يوم السبت 10 يناير سنة1976 بإيقاف تنفيذ حكم بإعدام قاتل تحدد له يوم الإثنين 12 يناير لحين التحقيق في شكوى تقدم بها تتضمن أن اعترافاته انتزعت منه بالتعذيب. . هذه الضمانات التي نجدها اليوم كانت مختفية تماماً في خلال جلسات محاكمة الإخوان المسلمين عام 1954

صور ومهازل من المحاكمة:

وفي الصفحات القادمة بعض المهازل .. أو الصور المبكية لمصرع العدالة .. وأنا أنقلها كما نشرتها الصحف في ذلك الوقت وهي تنشر كل تفاصيل محاكمة الإخوان ..

في خلال سماع أقوال علي نويتو أحد أعضاء الجهاز السري وأثناء مناقشته عن هدف الجهاز .. قال الشاهد أن الغرض من الجهاز هو تدريب شباب الإخوان المسلمين لتكوين جيش إسلامي لمعاونة حركات التحرر في الدول الإسلامية كالجزائر وتونس كما كان يتدرب الإخوان ليساهموا في معارك فلسطين ومعارك القناة ضد قوات الاحتلال ..

- سنواجه الشاهد بأقواله في التحقيق إذ قرر ما يأتي .. وكانت تلك هي الحقيقة التي من أجلها انخرط آلاف الشباب في جماعة الإخوان ووقف المدعي العام وقال:

"الجيش الإسلامي كان سيقاوم الحكومة التي لا تحكم بالقرآن، وأحضروا إلينا الأسلحة للتدريب السكري. أما عن الخطة فكانوا بيقولوا لازم الشعب كله يقوم بثورة.

وقال علي نويتيو:

- مش دي أقوالي؟

وصرخ فيه رئيس المحكمة:

- مش مضيت على أقوالك؟

ويرد الشاهد:

- أنا ما قرأتش الأقوال دي

ويضحك رئيس المحكمة ويقول للمدعي

- يا ريت كنتم خليتوه يوقع على شيك بـ 500 جنيه

ويرد المدعي ضاحكاً:

- ياريت يا فندم..

ولم يحقق رئيس المحكمة أقوال الشاهد .. ولا كيفية توقيعه على أقوال لم يقلها ..

وشرح لي صالح أبو رقيق أن كل متهم من أعضاء الإخوان المسلمين كانوا يرغمونه على التوقيع على أقواله .. دون سماعها كانوا يوجهون الأسئلة على الورق .ز ويضعون لها الإجابة ..

ثم يكلفون المتهم بالتوقيع .. ومن كان يحاول أن يقرأ أو يعترض يتعرض لكل أصناف التعذيب..
وكانت تلك صورة تتكرر مع كل شاهد .. ومع كل متهم .. كان رئيس المحكمة جمال سالم لم يعتقد أبداً أن الأوراق التي أمامه وعليها توقيعات الشهود ممكن أن تكون أقوالاً مزيفة أرغم على توقيعها الشاهد .. كان لا يخطر بباله أبداً هو أو عضوا المحكمة أن يكون عبد الناصر هو الذي رسم خيوط كل المؤامرة .. تماماً كما اعتقد جميع زملائه أن ثورة الشعب والمظاهرات في أزمة مارس السابق على إعادة الديمقراطية والحياة الحرة وعودة الضباط إلى ثكناتهم كانت ثورة تلقائية سببها تعلق الشعب بهم .. ثم اكتشفوا بعد ذلك أنها كانت ثورة مدبرة دفع أجر لقيامها 4 آلاف جنيه إلى الصاوي أحمد الصاوي رئيس عمال النقل .. وأن الذين حركوا المظاهرات هم مجموعة الضباط الذين جمعهم عبد الناصر من غرز الحشيش والمواخير .. كما وصفهم لكمال الدين حسين..
ولعل الدليل الأكيد على أن الرئيس السابق عبد الناصر كان لا ينقل إلى زملائه الحقيقة أبداً.. إنما كان يعطيهم دائماً لاتصالاته الصورة التي يرسمها بنفسه .. هو ما حدث خلال جلسات تلك المحاكمات عندما كان المرحوم منير الدلة أحد زعماء الإخوان المسلمين، وواحداً ممن كانوا على صلة بعبد الناصر حتى أنه رشحه للوزارة في عام 1953 .. يدلي بشهادته أمام المحكمة .. ودار بين رئيس المحكمة وبينه الحوار التالي:

سأله رئيس المحكمة:

- هل تذكر يوم ما رحت مع صلاح شادي إلى جمال عبد الناصر في سنة 1953 وطلبتم منه أن تعرض عليكم مشروعات القوانين قبل صدورها؟

وأجاب منير الدلة:

- احنا رحنا قابلنا الرئيس عبد الناصر لنبدي له أن الإخوان المسلمين يؤيدون الثورة، وتطرق الحديث بين السيد الرئيس وبين صلاح شادي إلى موضوع القوانين وقال له صلاح حبذا لو عرض الحاكم مشروعات القوانين على الشعب قبل إصدارها .. ودا كان رأي شخصي ولم يكن رأي الجماعة.

وقاطعه جمال سالم صارخاً:

- انتم قلتم لازم الحكومة تعرض القوانين على الجماعة فقال لكم الحكومة لا تقبل وصاية الإخوان والحكومة تمثل الشعب أكثر من الإخوان.

ورد الشاهد:

- أنا أقسمت على كلامي ..

ولم يتركه جمال سالم يكمل بل قاطعه قائلاً:

- احنا كمان أقسمنا اليمين بيننا وبين ربنا.

فقال الشهد:

- أنا أروي الواقعة كما حدثت.

فصرخ جمال سالم:

- كلامك ده فيه نوع من الاتهام لجمال عبد الناصر أنه مش عارف ينقل الكلام صح ..

* * *

روى لي صلاح شادي .. الطرف الباقي على قيد الحياة .. تفاصيل هذه المقابلة وحقيقة عما إذا كان الإخوان أرادوا الوصاية على الحكومة كما أفهم عبد الناصر زملاءه وشحن مشاعرهم ضد الإخوان..

قال الرجل الذي أمضى 20 عاماً كاملة في الليمان لأنه كان ينصح عبد الناصر وأخذ عليه عهداً ليلة قيام الثورة أن تكون الثورة لله ولتطبيق شرع الله .. قال:

- حقيقة ذهبت أنا والمرحوم منير الدلة إلى عبد الناصر في مجلس قيادة الثورة بعد حل الأحزاب في عام 1953 .. وكان من المقرر أن يجتمع بأعضاء مجلس الثورة في ذلك اليوم .. وكنا نتحدث بصراحة وبدون كلفة .. بمنى أن أناديه باسمه ويناديني باسمي ..

قلت له:

- أن الموجة الوطنية جارفة وأخشى أن تندفع مع الموجة على غير بصيرة وتخطئ .. وأخذت أشرح له تاريخ حركة كمال

أتاتورك وانتكاسها لانفراده بالرأي.. وقلت له .. وأنا ما زلت أذكر نص كلماتي ..

- يا جمال .. قد تكون قوة صالحة .. ولكن يجب أن تضع نفسك في الموضع المناسب، فالحصان القوي مكانه أمام العربة وليس خلفها .. فإذا أردت تأييد الشعب يجب عليك أن تعرض عليه رأيك، والرأي الصالح لابد أن يمشي، أما أن تصدر القرار وتطلب من الشعب أن يصفق فهذا هو الخطأ بعينه.

وفاجأني عبد الناصر باقتراحه:

- نعمل لجنة مننا ومنكم نعرض عليها القوانين.

فقلت له:

- لأ .. أعرضها على الشعب.

فقال:

- طيب نعمل لجنة ونضع فيها الشيخ الغزالي.

ولم أعلق على هذا الاقتراح .. وتركنا عبد الناصر وانصرف إلى اجتماع مجلس قيادة الثورة وبعد انصرافه بدقائق جاءنا الصاغ وحيد رمضان وقال لي أن عبد الناصر دخل الجلسة متظاهراً بالثورة من مقابلته معنا وقال لزملائه:

- تصوروا الإخوان باعتين صلاح شادي ومنير الدلة وعايزين يفرضوا وصاية علين تصوروا..

وتعجبت من تصرف عبد الناصر .. ورويت لوحيد رمضان تفاصيل الحديث ثم انصرفنا..

وانتهت بذلك رواية صلاح شادي التي أكدت ما كان جمال سالم لا يتصوره من أن عبد الناصر لا ينقل لهم الكلام صح كما حدث..

* * *

وهكذا كان جمال سالم يثق في كل حرف أمامه من سطور اعترافات الشهود والمتهمين .. ومن أجل ذلك كان له موقف بعيد تماماً عن موقف القاضي العادل غير المتحيز وهو يدير جلسات المحاكمات .. كان يعتبر المتهم أو الشاهد عدواً له وكان له الحق .. فالأوراق تقول أنهم كانوا سيقتلونه هو الآخر

مع بقية أعضاء الثورة وكان يهاجمه ولا يحميه كما تقتضي العدالة .. بجعله مثار سخرية .. يهزأ منه وعليه..

ففي جلسة 14 نوفمبر .. كان جمال سالم يستمع إلى أقوال شاهد .. هو متهم أيضاً بعضويته في الجهاز السري . . كان العضو اسمه حامد نويتو .. وجاء الشاهد أمامه ليشهد أنه كان من أعضاء الجهاز السري كما جاء في أقوال من سبقوه من أعضاء الجهاز.

وقال الشاهد مستعطفاً:

- أنا مظلوم .. ووالدتي

وقاطعه جمال سالم ساخراً:

- أنا ماليش دعوة بامك .. الإسلام ما قالش تعملوا كده.

ورد الشاهد:

- الناس دول كدابين والله ..

واستمر جمال سالم في سخريته منه قائلاً:

- فيه مثل بيقول ((لا أم قويق .. ولا دعاها يستجاب)) وضجت القاعة بالضحك .. وانتشى جمال سالم لضحك الحاضرين .. واستمر في السخرية من الشاهد فسأله:

- بتاخد ماهية كام؟

ورد الشاهد:

- 12 جنيه.

وقال جمال سالم:

- والله ما تستاهل 12 مليم .. بأه انت شكل واحد ياخد من الدولة 12 جنيه**!!**

وضجت القاعة بالضحك .. لخفة دم رئيس المحكمة**!!**

- ربنا يخليكم يا افندم ..

* * وصورة أخرى .. قدم الادعاء شاهدين من أعضاء الجهاز السري .. الإثنان كانا مدرسين .. أولهما إسماعيل محمود .. والثاني محمود الحواتكة .. وأنكر إسماعيل محمود كل اعترافاته .. وثار جمال سالم للشاهد بلهجة عسكرية :

- خلفاً در

واستدار الشاهد .. أصبح وجهة للجمهور الحاضر الجلسة . ووجه جمال سالم حديثه للجمهور قائلاً:

- أهو دا المدرس اللي بيدرس لأولاد حضراتكم ..

واستدعى محمود الحواتكة .. وواجهه بإسماعيل محمود .. وأنكر الإثنان اعترافاتهما التي اغتصبت منهما .. ووجد جمال سالم نفسه في مأزق .. وخرج منه بأن قال:

- والله والله .. لولا احترام الأدمية كنت خليتكم تضربوا بعض ..

وطبعاً لم يكن جمال سالم أو عضواً المحكمة يعلمون أن آدمية الشهود وجميع المتهمين قد انتهكت قبل مثولهم أمام المحكمة ..

* * وصورة ثالثة كان ضحيتها المرحوم المحامي إبراهيم الطيب أحد قادة التنظيم وأسندت له الادعاءات قيادة تنظيم الجهاز السري في مدينة القاهرة .. وكان إبراهيم محامياً في مكتب المرحوم عبد القادر عودة أحد زعماء الإخوان وقد صدر الحكم بإعدام الاثنين..

بدأ إبراهيم الطيب يدلي بشهادته يوم 15 نوفمبر .. وذكر حقائق كان عبد الناصر قد أخفاها عن زملائه .. قال إبراهيم الطيب .. أن الإخوان عرضوا على محمد نجيب رئيس الجمهورية العودة بالبلاد إلى الحياة الطبيعية وإيجاد برلمان حر بعيد عن الشوائب الحزبية وإطلاق الحريات خاصة حرية الصحافة وإبداء الرأي والإفراج عن المعتقلين وأضاف قائلاً عن اتفاقية الجلاء أن الإخوان قد اعترضوا على الاتفاقية وأرسلوا إلى عبد الناصر بياناً باعتراضاتهم ..

وأحس جمال سالم أن إبراهيم الطيب سيستغل الفرصة ويكشف بعض النقاط الضعيفة في الاتفاقية والتي كان منها عودة الإنجليز إلى قاعدة القنال في حالة نشوب حرب .. فقاطعه ((بماتش ردح قائلاً:

- المرشد بتاعكم اعترف بأنه اتكلم مع الإنجليز وقبل أن يتفق معهم على عقد اتفاق سري بينه وبينهم ويسمح للإنجليز بالرجوع في أي وقت[1] .. رد يا محامي .. رد يا قانوني رد ياللي

(1) تم اتصال المرشد بالإنجليز بمعرفة عبد الناصر.

بتدافع قدام المحاكم بالإسلام .. رد يا للي بتعلم محمود عبد اللطيف الإسلام .. اتكلم يا للي بتشتغل في مكتب عودة..

ورد إبراهيم الطيب على ماتش الردح بهدوء قائلاً:

- أنا مستعد أسكت.

- وثار جمال سالم ثورة عنيفة وارتفع صوته قائلاً:

- أنت بتبجح على..

وأجاب إبراهيم الطيب:

- بالعكس يا افندم..

ولم يقتنع جمال سالم بالرد وقال:

- كده زي مابا أقولك .. احنا ولاد بلد والمحكمة اسمها محمكة الشعب وكلنا متربيين في الحسينية وباب الشعرية ودرب الحجر .. متربناش في القصور .. جاوب على السؤال والتزم حدوده .. انت مش محامي هنا ..

** متهم واحد استطاع أن يتغلب على رئيس المحكمة جمال سالم .. كانت مناقشاته مع رئيس المحكمة تثير ضحك جميع الحاضرين .. كان مؤمناً أن مصيره قد تحدد قبل المحاكمة .. ووقف أمام جمال سالم لا يخشى شيئاً .. لقد شاهد الموت أكثر من مرة عندما انتزعوا منه الاعترافات .. وأصبح لا يهمه شيء .. هذا المتهم هو المرحوم يوسف طلعت رئيس الجهاز السري للإخوان المسلمين .. كان ساخراً ولاذعاً .. وحار معه جمال سالم ..

وفيما يلي مقتطفات من الحوار اللاذع بين يوسف طلعت رئيس المحكمة ..سأله جمال سالم:

- كم فصيلة عملتها في القاهرة وغيرها؟

ويجيب يوسف طلعت بسخرية:

-أنا قلت الحاجات دي في التحقيق

ويكرر جمال سالم:

- احنا عايزين نسمع الكلام تاني.

وتشتد سخرية يوسف طلعت في إجابته ونصها:

- هم حيكونوا صادقين..

ويبتلع جمال سالم اللذعة ويكرر له:
- عايزين نسمعه تاني ..
ولا يتمالك يوسف طلعت نفسه ويضحك وهو يقول:
- يمكن اغلط في كلمة ..
وكانت تعني إجابته أن اعترافاته أمليت عليه ويخشى أن كررها أن يخطئ فيتعرض للتعذيب بعد عودته للزنزانة..
** ومرة أخرى ضحكت المحكمة م سخرية يوسف طلعت واستسلامه لمصيره..
سأله المدعي العسكري:
- إيه معلوماتك عن المنشورات بصفتك قائد الجهاز لسري؟
ويضحك يوسف بسخرية ويرد:
- يظهر عليك بتكبرني علشان ..
واسترسل في الضحك..
وقاطعه جمال سالم قائلاً:
- أيوه يا يوسف.
وأكمل يوسف كلامه:
- أصل الجماعة دول .. وأشار إلى المدعي العسكري .. بيكبروا فينا علشان لما ياخدوا رقبتي يقولوا دي رأس كبيرة.
وقال له جمال سالم:
- طيب مش قائد .. رئيس
وقهقهة يوسف طلعت بسخريته وقال:
- الله يكرمك يا شيخ!!
وقال جمال سالم:
- طيب .. مسئول
ولم يتوقف يوسف عن سخريته وقال:
- لازم أبقى قائد ورئيس مادام قاعد قدامكم .. مش يبقى نجار قاعد قدامكم .. وكانت مهنة يوسف الأولى نجاراً.
وآخر ضحكات وسخرية كانت ليوسف طلعت يوم محاكمته .. حضر إلى المحكمة ولم يوكل محامياً .. واستغرقت محاكمته ثلثي ساعة .. وبعد أن تليت عليه الادعاءات سأله جمال سالم:

- مش عايز محامي؟
- لا ..
- ليه؟
- لأني ما باحبش المحامين؟
- ليه؟
- لأن فيه آية أنهم سيحاسبون يوم القيامة لأنهم يترافعون بالباطل أحياناً..
- بس لازم يكون لك محامي؟
- وهو يعني سيغير قدر الله ..
- يعني بلاش نجيب لك محامي ..
- لا يا افندم .. مش عايز .. توكل على الله يا شيخ وابتدى!!

ووقف المدعي وكان مصطفى الهلباوي على الفور يترافع مطالباً برأس يوسف طلعت .. قال يصفه أنه كان نجاراً فأصبح اليوم الجزار والجلاد والسفاح.. وكانت مؤهلاته هي القدرة على الفتك والتعطش إلى الدم الساخن..

وعندما وقف يوسف طلعت للدفاع عن نفسه لم يبد أي اهتمام بكل ما ساقه المدعي من اتهامات بل وقف ليعطيه درساً.. قال بسم الله الرحمن الرحيم .. أولاً يا حضرات: مسألة التجارة مش عيب .. دي كانت صناعة سيدنا نوح وسيدنا يوسف .. ومسألة التعطش للدم دي مش حقيقة .. أنا قبض على في بيت وكان فيه قنابل ومدافع فلو كنت رجل دم كنت دافعت عن نفسي بأي شكل .. وقد فوضت أمري لله ثم لكم ..

وأحس جمال سالم بشفقة نحو يوسف طلعت لأنه لم يدافع عن نفسه بما يكفي .. وتفحص وجوه الحاضرين ووجد بينهم المرحوم الأستاذ لطفي حسونة وكان يسجل الجلسات لجريدة ((الأخبار)) وبادره قائلاً:

- لطفي يا حسونة.

ووقف لطفي حسونه مرتجفاً .. وكان معروفاً عنه أنه دائماً يخشى السلطة وخرج صوته مبحوحاً:

- أفندم ..
- أنت مش محامي ..

- أيوه يا افندم ..
- طيب أترافع عن يوسف طلعت
- حاضر يا افندم
- عايز وقت تستعد؟
- لو سمحت المحكمة؟
- يكفيك ساعة؟
- كفاية أوي ..

ورفعت الجلسة لمدة ساعة ليستعد المحامي للدفاعي عن متهم وجه له الادعاء اتهامات عقوبتها شنقاً .. وهكذا كانت العدالة .. وعندما أعيدت الجلسة لم يجد المحامي ما يقوله إلا أنه يلتمس من المحكمة تقدير ظروف المتهم .. وقد كان .. وأصدر جمال سالم حكمه بإعدام يوسف طلعت ..

** ولم يحاول أحد من المتهمين الاعتراض على تشكيل المحكمة إلا متهماً واحداً هو المرحوم عبد القادر عودة .. وقد كان محامياً.

اقتيد للمحاكمة يوم 30 نوفمبر .. ووجهت له الادعاءات ومنها محاولة اغتيال أعضاء مجلس الثورة .. وقرر عودة أنه غير مذنب .. وندما سأله جمال سالم عما إذا كان يريد شيئاً قال له:

- أنا متهم بتهم لو صحت لكنت أنا الجاني وانتم المجني عليه، ولم أعرف حقاً للمجني عليه في محاكمة الذي جنى عليه.

وقاطعه جمال سالم بسرعة:

-ليس لك الحق في هذا الاعتراض ..

وارتفع صوت المرحوم عودة مستنكراً قائلاً:

- لا .. لا ..

وقاطعه جمال سالم مبدياً رأيه فيه وفي المتهمين قائلاً:

- كلام الخبث ده مش عايزينه .. أنا مباحبش المتهمين المحامين .. نجيب لك محامي أحسن ..

واستسلم عودة لقضائه وقدره وقال:

- لا يا أفندم .. أنا حا أدافع عن نفسي ..

ولم تستغرق المحاكمة أكثر من ساعتين .. وكان الحكم الإعدام .. ويوم تنفيذ الحكم نزل عودة يردد في سلالم سجن الاستئناف وهو في طريقه إلى المشنقة .. صائحاً:
- اللهم اجعل دمي نقمة على عبد الناصر ومن عاونه .. اللهم اجعل دمي نقمة على عبد الناصر ومن عاونه ..

إعفاء محمد نجيب:

حقق الرئيس السابق عبد الناصر بمحاولة اغتياله.. سواء كانت حقيقية أو مدبرة هدفين من ثلاثة أهداف .. الهدف الأول: تحقيق زعامة شعبية لنفسه مستغلاً سيكولوجية الشعوب التي تمجد الرجل إذا نجا من مؤامرة لاغتياله خاصة إذا ما واجهها بشجاعة .. كما واجهها بنفسه وارتجل كلمة حماسية بعد المحاولة بلحظات .. والهدف الثاني : إظهار الإخوان المسلمين أمام الشعب بأنهم مجموعة متآمرة مسلحة كانت تهدف إلى تخريب البلاد .. واستطاع بذلك أن يؤثر على عقلية الشعب بحمله على كراهيتهم.

وليس أدل على ذلك مما قاله جمال سالم رئيس محكمة الشعب بعد أن انتهى من سماع أقوال الشيخ محمد فرغلي يوم 22 نوفمبر سنة 1954 وانصرافه فقد توجه جمال سالم بحديثه إلى جمهور الحاضرين في الجلسة وقال .. وحديثه هذا منشور في جميع الصحف الصادرة يوم 23 نوفمبر سنة 1954 ونصه:

فتحتم عينكم وشفتم.. لو كنا جينا قبل الحادث بيومين وقلنا لكم فيه أجهزة سرية مسلحة من الإخوان المسلمين كنتم قلتم علينا كدابين..

أي أن الشعب كان لن يصدق أن الإخوان متآمرون .. لكن بعد حادث محاولة الاغتيال أصبح يصدق .. وهذا القول يشكك في حقيقة الحادث وأن الهدف منه كان التخلص من الإخوان المسلمين..

أما عن التنظيمات السرية في داخل الإخوان المسلمين فقد كان يعلمها عبد الناصر وغيره وأن الهدف منها هو محاربة الاستعمار في الوطن العربي .. ومما يؤكد علمه بوجودها قبل لحادث ما قاله بنفسه يوم 5 سبتمبر سنة 1954 وقبل محاولة اغتياله بأكثر من شهر ونصف شهر .. وكان العمال مجتمعين في المقر الرئيسي

لهيئة التحرير وفاجأهم عبد الناصر بالحضور وألقى فيهم خطاباً .. وكانت العلاقات بين الحكومة والإخوان متوترة في ذلك الوقت .. قال عبد الناصر:

اتجهنا إلى الإخوان على أساس أنهم قوة ربيت على الحق .. وكنا نرجو من هذا خيراً كثيراً، ولكن بدأت الأطماع الشخصية تعمل وبدأ الحقد يداخل النفوس .. لماذا يحكم جمال ولا يحكم الهضيبي .. أرادوا أن يفرضوا وصايتهم فقلنا أننا لا نقبل الوصاية ولكن نقبل التعاون .. وأنا لا أفهم لماذا يؤلف الإخوان منظمات سرية مسلحة..

وهكذا كان عبد الناصر يعلم بوجود المنظمات المسلحة .. ولكنه لم يعمل على ضبطها كشفها لأنه كان يعلم أن الهدف منها هو محاربة الاستعمار .. وأن أحداً لن يصدقه إذا قال أن هدفها هو قلب نظام الحكم .. حتى جاءت محاولة اغتياله وتم القبض على نحو الألف من الإخوان في أيام قليلة مما يؤكد علمه بكافة التنظيمات وأنها لم تكن سرية عنه.

وبقي الهدف الثالث .. الإطاحة بمحمد نجيب من فوق كرسي رئاسة الجمهورية .. وكان نجيب بعد أزمة مارس قد اتفق معه أن يبقى رئيساً للجمهورية فقط وذلك لأن الرجل كان محبوباً من الشعب المصري ومن السودان أيضاً..

وحانت الفرصة للرئيس السابق عبد الناصر من خلال محاكمات الإخوان المسلمين .. وبدأ الشهود يشيرون إلى أن محمد نجيب كان منغمساً مع الإخوان المسلمين في مؤامراتهم لقلب نظام الحكم.

وبدأت الإشارة يوم 11 نوفمبر .. أثناء سماع شهادة هنداوي دوير المحامي .. وهو نفسه المتهم الذي قال أثناء اقتياده إلى حبل المشنقة:

- اتفاقنا مكنش كده ..

قال هنداوي أنه كان في صالون منزل المرشد حسن الهضيبي ودق جرس التليفون ورد أحد الإخوان وقال:

- الرئيس نجيب بيسأل عن المرشد.

وأضاف هنداوي أن المرشد طلب إبلاغه أنه متعب .. وأكد هنداوي أن المتحدث كان هو بنفسه محمد نجيب لأنه كان سامع

صوته من التليفون .. ولكن هنداوي عندما حوصر بالأسئلة من الدفاع عمن حضر هذه الواقعة أجاب:

- كان فيه جماعة من الإخوان ولا أذكر أحداً منهم بالذات .. ويتدرج جمال سالم في الأسئلة مع هنداوي دوير الذي يقول له أنه سمع أنه بعد أن يتم اغتيال عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة كان نجيب سيذيع بياناً لتهدئة الجماهير.

وكانت تلك بداية الخيط .. وفي يوم 14 نوفمبر أكد عدد من الشهود أمام المحكمة أن محمد نجيب كان على صلة بالإخوان المسلمين وأنه كان يتصل بهم أما مباشرة أو عن طريق سكرتيره محمد رياض.

وفي نفس ذلك اليوم قرر مجلس الثورة إعفاء محمد نجيب من رئاسة الجمهورية ونشرت الصحف في اليوم التالي أن المجلس اجتمع وكلف عبد الحكيم عامر وحسن إبراهيم بإبلاغ نجيب إعفاءه وأنهما ذهبا إليه في قصر عابدين وأبلغاه القرار.

وفي نفس الصدد نشرت الصحف بعرض صفحاتها الأولى مانشيت نصه اعترافات خطيرة عن علاقة الإخوان بنجيب .. وجاء بها أن عبد القادر عودة ومحمد فرغلي وإبراهيم الطيب قرروا أنه تم اتفاق بين نجيب والإخوان المسلمين في شهر أبريل على تفاصيل المؤامرة.

وهكذا تم إعفاء محمد نجيب .. وذهب بعيداً لا يعرف أحد شيئاً عنه أو يجرؤ أحد على السؤال عنه .. ذهب ليقيم في فيلا المرحومة زينب الوكيل بالمرج تحت حراسة مشددة .. وتعرض للاضطهاد بل للتعذيب من ضباط صغار من الذين جمعهم عبد الناصر من غرز الحشيش والمواخير كما ذكر ذلك لكمال الدين حسين .. وعاد إلى النور .. وعادت الحرية إليه في عهد الرئيس أنور السادات الذي حطم كل القيود ومسح بيديه كل آثار الظلم والاضطهاد التي تعرض لها نجيب وغيره من الأحرار.

ولم ينس جمال عبد الناصر أن يبرر عدم تقديم محمد نجيب للمحاكمة رغم أنه اتهم بأنه المدير للمؤامرة .. فقد كان يخشى محاكمته وتظهر الحقيقة .. فأعلن في الصحف أنه تقرر عدم محاكمة محمد نجيب وقفل الموضوع نهائياً لتفويت الفرصة على أعداء البلاد (هكذا!!).

وانتهت جلسات محكمة الشعب في أقل من شهر .. فقد بدأت أعمالها يوم 9 نوفمبر وأصدرت أحكامها يوم 4 ديسمبر سنة 1954 وقضت بإعدام سبعة هم: محمود عبد اللطيف وحسن الهضيبي وقد خفف الحكم عليه إلى المؤبد، ويوسف طلعت وإبراهيم الطيب وهنداوي دوير والشيخ محمد فرغلي وعبد القادر عودة. وبالأشغال الشاقة المؤبدة على سبعة آخرين هم: الدكتور خميس حميدة وحسنين كمال الدين ومحمد كمال خليفة ومنير الدلة وصالح أبو رقيق – عضو اللجنة المركزية حالياً – وحامد أبو النصر وعبد العزيز عطية. وبالأشغال الشاقة 15 سنة على كل من أحمد أحمد شربت وعمر التلمساني وببراءة ثلاثة هم: عبد الرحمن البنا والبهي الخولي وعبد المعز عبد الستار .. وكان الثلاثة من أنصار عبد الناصر في مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين .. وقدموا مع زملائهم السابقين بقية أعضاء المكتب الذين صدرت ضدهم أحكام.

وفي اليوم التالي مباشرة 5 ديسمبر سنة 1954 بدأت ثلاث دوائر لمحكمة الشعب تحاكم المئات من الإخوان المسلمين .. ودخل المئات من خيرة الشباب المثقف طلبة بالجامعات وبالمدارس وعمالاً وفلاحين وجنوداً وتجاراً إلى السجون لأنهم كانوا أعضاء بجماعة الإخوان المسلمين.

محاولة مدبرة:

كانت هذه هي بعض الحقائق التي نشرت في جميع الصحف عن حادث المحاولة وعن المحاكمات.. وتردد أنها محاولة مدبرة افتعلها عبد الناصر ليحقق أهدافه الثلاث التي سبق ذكرها .. وقال لي فريد عبد الخالق:

- لا شك أنها كانت محاولة وهمية لاغتيال عبد الناصر .. فلم يكن أحد من المرشد المرحوم حسن الهضيبي إلى أعضاء مكتب الإرشاد يفكر في اغتيال عبد الناصر .. بل أن المرشد هو الذي استجاب لنداء عبد الناصر بحل الجهاز السري عندما طلب منه ذلك وأعلن ((أن لا سرية في الدعوة)).. وعندما رفض عبد الرحمن السندي حل الجهاز عزله وعين يوسف طلعت بدلاً منه تمهيداً لتصفية الجهاز.

وقال فريد عبد الخالق أن المعلومات التي وصلته، هي أن الحكومة هي التي دبرت المحاولة للتخلص من الإخوان .. وأن محمد الجزار الذي كان ضابطاً في القلم السياسي قبل الثورة واتهم بالاشتراك في

حادث اغتيال المرشد السابق المرحوم حسن البنا كان يتردد على مركز الإخوان المسلمين محاولاً تبرئة نفسه أمام قادة الإخوان .. وفي إحدى مرات تردده وكانت العلاقات بين الحكومة والإخوان متوترة سمع المرحوم هنداوي دوير وكان من الشبان المتهورين يردد (لازم نقتل جمال) .. والتقط الخيط وذهب إلى المباحث العامة في محاولة للتقرب من السلطات وأبلغهم أن هنداوي دوير يدبر خطة لاغتيال عبد الناصر.

ووجدها المسئولون فرصة .. تعقبوا هنداوي وعلموا أنه يرأس خلية في امبابة أعضاؤها طلبة بالجامعة والسمكري محمود عبد اللطيف .. ووقع اختيارهم على تدبير المحاولة وإسنادها إلى محمود عبد اللطيف ليكون بداية خيط التخلص من الإخوان.

واختاروا الزمان والمكان .. ونفذوا الخطة .. اختطفوا محمود وأخذوه إلى الإسكندرية ومعه مسدس عثروا عليه في منزله ..

واقتادوا ثلاثة منهم إلى ميدان المنشية .. وأجلسوه في الصفوف الأمامية وأحاطوا به .. وفي لحظة الصفر أطلق أحدهم .. ولابد أنه من أمهر الرماة ثماني رصاصات لم تصب واحدة منها أحداً من الذين فوق المنصة رغم كثرة عددهم باستثناء إصابة سطحية للمحامي أحمد بدر .. بينما أصابت الرصاصات اللمبات الكهربائية..

ويؤكد ذلك أن الجماهير قبضت على ثلاثة كانوا مع محمود عبد اللطيف ثم لم يأت ذكرهم بعد ذلك .. كما أن المسدس الذي كان مع محمود تبين أن طلقاته ليست من نفس نوع الطلقات التي أطلقت .. وبعد الإعلان أنه تم ضبطه وفي يده المسدس عادت الصحف ونشرت أن عامل بناء عثر على المسدس الذي استخدم في الحادث .. واختفت سيرة المسدس الأول تماماً..

كما أن المحكمة لم تستمع إلى أقوال الذين قيل أنهم قبضوا على الجاني وكذلك إلى أقوال عامل البناء الذي قيل أنه عثر على المسدس رغم أهمية شهادتهم .. ولعل ذلك يرجع إلى خوف المسئول عن تدبير الحادث أن يخطئوا في أقوالهم فيكشفوا عن أن الحادث كان مدبراً..

ويضيف فريد عبد الخالق قائلاً:

- ولا شك أنه تم التغرير بمحمود عبد اللطيف وبهنداوي دوير

لسرد اعترافات مملاة عليهما بعد وعدهما بالإفراج عنهما .. يؤكد ذلك ما ردده هنداوي وهو يقاد لحبل المشنقة:

- ضحكوا علينا .. مكانش ده اتفاقنا ..

هذه رواية .. وهناك رواية أخرى ذكرها لي أحد الصامتين وكان سمعها من بعض الإخوان وتتلخص في أن المحاولة تمت بتدبير بين عبد الناصر وهنداوي دوير الذي استطاع أن يقنع محمود عبد اللطيف بضرورة اغتيال عبد الناصر .. وأعطاه المسدس .. ورسم له الخطة .. بينما نفذ إطلاق الرصاص أحد أعوان عبد الناصر بمسدس آخر .. ويؤكد هذه الرواية أن هنداوي دوير قام بتسليم نفسه بعد وقوع الحادث مباشرة .. ولو كان مشتركاً في الجريمة فعلاً لظل هارباً حتى يقبض عليه .. إنما سلم نفسه حتى يسرد اعترافات تطيح بكل جماعة الإخوان .. وبالرئيس السابق محمد نجيب .. على أمل أن يكون له مكان مرموق بعد ذلك .. ولكن عبد الناصر تخلص من الشاهد الوحيد ضده الذي يكشف الحقيقة بإعدامه .. وكان ذلك سبباً في أنه كان يردد وهو في طريقه إلى حبل المشنقة:

- ضحكوا علينا .. مكانش ده اتفاقنا ..

والروايتان قد تكون إحداهما حقيقية.. ولكن الشيء المؤكد أن جميع أعضاء مجلس الثورة في ذلك الوقت كانوا متأكدين أن الإخوان المسلمين أرادوا قلب نظام الحكم واغتيالهم جميعاً .. وهي الصورة التي كان ينقلها لهم عبد الناصر من اعترافات الإخوان المسلمين .. ولكنه كان يخفي عنهم الوسيلة التي يتم بها الحصول على هذه الاعترافات والتي يعرفها كمال رفعت وعلي صبري وصلاح الدسوقي .. ولو كان أحدهم عرف الوسيلة لاعترض وثار عليها .. والدليل على ذلك أن كمال الدين حسين عندما علم في عام 1965 بألوان التعذيب التي يتعرض لها الإخوان المسلمون في المعتقلات سارع وأرسل إلى عبد الناصر رسالته الشهيرة (اتق الله) والتي كانت سبباً في اعتقاله وهو ما تضمنه الباب الخامس من هذا الكتاب..

وبانتهاء محاكمات الإخوان المسلمين انتهت آخر تنظيمات حزبية في البلاد وبقي عبد الناصر يحكم بمفرده بدون دستور حتى عام 1956 عندما أصدر الدستور وبدأت حياة نيابية ديمقراطية .. ولكنها كانت ديمقراطية مزيفة كما سيأتي شرحها في الباب التالي.

الباب الثالث

* الديمقراطية المزيفة.
* أزمة مديرية التحرير بمجلس الأمة.
* استقالة كمال حسين .. والبغدادي.
* إرضاء الجماهير واستقالة أخرى لكمال حسين.
* لفت نظر يرفضه البغدادي وكمال حسين.

الديمقراطية المزيفة:

صدر الدستور المؤقت عام 1956 .. سيعود الحكم إلى الشعب .. ستنتخب طوائف الشعب ممثليها في أول ملس للأمة بعد قيام الثورة يكون مسئولاً عن حماية الشعب ..

ستجري انتخابات حرة مائة في المائة .. سيستطيع كل مواطن أن يدلي بصوته دون خوف أو إرهاب .. الثورة حررت الفلاح من الإقطاع .. أصبح صوته حراً يعطيه لمن يشاء .. الثورة رفعت من مستوى معيشة الفرد .. أصبح في استطاعته ألا يبيع صوته لمرشح مقابل ما يدفعه من ثمن ..

إنها أول مرة تجري فياه انتخابات ستعبر تعبيراً صادقاً عن إرادة الشعب في اختيار ممثليه.

هكذا عاش الناس الآمال العريضة.. وفوجئت مصر بالعدوان الثلاثي بعد شهور من صدور الدستور المؤقت .. وتأجلت الانتخابات لحين طرد العدو من مدن القناة بعد أن احتلها .. واحتفلت مصر بالنصر يوم 23 ديسمبر سنة 1956 بخروج قوات الاحتلال .. وبدأ الاستعداد للحياة الحرة الديمقراطية التي وعد بها عبد الناصر الشعب المصري بعد أن كان حل مجلس الثورة في يونيو سنة 1956..

وبدأ أول اعتداء على الحريات مع بدء المعركة الانتخابية ..كان قد تقدم للترشيح في الدوائر الانتخابية أعضاء مجلس الثورة ووزراء وضباط قيل أنهم من الضباط الأحرار .. وتقدم للترشيح في نفس الدوائر مواطنون عاديون من أبناء هذه الدوائر .. مواطنون صدقوا أن من حقهم تمثيل أبناء دوائرهم التي عاشوا فيها سنوات عمرهم .. مواطنون أحسوا أنهم سيخدمون الدوائر .. أحسن من غيرهم من المرشحين من رجال الحكم ..

وفجأة .. أصدر عبد الناصر بصفته رئيساً للاتحاد القومي قراراً بغلق بعض الدوائر على مرشح واحد .. هو من رجال

السلطة .. وإعادة التأمين لغيره من المرشحين .. وأصبح عدد من أعضاء مجلس الأمة بذلك القرار معينين أعضاء في المجلس .. ومن هؤلاء مجدي حسنين وكان قد رشح نفسه في دائرة قصر النيل .. ورشح الصحفي موسى صبري نفسه عن نفس الدائرة .. ودارت بين الإثنين معركة حامية أكد الخبراء وتقارير استطلاع الرأي العام أن الفوز فيها محقق لموسى صبري..

دخل مجدي حسنين المعركة الانتخابية ورصيده في الدعاية أنه مؤسس مديرية التحرير .. أقام اللافتات مكتوباً عليها ((انتخبوا مجدي حسنين الذي أنشأ مديرية التحرير)).

وكانت الإشاعات بدأت تلاحق مديرية التحرير والحديث عن المبالغ الطائلة التي قيل أنها تنفق عليها وأغلبها يدخل بعض الجيوب الخاصة .. واستغل موسى صبري ذلك فأقام اللافتات مكتوباً عليها ((انتخبوا موسى صبري الذي لم ينشئ مديرية التحرير)).. وأثارت لافتاته ثورة عبد الناصر وكراهيته لأنه تجرأ وهاجم واحداً كان يعتبره عبد الناصر من أخلص المخلصين له .. وكان أن أصدر قراره بإغلاق بعض الدوائر على مرشح واحد .. وطبعاً كان مجدي حسنين هو المرشح الوحيد الذي بقى في الدائرة.

وهكذا كانت بداية الديمقراطية المزيفة .. وتم انتخاب أول مجلس للأمة .. وكان هناك اتفاق مسبق أن يتولى عبد اللطيف البغدادي رئاسة المجلس.

وقال لي حسن إبراهيم:

أنه بعد حل مجلس الثورة في يونيو سنة 1956 قررنا أنا وجمال سالم والبغدادي وكمال حسين الابتعاد نهائياً عن الحياة السياسية .. إلا أن البغدادي وكمال حسين رأيا أن يبقيا اعتقاداً منهما أن بإمكانهما مقاومة الفردية في الحكم التي بدأت ملامحها تظهر وصورتها تتضح بعد أزمة مارس 1954 وإقالة محمد نجيب بعد ذلك وانفراد عبد الناصر برئاسة الجمهورية والوزارة ومجلس قيادة الثورة .. بينما أثرت أنا وجمال سالم الابتعاد نهائياً .. إلا أن عبد الناصر بعد ذلك رأى أن أتولى رئاسة المؤسسة الاقتصادية .. فقبلت على

أساس أن عملي فيها يهدف إلى رفاهية البلد وبعيداً عن السياسة.

* * *

أزمة مديرية التحرير:

وبدأ مجلس الأمة أولى جلساته .. وقال لي عبد اللطيف البغدادي:

* أنني كنت قد عاهدت نفسي أن أجعل من هذا المجلس مجلساً حقيقياً في مراقبة السلطة التنفيذية وإصلاح ما بدأ يظهر من فساد في بعض النواحي .. قررت أن أساعد على إعطاء الحرية لكل عضو يقول ما يشاء ما دام فيه مصلحة الوطن أولاً وأخيراً..

وبدأت أول الأزمات .. الاصطدام بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية على شكل سؤال وجهه العضو عبد المجيد عامر عن استصلاح الأراضي وتناولت مناقشة السؤال مديرية التحرير والتصرفات المالية المشبوهة التي تتم فيها والاعتمادات الكبيرة التي تنفق ولاتؤدي إلى أي ثمار.

وانتهت مناقشة السؤال إلى اتخاذ قرار بتشكيل لجنة تحقيق تنتقل إلى مديرية التحرير وتقدم تقريرها بعد عودة المجلس من إجازته في نوفمبر عام 1957.

وفي خلال الإجازة نشر في الصحف خبر صغير يتضمن أنه تم تعيين ثلاثة من أعضاء مجلس الأمة كمستشارين في مديرية التحرير بأجر .. ولم يذكر في الخبر أسماء الأعضاء الثلاثة ..

وفي نفس اليوم جاء إلى مكتبي بمجلس الأمة سيد جلال عضو المجلس عن دائرة باب الشعرية في القاهرة وقال لي:

- مجدي حسنين بدأ يشتري أعضاء المجلس.. تعيينه أعضاء المجلس في مديرية التحرير ما هو إلا رشوة لشراء صمت المجلس وأنا سأقدم سؤالاً في أول جلسة بعد عودة المجلس من أجازته.

ورددت عليه:

- أن هذا من حقك .. فأنت تمثل الشعب .. وما دمت ترى أي انحراف فواجبك أن تقاومه وتكشفه.

وخرج سيد جلال من مكتبي .. وأحسست بأول أزمة .. فأنا أعلم أن عبد الناصر يحمي مجدي حسنين.. والهجوم على مجدي وكشف ما تردد عن تلاعب في أموال مديرية التحرير سيؤدي إلى أزمة بين عبد الناصر وبين المجلس .. ولكنني كنت عند عهدي الذي اتخذته بيني وبين الله ألا أحجر على كلمة تقال في سبيل الوطن.

واقترب موعد افتتاح الدورة البرلمانية .. يوم 4 نوفمبر سنة 1957 .. وقبل الافتتاح مباشرة تلقيت طلباً موقعاً عليه من عشرة أعضاء لإسقاط العضوية فوراً عن أربعة أعضاء هم محمد مجدي حسنين بصفته المسئول الأول عن المساس بكرامة أعضاء المجلس ومحاولته التأثير عليهم بتعيينه ثلاثة من أعضاء المجلس هم محمود القاضي وأحمد شفيق أبو عوف وإسماعيل نجم مستشارين في مديرية التحرير بأجر .. وقبل الجلسة أيضاً تلقيت خطاباً من رئيس لجنة الصناعة تضمن أن ما نشرته الصحف من تلميح عما وراء تعيين أعضاء بالمجلس في مديرية التحرير بعد إحالة موضوعها إلى لجنة تقصي الحقائق فيه مساس بكرامة أعضاء المجلس.

وقبل بدء الجلسة اتصلت بجمال عبد الناصر بالتليفون وأبلغته بالأمرين .. قلت له أنني سأتحدث عن حرية الصحافة وأن المجلس لا يمكنه أن يحد من هذه الحرية .. فوافقني.. وقلت له أنني أيضاً سأثير موضوع الأعضاء الأربعة وإحالة موضوع فصلهم إلى لجنة الشئون الدستورية .. قال لي:

- اسمع يا بغدادي .. كل واحد منهم يعتذر ويكتفي المجلس بتوجيه اللوم لهم .. وبلاش حكاية الفصل دي ..

فرددت عليه:

- أنا سأتبع لائحة المجلس .. واللجنة هي التي تقرر ما تشاء ..

فقال بضيق:

- طيب ..

وفعلاً افتتحت الجلسة بعد هذا الحديث وبمجرد عقد الجلسة قلت:

أننا نشهد الليلة أمراً خطيراً بالغ الخطورة .. طلب عشرة من حضرات الأعضاء إسقاط العضوية فوراً عن أربعة أعضاء هم

مجدي حسنين ومحمود القاضي وأحمد شفيق أبو عوف – وإسماعيل نجم ..

تم تحدثت عن الرسالة التي بعث بها رئيس لجنة الصناعة وقلت ما معناه أن رئيس المجلس لا يتدخل في حرية الصحافة إلا إذا مست فعلاً كرامه أعضاء المجلس، أما الأعضاء الذين لا يحافظون على كرامة المجلس فليس من واجبي أن أحميهم ما داموا هم الذين فرطوا في كرامتهم بتصرفاتهم..

وصمت البغدادي فترة وكأنه يستجمع في ذاكرته أحداث تلك الجلسة تم استأنف حديثه معي قائلاً:

وبدأت مناقشات عنيفة .. وطلب كل من الأعضاء الثلاثة محمود القاضي وأحمد شفيق أبو عوف وإسماعيل نجم الكلمة للدفاع عن نفسه .. وأعطيت الكلمة لمحمود القاضي .. وتحدث مدافعاً عن نفسه، قال أنه كان في زيارة لمديرية التحرير وأبدى بعض الملاحظات في العمل أعجب بها مجدي حسنين فعرض عليه أن يكون مستشاراً مقابل مكافأة لا تزيد على 480 جنيهاً سنوياً .. وأن هذا التكليف كان يوم 20 أغسطس وقبل إحالة الموضوع إلى لجنة تقصي الحقائق..

وابتسم البغدادي وكأنه تذكر شيئاً وقال:

- وعلى الفور أرسلت أحد موظفي المجلس بورقة لمعرفة تاريخ إحالة موضوع مديرية التحرير إلى لجنة تقصي الحقائق .. فعاد بعد دقائق يحمل الرد وأنه كان يوم 12 أغسطس، أي قبل قرار تكليف العضو بالعمل في المديرية .. وكان العضو ما يزال يتكلم مدافعاً عن نفسه مبدياً اعتذاره عن قبوله العمل .. وقدم في تلك الجلسة 17 اعتذاراً وهو يتحدث .. وبعد أن انتهى من كلامه قلت:

- العضو يقول أن تكليفه بالعمل في مديرية التحرير كان يوم 20 أغسطس وقبل إحالة الموضوع إلى لجنة تقصي الحقائق .. وأنا أرسلت للتأكد من موعد إحالة الموضوع فتبين أنه كان يوم 12 أغسطس..

وحدث هرج وأصوات تقول:

- دي رشوة .. لازم بفصل .. فأعدت النظام للجلسة وأعطيت الكلمة للعضو الثاني وهو أحمد شفيق أبو عوف. وتحدث أبو عوف

على أساس أن علاقته بمديرية التحرير نشأت من قبل عضويته في مجلس الأمة بسنوات وبحكم أنه كان ضابطاً بالقوات المسلحة ومجدي حسنين زميلاً له .. وأنه كان بعد لها الألحان والأناشيد بدون أي مقابل ثم عين مستشاراً موسيقياً لها بمكافأة شهرية 25 جنيهاً وهو مبلغ ضئيل لا يوازي ما يقدمه من ألحان حيث إنه يتقاضى من الإذاعة أكثر من ذلك بكثير، وأضاف أنه لم يكن يعرف أن قبوله ذلك فيه مساس بكرامة المجلس ولم يخطر على باله هذا الخاطر.

وعقب ذلك تحدث العضو الثالث إسماعيل نجم مدافعاً عن نفسه، نفي علمه نهائياً أنه عين مستشاراً قانونياً لمديرية التحرير قرر أنه حدث أشكال بين فرع المديرية في الإسكندرية وبعض الأفراد وأنه تدخل بصفته عضواً في مجلس الأمة عن الدائرة التي يقع بها مقر فرع المديرية محل الأشكال وفوجئ بإرسال المديرية له مكافأة عن عمله. وأكد أنه لا علم له بصدور قرار تعيينه في المديرية.

ودارت مناقشات عنيفة .. بعض الأعضاء كان يرى أن يصدر المجلس قراراً بفصل الأعضاء الثلاثة على أساس أنهم مرتشون وفصل مجدي حسنين على أساس أنه الراشي، والبعض طالب أن يحال الموضوع إلى لجنة الشئون الدستورية وكان يرأسها محمد محمود جلال للتحقيق وتقديم تقرير إلى المجلس خلال 48 ساعة .. وفاز الرأي الثاني بالأغلبية وأحيل الموضوع إلى اللجنة لتحقيقه.

وأشعل البغدادي سيجارة، ونفث دخانها في الهواء وقال والابتسامة على شفتيه:

- ذكريات حلوة .. كنت أريد أن أرسي قواعد دستورية في البلد وأن المنحرف مهما كان مركزه يجب أن يلقى جزاء انحرافه .. ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يناله ..

وسكت لحظة ثم استأنف حديثه قائلاً:

بدأت اللجنة عملها في نفس الليلة واستمعت إلى أقوال الأعضاء الثلاثة. . وعكفت في اليوم الثاني على كتابة تقريرها .. وفي ذلك اليوم اتصل بي زكريا محيي الدين تليفونياً وقال لي:

- الريس بيقولك بلاش المجلس يفصل مجدي وكفاية يفصل الأعضاء الثلاثة..

فرددت عليه:
- أنا يا زكريا لا أتدخل في أعمال المجلس.
فقال لي:
- طيب اتصل بالريس في القناطر وبلغه ذلك.
فاتصلت بجمال عبد الناصر في استراحة القناطر وعندما سمع صوتي قال لي:
- يا بغدادي أنا شايف بلاش حكاية فصل مجدي حسنين لأنه مهار جداً وكلمني وهو منهار تماماً..
فرددت عليه قائلاً:
- أن بقاء مجدي وفصل الأعضاء الآخرين سيفسر على أنك تسانده وتؤيد الانحرافات .. وأنا شايف أننا نترك المسألة لتقدير اللجنة .. فقال بسرعة:
- طيب .. لك حق ..
وفي نشرة الأخبار بالإذاعة في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر نفس اليوم أذيع نبأ عزل مجدي حسنين من إدارة مديرية التحرير.
وفي اليوم التالي .. الأربعاء 6 نوفمبر المحدد لسماع تقرير لجنة الشئون الدستورية المتضمن نتيجة تحقيقها .. وقبل موعد الجلسة ذهبت إلى جمال عبد الناصر في منزله بمنشية البكري وكان زكريا محيي الدين موجوداً، وقلت له:
- أنا سمعت من بعض أعضاء المجلس أن اللجنة وجدت أن الأعضاء قد أخطأوا وبذلك فإنها سترى فصلهم.
فرد علي قائلاً:
- بلاش حكاية الفصل دي .. كفاية أنهم يعتذروا ويقدم لهم النوم .. وهو نفس الرأي الذي سبق أن أبداه.
وقلت له:
- أنا ألن أتدخل وسأترك للأعضاء الحرية في اتخاذ القرار الذي يرونه بالنسبة لزملائهم ..

وانصرفت إلى المجلس .. وعقدت الجلسة وبدأنا ننظر جدول الأعمال العادي مؤجلين سماع تقرير اللجنة لعدم انتهاء طبعه وتوزيعه على الأعضاء .. ثم رفعت الجلسة للاستراحة .. وعدت إلى مكتبي .. وأثناء جلوسي به دخل العضو سيد جلال وقال لي:

- لطفي وأكد في البهو الفرعوني بينشر وسط الأعضاء أن عبد الناصر غير موافق أن بغدادي يذبح الأعضاء وأنه ستحدث قنبلة في الجلسة ولن يفصل أحد ..

فقلت له:

- أنت تمثل الشعب يا سيد وتستطيع أن تقول في الجلسة ما تريده .. وخرج سيد جلال، فأدرت قرص التليفون وطلبت جمال عبد الناصر .. نقلت إليه صورة ما يحدث في البهو الفرعوني كما ذكره لي سيد جلال .. ففوجئت به يقول لي:

- هو أنا ما قلتش لك؟

ووجدتني أسأله:

- قلت لي على إيه؟!

فأجاب بصوته المليء بالمعاني:

- اللجنة الدستورية وجدت أنه لا محل لمؤاخذة الأعضاء الأربعة.

فصرخت في التليفون غيظاً قائلاً:

- ده يبقى شغل عيال ..

وأنهيت المكالمة وجلست في حالة غيظ شديد .. شعرت برغبة أن أخرج إلى البهو الفرعوني وأضرب كل من يردد أنني أردت ذبح أعضاء المجلس ومنعني عبد الناصر ..

وانتهى طبع التقرير .. ووزع على الأعضاء .. واستأنفت عقد الجلسة .. ووقف العضو يواقيم غبريال مقرر لجنة الشئون الدستورية يتلو تقرير اللجنة .. وجاء في التقرير بعد استعراض أقوال الأعضاء الثلاثة والتأكد من تعيينهم في مديرية التحرير بعد صدور قرار إحالة موضوعها إلى لجنة تحقيق برلمانية، أن اللجنة رأت بحث وضع مؤسسة مديرية التحرير ومركزها القانوني وطبيعة أموالها وهل هي عامة أم خاصة ودستورية الجمع بين عضوية المجلس وتقاضى مكافآت منها..

وتبين للجنة أن المؤسسة عامة لها شخصيتها الاعتبارية وتعتبر أموالها أموالاً خاصة، على أن حصولها على المال من الميزانية العامة لا يجعل مالها عاماً، وأن الأموال التي تخصص لها تدخل في ذمتها وتعتبر أموالاً خاصة طبقاً لقانون المؤسسات.

وعلمت بعد ذلك أن أعضاء اللجنة تعرضوا لضغط شديد من محمد فهمي السيد المستشار القانوني لعبد الناصر وزوج ابنة شقيقة زوجته حتى يتضمن تقريرهم هذا التفسير في أن مديرية التحرير مؤسسة خاصة حتى لا تخضع لرقابة مجلس الأمة.

فصل السلطات:

وقبل أن يواصل البغدادي روايته .. وحتى أكون منصفاً للتاريخ سألت المستشار السابق محمود عبد اللطيف وقد كان سكرتيراً للجنة الدستورية عن واقعة تدخل المرحوم المستشار محمد فهمي السيد . . قال:

- الحقيقة .. في أول يوم أحيل فيه موضوع التحقيق مع الأعضاء إلى اللجنة الدستورية جاءني محمد فهمي السيد وكنا مجتمعين وهمس لي قائلاً:

- الحقيقة عبد الناصر عايزكم تبرأوا الأعضاء الثلاثة.

فقلت له في حدة:

- روح قل لعبد الناصر عيب .. مش محمود عبد اللطيف الذي يمكنك أن تستغل علاقتك به ليخالف ضميره .. وقل له يا ريته طلب مني بنفسه هذا الطلب حتى يسمع ردي لأنني واثق أنك لن تستطيع أن تنقله له كما هو.

وكانت علاقتي بعبد الناصر وطيدة جداً .. علاقة عائلية مع أهله في أسيوط .. وكانت الأبواب تفتح لي في أي وقت حتى غرفة نومه لألقاه.

وانصرف محمد فهمي السيد .. وسألني المرحوم محمد محمود جلال رئيس اللجنة عما كان يريده فهمي السيد فقلت له ضاحكاً:

- ولا حاجة .. أهي حاجة من الحاجات اللي بيهلوس بها ..

وكان فهمي السيد يفاجئنا في اجتماعات اللجنة بأفكار غريبة .. منها مثلاً أنه جاءنا يوماً يقول:

- أن مبدأ فصل السلطات أصبح موضة قديمة ويجب أن نبحث عن مذهب يجمع بين السلطات..

وسألته :

من الذي قال لك ذلك؟

فأجاب:

- الرئيس عبد الناصر ..

وردنا عليه أنا والمرحوم محمد محمد جلال قائلين في نفس واحد:

- الحمد لله أنه مش منتسكيو أو السنهوري أو غيرهما من أساطين القانون الدستوري ...

وبعد تلاوة التقرير أخذت الأصوات على الموافقة عليه .. وجاءت بالإجماع .. ويرجع ذلك إلى أن عبد الناصر طلب من علي صبري أن يتكتل نواب الشرقية مع التقرير وطلب من شقيقه الليثي عبد الناصر تكتل نواب الإسكندرية مع التقرير .. ورفعت الجلسة وعدت إلى غرفتي أكاد انفجر من الغيظ وكان جالساً بها زكريا محي الدين وحسين الشافعي . ولم يكد الإثنان يرياني حتى قالا:

- أنت بقيت سياسي خطير..

وعدت إلى المنزل في تلك الليلة .. كنت أشعر بالألم لما شاهدته من تلاعب بالديمقراطية .. وفي صباح الخميس استيقظت على تليفون من كمال الدين حسين وقال لي:

- يا بغدادي أنا بعت لك جواب.

فقلت له:

- إيه .. خير؟

وقال سريعاً:

- استقالة من هذا المجلس .. بأه ده معقول يا ناس مديرية التحرير تبقى مؤسسة خاصة .. أنا مش ممكن أفضل في مجلس يوافق على كده.

وسألته:

- أنت كلمت جمال؟

فأجاب:

- لأ .. وأكلمه ليه ..

وانتهت المكالمة .. وعندما توجهت إلى مكتبي وجدت خطاب استقالة كمال حسين على مكتبي .. وكان نصه:

السيد رئيس مجلس الأمة

أرجو أن تعرضوا على المجلس قبول استقالتي من عضويته راجياً لكم وللمجلس دوام السداد والتوفيق في العمل لخير الوطن.

كمال الدين حسين

1957/11/7

وكانت عادتي أن أتلو الرسائل التي تصلني في بداية جلسة يوم الإثنين من كل أسبوع، فوضعت الرسالة في ملف الرسائل التي سأتلوها يوم الإثنين التالي وفي نفس الوقت اتصلت بجمال عبد الناصر تليفونياً وقلت له:

- كمال بعت لي استقالة من عضويته بالملجس.

فسألني:

- ليه ؟

وقلت له بسخرية:

- لأن مديرية التحرير طلعت مؤسسة خاصة!!

فأنهى المكالمة قائلاً:

- طيب .. طيب ..

واتصل عبد الناصر بكمال حسين وطلب منه سحب الاستقالة، وتظاهر كمال بالموافقة .. واعتقد عبد الناصر أن كمال سحب استقالته .. ولكن جاءت جلسة يوم الإثنين ولم يكن كمال حسين سحب الاستقالة .. وقررت أن أستقيل أنا أيضاً .. وظللت ليلة الجلسة ساهراً أفكر في النتائج .. ووجدتني أحسب دخلي بعد الاستقالة .. سأتقاضى معاشاً 125 جنيهاً يخصم منه ضرائب 17 جنيهاً ونصف جنيه ولدي التزامات شهرية حوالي سبعين جنيهاً وبذلك لن يبقى لي سوى سبعة وثلاثين جنيهاً ونصف .. وسألت زوجتي:

- نقدر نعيش بهذا المبلغ..

فأجابتني متساءلة:

- ليه؟

وقلت لها:

- أنا قررت الاستقالة وهذا المبلغ هو الباقي من المعاش بعد سداد كافة الالتزامات.

فقالت:

- نسيب مصر ونروح نقعد في البلد "شاوة" عندكم . ونمت مرتاحاً .. بعد أن استقر رأيي على الاستقالة.

عصابة تمسك البلد:

ونعود الآن إلى تكملة رواية البغدادي الذي قال:

واستيقظت في الصباح.. وجاءني وجيه أباظة في المنزل .. وكان هو الوحيد الذي أعلنته بنيتي على الاستقالة لما كانت تربطني به من علاقة .. وطلبت منه ألا يبلغ أحداً بشيء .. ولا جمال نفسه .. قلت له أنني يا وجيه سأستقيل .. سأقول لأعضاء المجلس أن هناك عصابة تمسك البلد والنهاردة تأكد لي أنه ليس هناك شيء اسمه حرية أو ديموقراطية وأنني كنت أحاول أن أجعل من مجلس الأمة حاجة كبيرة تواجه أي انحرافات ولكن تيار الفساد أقوى من الآمال ..

وانصرف وجيه أباظة .. ثم في المساء ذهبت إلى المجلس .. ودخلت إلى القاعة مبكراً .. وجلست فوق المنصة وكان عدد الحاضرين يفوق عدد الذين اعتادوا الحضور في كل جلسة، وبمجرد أن عقدت الجلسة بدأتها قائلاً:

- السادة الأعضاء .. وصلتني رسالة من السيد كمال الدين حسين يوم الخميس الماضي سأقرأ عليكم نصها ..

وتلوت الرسالة..

وساد الهرج في القاعة .. وارتفع صوت من آخر القاعة .. صوت زكريا لطفي جمعه عضو المجلس عن دائرة مصر الجديدة يقول:

- لا تقبل .. لا تقبل .. نرفضها بشدة..

وارتفعت أصوات تقول:

نوسط رئيس المجلس في الاتصال بالسيد كمال حسين لإقناعه بالعدول عن الاستقالة ..

وقلت لهم:

- رئيس المجلس له رسالة كمان ..

ثم أشرت لوكيل المجلس أن يصعد إلى المنصة ليرأس الجلسة وأنزل إلى مقاعد الأعضاء لأقول رسالتي بصفتي عضواً وكما تقضي

اللائحة وحدثت مناقشات لم يحن الوقت بعد للكشف عنها حول علنية أو سرية الجلسة ثم عقدت الجلسة سرية فلم اقرأ استقالتي.

وغادرت القاعة واتجهت إلى مكتبي وكان به زكريا محي الدين وعلي صبري ومحمود الجيار .. وكنت في حالة ثورة .. ساخطاً .. وقال لي زكريا:

- نشيلوه بأه .. وكان يقصد عبد الناصر

ولم أرد .. وأخذ علي صبري يتنقل من غرفتي إلى الغرفة المجاورة ليبلغ عبد الناصر بكل حرف ..

وانقطعت عن الاتصال بعبد الناصر .. وانقطعت عن الذهاب إلى المجلس .. وفي يوم كنت في نادي هليوبوليس .. وفوجئت باستدعائي للتليفون .. كان المتحدث عبد الناصر الذي بادرني متسائلاً:

إنت بطلت تكلمني ليه؟

فقلت له:

- انت صعيدي .. وأنا فلاح .. والمفروض انك انت اللي تسأل عني بعد ما حدث.

وقال لي:

- طيب تعالى عايزك حالاً.

ورددت عليه:

- أنا مش فاضي دلوقت .. بعد الظهر سأمر عليك.

وفعلاً ذهبت إليه في المساء .. ووجدت يسألني:

- حقيقي ((الأصفراوي)) .. وكان يقصد زكريا محيي الدين وكان دائماً يصفه بذلك .. قال لك نشيلوه.

وسألته:

- ليه بتسأل؟

فقال:

- أنا عارف إنه قال كده .. هو فاكر نفسه يقدر يشيل غفير أما يشيل رئيس جمهورية..

خيال..

وكانت كلمة زكريا محيي الدين التي قالها في حضور علي صبري ومحمود الجيار هي التي جعلت البعض يتصورها أنها محاولة جدية لعزل عبد الناصر ونسج من حولها القصص وترك لخيال البعض مثل محمود الجيار أن يدعي أن عبد الناصر طلب من كمال حسين والبغدادي وزكريا أن يقدموا استقالاتهم .. وهو ما لم يحدث لسبب بسيط أن كمال حسين وأنا كنا فعلاً قد قدمنا استقالاتنا بعد مهزلة مديرية التحرير مباشرة.

ويعود البغدادي لتكملة حديثه ن بقية ما حدث في لقائه مع عبد الناصر فيقول:

وانتقل الحديث بعد ذلك إلى ضرورة عودتي إلى المجلس أنا وكمال حسين حتى لا يقال أن الثورة فشلت في أول تجربة ديمقراطية لها .. ووعدته بالعودة ..

وكانت هذه أول أزمة وصدام بسبب تمسكنا بتطبيق الديمقراطية السليمة .. ورغبة عبد الناصر تطبيق شيء آخر . ولم تكن آخر أزمة .. فبعد أقل من شهر حدثت الأمة الثانية بسبب سياسة التعليم.. وكان بطلها في تلك المرة كمال الدين حسين.

* * *

إرضاء الجماهير :

وروى لي كمال الدين حسين قصة الأزمة الثانية .. قال: تقدمت ببيان سياسة وزارة التربية والتعليم إلى مجلس الأمة وأحيل إلى لجنة التربية والتعليم وتمت الموافقة عليه.. وكان البيان نتيجة عمل لجنة تضم كبار رجال التعليم في مصر .. فقد كنت من المؤمنين أن أهل الخبرة هم الذين يجب أن نستمع إلى آرائهم وبالذات في الموضوعات التي تتعلق بمستقبل البلد والأجيال .. وكان البيان يتضمن خطة التربية والتعليم لمدة 20 سنة .. كان يتضمن اهتماماً بالتعليم الفني والمهني..

ثم تبدو الحسرة في صوته وهو يقول:

- أن الخطة التي تضمنها البيان .. وكم أتمنى الرجوع إليها لو كانت نفذت لكان موقف مصر الآن موقفاً مختلفاً تمام الاختلاف .. ولما كان في مصر أمي واحد ولما انهار التعليم العالي والتعليم الفني .. ولما أحسسنا بنقص في الفنيين لتشغيل مصانعنا ..

وبعد أن تمت الموافقة على البيان وصل إلى علمي أن عدداً من أعضاء المجلس المعروفين بميولهم الشيوعية يحاولون جمع رأي عام في المجلس للموافقة على تعديل نظام الجامعات، بفتح باب الانتساب بدون قيد ولا شرط وكانت مجالس الجامعات حددته بالناجحين الحاصلين على مجموع 50% من الدرجات وكذلك بالتجاوز عن عدد سنوات الرسوب في السنة الدراسية الواحدة .. ولم أهتم في بادئ الأمر .. إلا أنه حدث في أحد اجتماعات مجلس الوزراء .. وكان يرأسه جمال عبد الناصر أن قال لي أثناء الجلسة.

- يا أبو كمال ما تسيب باب الانتساب في الجامعات مفتوح للجميع .. عايزين الناس تبقى مبسوطة.

وقلت له:

- مش ممكن يا ريس .. احنا حددنا القبول لمن نجح وحصل على 50% أما غيرهم فلن تكون هناك أماكن لاستيعابهم ولا أساتذة ولا مدرجات.

فابتسم وقال:

- بكره تشوف مجلس الأمة حيعمل لك إيه.

ولم أعر الأمر اهتماماً في البدء .. إلا أنني فوجئت أن عدداً من الأعضاء تقدموا إلى المجلس بمشروع قرار برغبة بإباحة الانتساب للكليات النظرية في الجامعات الثلاث .. وكانت وقتئذ جامعات القاهرة وعين شمس والإسكندرية، لجميع الحاصلين على الثانوية العامة دون التقيد بحصولهم على 50% .. تقدموا بهذا المشروع يوم 2 ديسمبر .. وبدأت جلسات مناقشته .. وأحيل إلى لجنة التربية والتعليم .. ولأول مرة لم تتخذ اللجنة قراراً محدداً .. فقد عارض المشروع عدد من أعضاء اللجنة وأيده عدد من الأعضاء .. لم تصل اللجنة بذلك إلى قرار .. وطبقاً للائحة فقد أعيد مشروع القرار برغبة إلى المجلس لمناقشته .. وتحددت جلسة الثلاثاء 10 ديسمبر 1957 لهذه المناقشة..

بيان كمال حسين:

وقد بدأت الجلسة متأخرة عن موعدها في المساء بسبب وفاة أحد الأعضاء وهو المرحوم حسن عطية بالسكتة القلبية في البهو الفرعوني .. وبدأ عدد الأعضاء الحاضرين يتناقص مع مرور

الساعات .. وقبيل منتصف الليل جاء دور مناقشة مشروع القرار بالرغبة ولم يكن باقياً بالجلسة إلا عدد ضئيل هم أصحاب المشروع بقرار برغبة .. ووقفت لأبدي رأيي في المشروع بقرار .. قلت:

- لقد راجعت الجامعات في إمكان قبول منتسبين جدد فكان قرارها بالرفض لسبعة أسباب.

وكنت فعلاً قد راجعت الجامعات لإيماني أن أهل الخبرة هم ألاحق بإبداء الرأي .. ولأنني من المؤمنين أن السعي لإرضاء بعض الجماهير بإقرار ما يضر بوطنهم لا يقبله إنسان حر مخلص لوطنه.

وذكرت الأسباب السبعة وهي: ثم قام إلى مكتبه وأخرج ملفاً بدأ يتصفح أوراقه وقرأ من إحداها:

أولاً: منافاة نظام الانتساب للتعليم الجامعي ووجوب إلغائه في أقرب فرصة.

ثانياً: الضرورة المؤقتة هي التي دعت الجامعات لقبول العدد الكبير من المنتسبين هذا العام.

ثالثاً: أن نسب النجاح بين المنتسبين ضعيفة ولا تتناسب مع الجهد الذي يبذل معهم والأفضل أن يجدوا فرصاً للعمل بالشهادة الثانوية بدلاً من إضاعة الوقت والبحث عن العمل مرة ثانية.

رابعاً: هيئة التدريس قاصرة عن أن تقوم بهذا العبء الكبير.

خامساً: أن إمكانيات عقد الامتحانات وتصحيح أوراق الطلبة بشكل يتفق مع العدل إمكانيات قليلة في الوقت الحاضر .. فإن الوقت الطويل في إجراء التصحيح يشغل هيئة التدريس عن الإطلاع والبحث العلمي.

سادساً: مستقبل خريجي الكليات النظرية مهدد بالبطالة وليس هناك ما يدعو إل تفاقم المشكلة.

سابعاً: انقضى من الفصل الدراسي الأول معظمه ولم يبق سوى شهر واحد على الامتحان.

واستمرت المناقشة حتى بعد منتصف الليل .. وبعد قفل باب المناقشة أخذت الأصوات فنال مشروع القرار برغبة أغلبية كانت في الواقع أقلية لانصراف أغلب الأعضاء ولم يبق إلا مؤيدو

المشروع فقط .. ووجدت نفسي أنني لن أنفذ تحبقي هذه الرغبة لأنها ضد الصالح العام وليس الغرض منها إلا كسب رخيص لإرضاء بعض الجماهير .. وتنازعتني العوامل هل أبقى في منصبي ولا أنفذ قرار الرغبة .. فأكون ديكتاتوراً .. أم أستقبل وأترك المجال لغيري لتحقيق رغبة المجلس فأكون ديموقراطياً .. ولما كنت من غير المستوزرين والذين يحافظون على المنصب وحتى لو كان ضد ما يمليه الواجب نحو الوطن فقد قررت أن أستقيل وذهبت إلى مكتبي في الوزارة وكتبت استقالتي .. وطلبت جمال عبد الناصر تليفونيا وأصررت أن أقابله في نفس الليلة .. وقدمت له استقالتي بعد منتصف الليل.

وقام كمال حسين من مكانه ودخل غرفة مكتبه وأحضر صورة من خطاب استقالته ونصه:

السيد رئيس الجمهورية

لقد عهدتم إلي القيام بأعباء وزارة التربية والتعليم، وقد حاولت جهدي أن أؤدي واجبي بما يرضي الله والوطن والضمير مترسماً مبادئ الثورة المجيدة، عاملاً على خدمة بني وطني بكل ما أوتيت من قوة.

ولكن يظهر من قرار مجلس الأمة في جلسة اليوم أنه غير مقتنع بما أوردته في بياني خاصاً بموضوع الانتساب في الجامعات وما رأيته عن اقتناع وبعد استشارة المجلس الأعلى للجامعات ومجالس الجامعات المختلفة.

ولما كنت أجد نفسي إزاء ما عاهدت به ربي وضميري من ألا أقدم على عمل إلا إذا كنت مقتنعاً به تمام الاقتناع وبفائدته للوطن والمواطنين الذين أبذل نفي دائماً في خدمتهم.

ولما كنت أجد نفسي غير قادر على تنفيذ هذه الرغبة من المجلس، فإني أرجو أن تتفضلوا بقبول استقالتي من وزارة التربية والتعليم، راجياً لكم دوام التوفيق في الأخذ بيد الوطن إلى مراقي العز والسؤدد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص

كمال الدين حسين

وانتظر كمال حسين حتى انتهيت من نقل استقالته واستأنف حديثه قائلاً:

- تركت الاستقالة لعبد الناصر معلناً إصراري عليها، وعدت إلى منزلي واعتكفت به، وجاءني في الصباح الأخ بغدادي محاولاً إقناعي بالعدول عن قراري .. ولكنني أبلغته إصراري عليها .. وبدأ توافد أعضاء مجلس الأمة إلى منزلي يحاولون إقناعي هم الآخرون بسحب استقالتي على أساس أن القرار برغبة لا يلزم الوزير تنفيذه .. إلا أنني كنت مصراً على الاستقالة .. اعتبرت أنها مناورة لإحراجي برفض سياسة التعليم التي كنت رسمتها ..

عبد الناصر يزورني:

وفوجئت بعبد الناصر يحضر إلى منزلي في المساء .. مساء يوم 11 ديسمبر وحاول إقناعي بسحب الاستقالة .. ولكنني رفضت .. وبعد انصرافه زارني رؤساء الجامعات الثلاث يؤيدون موقفي .. ويعلنون لي أنهم سيعقدون المجلس الأعلى للجامعات لمناقشة الموقف.

وفي اليوم التالي .. يوم 12 ديسمبر زارني المرحوم الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي ومكث معي أكثر من ساعة وأعلن تأييده لي واحترامه لقراري..

ونشرت جريدة (الأخبار) تصريحاً لأستاذ الجيل المرحوم أحمد لطفي السيد قال فيه .. وبدأ كمال حسين يتلو من الملف الذي كان قد سحبه من مكتبه تصريح لطفي السيد الذي نشر (بالأخبار) ونصه:

- أن كمال الدين حسين على حق، بل على ألف حق .. فما كان لمجلس الأمة أن يتخذ قراراً وهناك مجلس أعلى للجامعات، وأنا أعلم أن كمال الدين حسين رجل يعرف ما يقول وحريص على عمله وعلى مركزه ولو كان من عادتي أن أهنيء الناس لهنأته على موقفه، ولذلك فلن أهنئ كمال الدين حسين، فلا تهنئة على واجب ..

وفي نفس اليوم اجتمع المجلس الأعلى للجامعات برئاسة المرحوم محمد كامل مرسي مدير جامعة القاهرة وحضور الدكتور السعيد مصطفى السعيد مدير جامعة الإسكندرية والدكتور أحمد بدوي مدير جامعة عين شمس وجميع العمداء وأصدر قراراً بعدم قبول المنتسبين إلا في حدود الشروط التي سبق أن تم الإعلان عنها.

وفي يوم الأحد 15 ديسمبر طلب عبد الناصر أن يقابلني .. وحضر المقابلة المشير عبد الحكيم عامر .. وتم الاتفاق أن يرفض عبد الناصر الاستقالة على أن يعلن أن السياسة التي يعرضها الوزراء على مجلس الأمة لوزاراتهم هي تعبير عن سياسة الحكومة .. ووافق عبد الناصر .. وانتهت الأزمة بعد أن جعلت عبد الناصر يقر سياستي ولا يسعى إلى كسب لإرضاء الجماهير على حساب الصالح العام.

ولكن هل انتهت محاولات عبد الناصر عند هذا الحد بالنسبة لكل من كمال حسين وبغدادي .. أنه كان يشعر أن الإثنين يكونان جبهة ضده .. وأنهما يعوقان تحركه في تحقيق أغراضه .. وكان الإثنان موضع احترام المواطنين .. الصحف المحلية والعربية تسعى للحصول على أحاديث منهما .. وأثار ذلك عبد الناصر .. فقد كان لايريد أن تتحدث أجهزة الإعلام عن أحد خلافه .. ومن أجل ذلك أرسل خطاباً دورياً إلى جميع نوابه والوزراء يوم 21 أغسطس عام 1958 جاء به:

"أنني لاحظت وبكل أسف – في الأيام الأخيرة- الجري وراء الصحف والصحفيين وتوزيع نشرات عليهم تهدف لدعايات شخصية والتسابق في نسبة الأعمال للأشخاص "..

ويضحك البغدادي ويقول:

تسلمت هذا الخطاب يوم 23 أغسطس وكان سكرتيري قد أخفاه عني يومين .. وعندما قرأت مضمونه .. وأحسست أن عبد الناصر يقصدني أنا وكمال حسين بالذات بهذا الخطاب ولكنه لم يجرؤ على أن يخصنا به فأرسله على هيئة خطاب دوري .. قررت أن أستقيل فوراً .. وفعلاً بعثت له يوم 24 أغسطس باستقالة طويلة أذكر بعض ما تضمنته وهو:

"حاشا لله.. أننا لا نجري وراء الصحف والصحفيين، وأن نفسي وعزتي تأبى على هذا وأنكم لتعلمون أن كرامتي هي أعلى عندي من أي شيء في الحياة وعليها تتوقف حياتي كلها بل وسعادتي في تلك الحياة، ولم تخرج جنباً إلى جنب ليلة 23 يوليو 1952 إلا للدفاع عن هذه الكرامة والقتال في سبيل حريتنا، ولقد استهان كل فرد منا بالحياة في ذلك اليوم، وأنني ما زلت استهين بها حتى الآن لنفس الأسباب، وأنني أؤمن تمام الإيمان أن الثورة لا يمكن أن تحقق

أهدافها التي سعينا جميعاً إلى تحقيقها إلا إذا توافرت الثقة المتبادلة بيننا وروح التعاون الكاملة حتى يمكن لها أن تسير في الطريق الذي رسمه الله لها، ولكنني أشعر أن هذه الثقة لم تصبح بالقوة التي كنت أتمنى أن تكون عليها، لذا أرجو أن تعفيني من تلك المسئوليات التي أوكلتها إلي، متمنياً لك ولزملائك في الكفاح النجاح والتوفيق دائماً لما فيه خير الوطن والعرب.
وتفضلوا بقبول احترامي..

إمضاء
عبد اللطيف البغدادي
1958/8/24

أما كمال الدين حسين فقد قال:
- عندما تسلمت الخطاب سألت عن عبد الناصر. علمت أنه في استراحة برج العرب. . وركبت سيارتي وسافرت إليه .. وبمجرد أن دخلت ألقيت أمامه بالخطاب وقلت له:
- أنا لا أقبل أبداً أن يوجه لي خطاب بمثل هذه الصيغة.
فابتسم ابتسامته الماكرة وقال:
- أنت زعلت يا أبو كمال .. أنا مش قاصدك ولا أقصد أحداً من الإخوان. أنا أقصد بعض الوزراء الذين لا يكفون عن الإدلاء بالتصاريح عن نشاط كاذب لوزاراتهم.
وقدم عبد الناصر نفس الاعتذار إلى البغدادي .. وعادت الأمور طبيعية .. وكان الكل في ذلك الوقت لا يتحدث إلا عن العمل لكي تنجح الوحدة مع سوريا التي كانت قد أعلنت في فبراير من نفس العام .. وللوحدة مع سوريا قصة في الباب التالي يرويها البغدادي وكمال حسين.

الباب الرابع

* الحديث عن اتحاد مع سوريا.
* وفد برئاسة ضابط شيوعي يطلب الوحدة.
* البغدادي يرفض أن يكون حاكماً لسوريا.
* القوانين الاشتراكية.
* الانفصال والبحث عن تغيير القيادات.
* حرب اليمن.
* مجلس الرئاسة واستقالة البغدادي.
* دستور 1964.

الوحدة مع سوريا

الزمن .. الشهور الأخيرة من عام 1957

الحديث يزداد في سوريا عن الرغبة في قيام وحدة بينها وبين مصر .. وكان شكري القوتلي قد عاد إلى رئاسة الجمهورية في سوريا بعد سلسلة من الانقلابات العسكرية التي قام بها قادة الجيش .. وساءت حالتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. ثم حدث الانقلاب الأخير وسيطر الضباط البعثيون على الحكم وبدأوا العمل على تحقيق شعار حزبهم "الوحدة" بادئين بعرض الوحدة مع مصر لتكون نواة وحدة عربية شاملة.

وفي ذلك الوقت كان عبد اللطيف البغدادي رئيساً لمجلس الأمة .. وكمال الدين حسين وزيراً للتربية والتعليم .. وتلقى مجلس الأمة المصري دعوة من مجلس الأمة السوري أن يقوم عدد من الأعضاء بزيارته .. وتم تشكيل وفد من 40 عضواً برئاسة أنور السادات وكيل المجلس وسافر إلى دمشق .. وقوبل بترحاب شديد .. وتولى السادات رئاسة جلسة من جلسات مجلس الأمة السوري تعبيراً عن الوحدة الكاملة للشعبين السوري والمصري.

وحضر إلى القاهرة وفد عسكري سوري يضم 24 ضابطاً برئاسة اللواء عفيف البزري يطلب الوحدة الفورية مع مصر .. وكان الاتفاق أن يقوم في البداية اتحاد بين الدولتين يتحول إلى وحدة شاملة ..

ووافق عبد الناصر على الوحدة الشاملة رغم معارضة زملائه.

وقبل أن يعلن موافقته اجتمع بهم .. وقال كل منهم رأيه في الوحدة مع سوريا ..

قال لي كمال الدين حسين:

- قلت لعبد الناصر أن يرفض الوحدة ويكتفي بالاتحاد ..

وسألني:

- ليه يا كمال؟

فقلت له:

- أنني لا أثق فيهم .. وأرى أن البعثيين المسئولين على السلطة في سوريا حالياً عملاء .. وميشيل عفلق وجورج سعادة دول أكبر عملاء .. ويعملون ضد الإسلام واعتقادي أن الوحدة مش حتنفع .. إنما يريدون الاستناد إلينا فترة من الزمن حتى تقوى حركتهم ثم ينفصلون.

ويصمت كمال حسين لحظة ثم يقول:

- ورفض الأخذ برأيي .. وكانت الوحدة ثم الانفصال .. وقد كان عبد الناصر أيامها يبحث عن الزعامة.. وقد قال لجمال سالم مبرراً قبوله الوحدة أن البلد فيه مليون مشكلة وقبولي الوحدة هو الحل الوحيد لتغطية كل الفشل.

وأتوجه إلى عبد اللطيف البغدادي أبحث لديه عن معلومات عن ظروف قيام الوحدة مع سوريا .. ويقول لي:

- عارضت قيام الوحدة بعد أن عرضها عفيف البزري .. قلت لعبد الناصر أن البزري شيوعي وهو عندما يعرض الوحدة بدلاً من الاتحاد يريد أن يحقق أحد أمرين..

* إذا رفضنا الوحدة سارع وأعلن أن مصر ترفض مبدأ وحدة الدول العربية وبذلك تفقد زعامتها في الدول العربية ..

* وإذا قبلنا الوحدة فسيكون هم الذين سعوا إلى تحقيقها ثم يعملون على تقويضها ويلقون باللوم علينا .. وتفقد مصر زعامتها للأمة العربية..

وفاجأني عبد الناصر بعد أن استمع لي بقوله:

- إن شاء الله لن تفشل وأنا عايزك تمسك سوريا .. تكون الحاكم لها ..

وقلت له بسرعة:

- مش ممكن..

فضحك وقال:

- ليه .. . ده أنت كده تدخل التاريخ وحتكون أول حاكم لسوريا في ظل الوحدة.

وأصررت على الرفض قائلاً:

- أنا لا أريد التاريخ يتحدث عني .. ولكنني لا أريد أن أفشل .. وأنا ما أعرفش حاجة عن سوريا .. فازاي أكون حاكماً لها.

فقال لي:

- طيب فكر يومين وقل لي رأيك ..

ويسرح البغدادي بنظره بعيداً .. ويستجمع ذكرياته ويقول:

- بعد اليومين زدت اقتناعاً بالرفض .. علمت أن سوريا تحكم بطريقة بوليسية عن طريق المكتب الثاني .. وجدت أنه سيحبس عني المعلومات ويقدمها لعبد الناصر الذي سيجعله يحكم سوريا فعلاً وأكون أنا صورة فقط .. وذهبت إلى عبد الناصر لأعلنه بإصراري على الرفض فقال لي:

- اسمع يا بغدادي .. قبل ما تتخذ قرار نهائي بالرفض روح شوف مصطفى أمين .. ده لسه راجع من سوريا وعنده معلومات كثيرة .. أقعد معاه وبعدين أبقى قل لي رأيك ..

وفعلاً اجتمعت بمصطفى أمين الذي أخرج لي نوتة كان مدوناً بها كل ملاحظاته عن اتصالاته في سوريا .. ويبدو أن عبد الناصر كان كلفه بهذه المهمة كما اعتاد دائماً أن يكلفه بمهمات مماثلة .. وقال لي مصطفى أمين أن الشعب السوري يريد الوحدة مع مصر بأي شكل من الأشكال .. والناس هناك عايزينك انت أو كمال حسين تتولوا الحكم هناك وأنا مقتنع بذلك.

وسألته:

- ليه؟!

فأجابني بسرعة:

- لأن كل حاجة مسكتها في مصر نجحت ..

وقلت له:

- أنا نجحت لأنني أعلم في بلدي .. أعرف كل شيء عنها .. لكن هناك سأكون كالأعمى وواحد يسحبني .. كما أنه سينظر لي بعد فترة نظرة لا أرتضيها .. سينظرون إلي على أنني المندوب السامي لمصر في سوريا .. بالإضافة إلى أن سوريا ليس بها تنظيم سياسي نعتمد عليه .. حقيقة أنهم قبلوا حل الأحزاب .. ولكن هذا الحل سيكون شكلاً فقط وستبقى تجمعاتهم الحزبية.

فقال لي مصطفى أمين:
- لك الحق .. ولكن ماذا ترى؟
فأجبته:
- نترك واحداً منهم يكون هو الحاكم .. هو الذي يبتدئ التجربة.
وعندما يفشل فستظهر الأخطاء على السطح .. تماماً كما تتعكر المياه ويطفو السمك .. وبعد ذلك نتولى الحكم مستفيدين من هذه الأخطاء .
واختتمت كلامي مع مصطفى أمين قائلاً:
- ابقى اتصل بعبد الناصر وأبلغه بما دار بيننا وأنني ما زلت مصراً على الرفض .. وتم إعلان الوحدة..
وأختير أكرم الحوراني ليكون نائباً لرئيس الجمهورية في سوريا .. يكون الحاكم وبدا البعثيون ينتشرون في الحكم .. أصبح الموظفون في أي وزارة وزيرها يبعثي جميعهم من البعثيين حتى وظائف السعاة كانت للبعثيين..
وبدأت الشكوى من سيطرة البعثيين.. ولكن عبد الناصر لم يفقد الأمل فيهم .. واستمر يعتمد عليهم اعتقاداً منه أنهم القوة الحقيقية التي تساند الوحدة وتم تشكيل الاتحاد القومي في سوريا .. وأجريت الانتخابات.. وكانت المفاجأة لعبد الناصر أن البعثيين لم يفوزوا بالأغلبية مما يؤكد كراهية الشعب السوري لهم.
وبدأ عبد الناصر يقتنع بعدم الاعتماد عليهم .. شكل لجنة لحكم سوريا من زكريا محيي الدين والبغدادي وأكرم الحوراني..
وتلاحقت الأحداث .. وازداد سخط الشعب السوري على الوحدة بعد صدور القرارات الاشتراكية سنة 1961 .. وبدأ التذمر .. ثم وقع الانفصال وقام به ضابط من مكتب المشير عامر في سوريا .. وحدثت بعض الاشتباكات وتأخر إرسال تعزيزات بالجو لقوات مصرية كانت محاصرة في اللاذقية حتى تم أسرهم جميعاً.
وأحس عبد الناصر بخطئه .. وأراد أن يلقى بتبعية الخطأ على غيره .. أراد أن يلقيها على المشير عامر على أساس أن الذين قاموا بالانفصال ضباط من مكتبه .. ولم يشأ أن يقوم بالخطوة مرة واحدة .. بدأ بأن عرض على المشير عزل الفريق صدقي محمود قائد الطيران على أساس مسئوليته عن تأخر وصول الإمدادات

والمطلبين إلى القوات المصرية في اللاذقية .. ورفض المشير معلناً أنه إذا عزل صدقي فإنه هو الآخر سيستقيل..

ولم تكن هذه أول مرة يهدد فيها المشير عامر بالاستقالة بسبب طلب عزل الفريق صدقي. فبعد عدوان سنة 1956 أراد عبد الناصر عزل الفريق صدقي .. قال له عبد الناصر:

- صدقي لازم يمشي.

ورد المشير:

- صدقي مش مسئول لوحده .. أنا المسئول الأول وأنا كمان أمشي .. ثم انصرف غاضباً.

ويقول البغدادي:

- أن عبد الناصر طلب منه ومن كمال حسين الذهاب إلى عبد الحكيم لإقناعه بالبقاء وعدم تقديم استقالة .. وأنهما عندما نقلا إليه رغبة عبد الناصر قال لهما:

- أنا راجل .. وأحب بلدي ومش دي الظروف اللي أستقيل فيها..

ولذلك عندما هدد المشير عامر بالاستقالة في عام 1961 أسرع عبد الناصر بالاتصال بكمال حسين .. ويروي كمال الحوار الذي دار بينهما:

قال عبد الناصر لي:

- يا أبو كمال أنا عايزك تمسك القوات المسلحة بدلاً من المشير.

فرددت عليه:

- أننا في ظرف لا يصح معه إيجاد شقاق يظهر أمام الناس.

وقال لي:

- ده أصبح غير محتمل .. مش عايز يشيل صدقي وأنا مش قادر بأه أتعاون معاه وكفاية حالة الجيش .. جميع قادة الأسلحة لازم يتغيروا..

فرددت عليه:

- أنا ماعنديش مانع أمسك الجيش والبغدادي يمسك الطيران ونشوف واحد كويس يمسك البحرية ويظل عبد الحكيم قائداً عاماً للقوات المسلحة.

وقال لي:

- أنا مش عايز عبد الحكيم خالص..

فقلت له:

- أنت رئيس الجمهورية والقائد الأعلى .. مفيش مانع تبقى أنت مكان عبد الحكيم وأنا زي ما قلت امسك الجيش والبغدادي يمسك الطيران وواحد كويس يمسك الحبرية..

فقال لي:

- طيب ..

وأنهى المكالمة ..

ويلتقط البغدادي الحديث من كمال حسين معي ويكمل القصة قائلاً:

- واتصل بي عبد الناصر بعد ذلك مباشرة .. عرض علي أن أمسك القوات المسلحة بدلاً من المشير .. وكانت إجاباتي عليه بنفس معنى إجابات كمال حسين عليه..

* * *

مجلس الرياسة:

وعدل عبد الناصر عن تغيير المشير عامر .. وبدأ يبحث عن وسيلة أخرى للحكم استمع إلى النصائح بإعادة الحكم جماعياً والتخلي عن انفراده بالسلطة.. وافق على تشكيل مجلس للرياسة بضم الباقين على قيد الحياة من أعضاء مجلس الثورة ما عدا خالد محيي الدين وإضافة الدكتور نور الدين طراف والمهندس أحمد عبده الشرباصي وعلي صبري وكما رفعت إلى المجلس..

وأصدر الإعلان الدستوري في عام 1962 بتشكيل مجلس الرئاسة وجعله السلطة العليا للبلاد في رسم كل سياساتها .. والقرارات فيه تصدر بأغلبية الآراء .. واستبشر الكل خيراً للبلاد .. وبدأ المجلس جلساته .. وكان يرأسها عبد الناصر وسارت الأمور فيه على أحسن ما يرام .. كل قرار لا يصدره عبد الناصر إلا بعد موافقة الأغلبية عليه.

وبدأت أولى الأزمات.

أزمة المشير:

ويقول كمال الدين حسين لي:

لم ينس عبد الناصر أن المشير عامر عارضه وهدد بالاستقالة .. كانت العلاقة بين الإثنين متوترة .. ووجدت من واجبي أن أحاول التوفيق بينهما .. كان المشير عامر من أقرب الناس إلى قلبي .. أحبه ويحبني .. وجمعتنا أنا وعبد الناصر وعبد الحكيم عامر جلسة نتصارح فيها .. وكانت هذه دائماً عادتي .. أجمع المتخاصمين لأحاول التوفيق بينهما .. وفي هذه الجلسة كشف عبد الناصر عما يريده .. اتفقنا على تحديد الاختصاصات وتوزيعها بين عبد الناصر بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة .. وبين عبد الحكيم عامر بصفته نائبه وقائداً عاماً للقوات المسلحة .. وقام عبد الناصر إلى مكتبه ودون كل النقاط ..

وتلقيت دعوة لحضور جلسة مجلس الرئاسة .. وكانت أولى المفاجآت أن عبد الناصر لم يحضر الجلسة .. تغيب عنها .. وتولى رئاستها الأخ عبد اللطيف البغدادي بحكم الأقدمية .. وكانت المفاجأة الثانية أن البغدادي أعلن تلقيه مشروع قرار خارج الموضوعات المدونة بجدول الأعمال لتحديد سلطة القائد العام للقوات المسلحة في تعيين قادة الأسلحة وعزلهم .. وكان مخالفاً تماماً لمشروع القرار الذي اتفق عليه مع عبد الحكيم عامر وفي حضوري.

وطلبت تأجيل نظر مشروع القرار لحين حضور عبد الناصر بنفسه .. وهمس البغدادي لمن حوله من أعضاء المجلس أن عبد الناصر يطلب الموافقة على القانون في جلسة اليوم وإلا فإنه سيستقيل.

ووجدتني أعارض نظر المشروع على أساس أن الجلسة غير دستورية .. فالإعلان الدستوري بتشكيل المجلس نص أن يتولى رئاسة جلساته رئيس الدولة ولم ينص عمن يتولى الرئاسة في حالة غيابه مما يؤكد ضرورة أن يكون حاضراً .. وطلبت تأجيل المناقشة لحين حضور عبد الناصر.

وخرج الاقتراح بالتأجيل للتصويت .. وهزم الاقتراح بخمسة أصوات مقابل ستة أصوات .. فقد وقف إلى جانب اقتراحي المرحوم عبد الحكيم عامر وكمال رفعت والمهندس الشرباصي وطبعا

أنـا .. أمـا الـين صـوتوا ضـد الاقتـراح فكـانوا بقيـة أعضـاء المجلـس .. البغـدادي وأنـور السادات وزكريا محيي الدين وحسين الشافعي وعلي صبري والدكتور نور الدين طراف.
وبدأت مناقشة القانون من ناحية المبدأ .. ووافقت عليه نفس الأغلبية وقررت تأجيل تنفيذه ثلاثـة شـهور لحين انتهـاء حـرب اليمن كمـا كـان يعتقد المرحـوم عبـد الحكيم عـامر. أنهـا ستنتهي خلال تلك الفترة ولحين انتهاء بحث كثير من بنوده.
وانسحب عبد الحكيم عامر من الجلسة ثم خرجت بعده وتوجهت لفوري إلـى منـزل جمـال عبد الناصر وقلت له:
- أنني فوجئت بالقانون .. أنه مخالف تماماً لما اتفقت عليه مع عبد الحكيم..
فأجابني متظاهراً بالبراءة :
- إزاي يا أبو كمال .. هو ده نفس اتفاقنا ..
وقلت له:
- لأ.. أرجع للاتفاق .. انك وضعته في درج مكتبك وهو مكتوب بالحبر الأحمر.
وقام عبد الناصر وأخرج إلى الاتفاق ثم قال:
- لك حق .. طيب نصلحه ..
ووجدتني اندفع قائلاً له:
- دي منـاورة لا أقبلهـا أبداً .. ولا يصـح أنك تضعنـا أمـام الأمـر الواقـع .. إننـي كنـت أتصـور إنني أعمل وظهري محمي ولا أتصور إنني أعمل في جو يمكن أن تنالني فيه طعنة من الخلف. . أن هذا ليس أبداً أسلوب تعاملنا في الماضي ولا أقبل أن تكون تلك طريقة جديدة للتعامل.
وكـان كلامـي هـذا سببـاً فـي أن عبـد النـاصر بدأ ينظـر إلـي نظـرة ضيق .. وكـان يعتقد أننـي منحاز مع المشير عامر ضده .. في حين أنني لم أكن منحـازاً إلا لمبدأ وهو أنـه مهمـا اختلفنـا فـلا يصح أبداً أن يطعن أحدنا زميله من خلف ظهره.
مضت المهلة .. ولم يستجب المشير لتنفيذ القرار .. وسـانده عبـد النـاصـر فـي ذلـك .. وبـدأ عبد النـاصر يضيق بالمناقشات في المجلس .. أحس أنـه قيد عليـه .. وعمد ألا يـدعو المجلس إلـى الانعقاد إلا على فترات متباعدة.. وكان لا يعرض عليه إلا توافه الأمور

.. ووجد أعضاء المجلس أنفسهم قيادة جماعية شكلاً ولكن موضوعياً لا شيء .. كانوا يفاجأون بقراءة أهم القرارات التي تمس سياسة البلاد في الصحف .. ووصف لي الدكتور نور الدين طراف هذه الفترة بإيجاز في جملة واحدة:

- كانت حكماً ظاهره الديمقراطية وحقيقته الديكتاتورية.

وكان كمال الدين حسين أول من استقال من المجلس وانقطع عن الذهاب إلى جلساته .. وكان البغدادي ثاني من قدموا استقالتهم من المجلس لعدم استراحته لطريقة الحكم .. وظلت هذه الاستقالة سراً ..

وفيما يلي نص استقالة البغدادي التي بعث بها إلى عبد الناصر يوم 26 مارس سنة 1964:

السيد رئيس الجمهورية

بعد التحية ...

أن موعد انعقاد مجلس الأمة الجديد قد قرب ومعنى ذلك بداية مرحلة جديدة من مراحل ثورتنا مما يتطلب بطبيعة الحال إعادة تنظيم الأجهزة السياسية وعلى الأخص القيادات العليا منها على ضوء تجارب الماضي .. ولما كنت غير راغب في الاستمرار في الحياة السياسية لأسباب سبق ذكرها في اجتماعنا الأخير بمنزلكم يوم 4 مارس سنة 1964 وهي تتعلق بالمرحلة الحالية من التنظيم كما تعلمون أن مبدأ القيادة الجماعية مبني أساساً على المسئولية التضامنية والمشاركة في إصدار القرارات وهو أمر حتمي لنجاح مثل هذه القيادة في مباشرة مسئولياتها، ولكنه قد ترتب على عدم وضع هذا المبدأ الأساسي موضع التنفيذ عدم قدرة هذا المجلس على القيادة والقيام بواجباته الجماعية وهي في نظري أساسية وضرورية لضمان الأمن والاستقرار السياسي في بلادنا في المستقبل.

ومما لا شك فيه أن هذه النتائج لها انعكاسات على أعضاء في مثل هذه القيادة وقد تأثرت أنا شخصياً في خلال الفترة الماضية من هذه النتيجة في تحمل تلك المسئولية الضخمة لذا قررت من فترة الانسحاب من الحياة العامة وعدم المشاركة في المسئولية في المرحلة القادمة من التنظيم التي تبدأ حسب تقديري من أول يوم لانعقاد مجلس الأمة الجديد يوم 26 مارس 1964 متمنياً لك وللزملاء دوام التوفيق.

إمضاء

عبد اللطيف البغدادي

وأخفى عبد الناصر الاستقالة.. ولكنه انتقم بطريقته لتجرؤ البغدادي على الاستقالة .. بدأ يتخذ خطوات وإجراءات للتنكيل بأفراد أسرته .. وفي يوم 24 مارس سنة 1964 أصدر قراراً بفرض الحراسة على شقيقه سعد البغدادي رغم أنه كان قد ألغى الحراسة في 21 مارس .. وحتى تطبق الحراسة على سعد البغدادي .. عاد فجعل قرار فرض الحراسة على سعد البغدادي بتاريخ 13 مارس .. وبذلك أصبح هناك قراران أحدهما بتاريخ لاحق لقانون إلغاء الحراسات والثاني سابق لتاريخ القانون .. ولم يقتصر المر على ذلك .. استغل فرصة حضور المهندس محمد نصير زوج ابنة البغدادي في إجازة مع عروسه من لندن حيث كان يعد رسالة دكتوراه ومنعهما من مغادرة البلاد رغم أن الإثنين كانا قد تركا الشغالة التي تعمل في خدمتهما لدى محسن عبد الخالق وكان يشغل منصب المستشار التجاري لسفارة مصر في لندن.

ولم تمنع هذه الإجراءات كلاً من كمال الدين حسين والبغدادي من انتقاد كل تصرف خاطئ لعبد الناصر .. كان حديثهما مع أصدقائهما يصل إليه عن طريق عيونهم .. وأراد أن يمنعهما من استقبال أي زوار ..

ويروي عبد اللطيف البغدادي هذه القصة في محاولة عبد الناصر تحديد عدد زواره، هو وكمال حسين .. قال أنه فوجئ بصلاح نصر مدير المخابرات العامة يحضر لزيارته في منزله ويقول له أن عميلاً مزدوجاً للمخابرات المصرية ولإسرائيل أبلغه أن إسرائيل تعد خطة لاغتياله هو وكمال حسين حتى ينسب اغتيالهما على أنه من تدبير عبد الناصر .. وطلب من البغدادي عدم مقابلة أي شخص مع السماح بتشديد الحراسة عليه ..

وضحك البغدادي من كل قلبه .. وقال لصلاح نصر :

- أرجو أن تبلغ سيادة الرئيس شكري الزائد لاهتمامه بسلامتنا .. وعلى فكرة أنت مش بتقول أن المعلومات دي أبلغها لكم عميل مزدوج ..

وأجاب صلاح نصر:

- آه طبعاً ..

فرد البغدادي:

- خلاص يبقى مفيش خوف لأنه لابد سيبلغهم بخطة اغتيالنا

وحتبقوا عارفين وتعطونا خبر .. والا إيه يا صلاح وعلى كل احنا مش هنكون أشطر من كنيدي..
أما إذا كان الغرض من تشديد الحراسة ومنع الزوار هو منعنا من الكلام مع الناس .. اسمع يا صلاح .. و .. وأشار بغدادي إلى فمه .. مش حا أقفله بسوسته وحا افضل أتكلم .. واتكلم طول ما أنا شايف حاجات غلط..

ونفس المقابلة تمت بين صلاح نصر وكمال الدين حسين .. ونفس الكلام الذي سمعه من البغدادي .. أعاده إلى مسامعه كمال حسين ..

وفشلت هذه المحاولة في تحديد إقامة الاثنين ومنع الزوار عنهما وبدأت مضايقات من نوع آخر .. تقدم كمال الدين حسين بطلب السفر لأداء فريضة الحج عام 1965 هو ووالداه .. كما تقدم البغدادي بنفس الطلب في أوائل عام 1965 .. واتخذوا إجراءات السفر بعد أن تمت الموافقة .. وفجأة حضر إلى منزل كمال الدين حسين ملازم ثان من قسم شرطة الدقي ومعه إشارة تتضمن وقف إجراءات سفره هو ووالداه للحجاز .. وتلقى البغدادي إشارة بنفس المعنى.

* * *

حرب اليمن:

وفي خلال قيام مجلس الرئاسة .. وفي بداية عمله نشبت ثورة اليمن وساندت مصر الثورة التي تحولت إلى حرب اليمن .. وفقدت مصر الآلاف من أبنائها، وخسرت الملايين من قيمة إنتاجها للإنفاق على الحرب..

ويكشف كل من حسن إبراهيم والبغدادي الأسرار التي كانت وراء حرب اليمن التي لا شك كان لها تأثيرها في نكسة 1967..

قال لي حسن إبراهيم:

- للتاريخ عبد الناصر لم يكن معتزماً الاشتراك والتورط في هذه الحرب .. إنما أعطيت له معلومات خاطئة وقدمت لنا في مجلس الرئاسة فوافقنا بالإجماع على تأييدها تأييداً رمزيا .. وكانت المعلومات الخاطئة التي قدمت إلينا تتلخص في ثلاث نقط:

* الملك لبدر قتل.
* القبائل كلها تؤيد الثورة.
* السلال يسيطر تماما على الموقف ..

وأن المطلوب من مصر التأييد الرمزي العسكري للثورة لمنع قوات السعودية من التحرك لضرب الثورة ..

وتبين بعد ذلك أن كل المعلومات كانت خطأ .ز

* البدر لم يقتل.
* أغلب القبائل لم تؤيد الثورة.
* أن القائد الفعلي للثورة كان المرحوم النقيب على عبد المغني الذي استشهد في المعارك بعد ذلك وأنه في بداية الثورة استعان بالسلال لإنجاح الثورة..

ويسرح حسن إبراهيم قليلاً وترتسم على شفتيه ابتسامة وهو يقول:

- حقيقة كانت حرباً لا مبرر لتورطنا فيها .. وقد أحس بذلك جمال عبد الناصر وكان معترفاً به .. واذكر أنني كنت أركب إلى جواره في السيارة ودار الحديث ونحن نسير في شارع رمسيس عن حرب اليمن وخسائرنا فيها .. فقال لي بالحرف الواحد:

- احنا انزلقنا ولا يمكن أغامر بعد كده بالجيش إطلاقاً .. ويؤكد البغدادي قصة تورط عبد الناصر في الحرب رغم حذره منها في البداية .. قال لي:

- كنا في الإسكندرية في صيف 1962 وأبلغنا أنور السادات أنه علم من عبد الرحمن البيضاني – وكان لاجئاً سياسياً في القاهرة، وهو من أبناء اليمن – أن الجيش في اليمن سيقوم بثورة على حكم البدر في خلال أيام .. ثم بدأنا نتابع أخبار قيام الثورة .. وتأجل قيامها عشرة أيام .. ثم قامت الثورة ..

وطلب البيضاني طائرة مصرية حربية للسفر إلى اليمن لاستطلاع الموقف .. وعرض السادات هذا الطلب على عبد الناصر إلا أن عبد الناصر رفض حتى لا يتردد أن لمصر يداً في الثورة، واقترح عبد الناصر أن تطلى إحدى الطائرات الحربية لتصبح

وكأنها طائرة مدنية تابعة لشركة مصر للطيران ويصحبه في الرحلة اللواء على عبد الخبير.
وفعلاً سافر البيضاني بهذه الوسيلة ومعه اللواء على عبد الخبير وهبطت الطائرة في مطار الخرطوم ثم استأنفت رحلتها إلى صنعاء.
وجاءت المعلومات أن الثورة نجحت وقتل الإمام البدر .. وأن البيضاني يقترح إرسال مساندة حتى يقال في التاريخ أن مصر ساهمت في تحرير اليمن من حكم الأئمة ..
وأصدر عبد الناصر أوامر بسفر سرية عسكرية بالباخرة ومعهم طائرة تدريب مفكوكة على ألا تدخل السفينة مياه اليمن إلا بعد صدور أوامر لها من مصر بذلك.
وكانت رحلة الباخرة تستغرق 15 يوماً..
ونزل أفراد السرية اليمن .. وظهر أن البدر لم يمت .. وأن عدداً من القبائل تنضم إليه .. وبدأت السعودية في مساندته.
وأحس عبد الناصر أن زعامته للأمة العربية ستهتز أو توقف عن مساندة ثورة اليمن .. بالإضافة إلى كرامته ونظرته إلى اعتبار المعركة بينه وبين فيصل شخصياً .. وأصدر أوامره بنقل جيش بأكمله إلى اليمن ..
وكانت حرب اليمن ..
وسقط آلاف الضحايا..
وخسرت مصر الملايين..
ورفض عبد الناصر الاستماع إلى كل نصيحة بالانسحاب من اليمن والتوقف عن الحرب.
عارضه كمال الذين حسين في الاستمرار في الحرب .. قال أنها ضد الإسلام الذي لا يجيز الحرب إلا إذا كانت في سبيل الله .. وأنه لا يعقل أن يقتل مسلم أخاه المسلم.
ولم يستمع عبد الناصر لحكم الإسلام في حرب اليمن .. استمر فيها ..
وقال البغدادي لي:

- أن عبد الناصر كان دائماً يردد أن الحرب لن تستغرق سوى ثلاثة شهور .. وعندما استمرت وبدت انها ستستمر طويلاً .. انتهزت فرصة حضوره لزيارتي في يوليو سنة 1963 قبل سفري إلى الخارج لإجراء عملية المرارة وقلت له أننا يجب أن نخرج من اليمن وشبهتها له بأسبانيا بالنسبة لنابليون فقد كانت سبباً في كسر شوكته وإضعافه مما أدى إلى هزيمته في روسيا:

ورفض عبد الناصر الاستماع إلى حكم التاريخ في الحروب .. واستمر فيها ..

وحاول كيندي الوساطة بين مصر والسعودية لإنهاء الحرب في اليمن .. وتم الاتفاق .. ووافقت السعودية .. وفجأة طلب عبد الناصر أن يترك قوة من الجيش المصري في اليمن بحجة تدريب قواته .. ورفضت السعودية وفشلت وساطة كيندي.

واستمرت حرب اليمن .. وبدأ الشعب يتكلم عن الخسائر التي نتكبدها وعلى أنها استنزاف فظيع .. وفتح عبد الناصر المعتقلات .. وزج إلى داخلها بالآلاف الذين كانوا يعارضون سياسته! وعندما اشتد السخط والتذمر اختلق مؤامرة الإخوان المسلمين لقلب نظام الحكم .. وكان الاعتقال والتعذيب والمحاكمات في ظل قانون أصدره ولم يصدره حاكم قبله .. وأثار تصرفه الكثير من زملائه .ز وبعث له كمال حسين برسالته الشهيرة "اتق الله" فاعتقله .. وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الباب التالي:

الباب الخامس

- "اتق الله" رسالة كمال حسين إلى عبد الناصر.
- قصة اعتقاله ثلاثة شهور.
- سر الخلاف مع عبد الناصر.
- رسائل مال حسين للمشير عامر.

اتق الله..

وسط أوراق الدكتور رشوان فهمي عثرت على صفحة فولسكاب كتب عليها بخط يده مايلي:

قلائل جداً من الناس الذين يتمسكون بمبادئهم ويضحون من أجل كلمة الحق بحرياتهم .. خسارة كبيرة ننى لم أعرف كمال الدين حسين إلا مؤخراً .. إن هذا الرجل لو كان فيه شخص واحد مخلص لبلده وأبناء وطنه منكر لذاته لكان هو ذلك الشخص .. أن الرجل كان دائماً ممسكاً بقلمه .. ببعث بالرسالة تلو الرسالة إلى حاكم البلاد وقتئذ عبد الناصر .. تحمل رأيه الحر فيما يراه من جرائم ترتكم ومؤمرات تحاك ضد الشرفاء.

أن هذه الرسالة لأصدق مثال على شخصية كمال الدين حسين .. لقد بعث بها إلى عبد الناصر بعد اعتقال زبانيته وأجهزته للشرفاء من الإخوان المسلمين ولفقت ضدهم مؤامرة لقلب نظام الحكم..

وهذا هو نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم:

السيد/ جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

من كمال الدين حسين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ..

لا خير في إذا لم أقلها لك .. اتق الله ..

ومن يتق الله يجعل له مخرجاً .. قرآن كريم ..

ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ..

ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ..

(قرآن كريم)

اتق الله ..

قالها الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم.

(يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) ..

اتق الله

ولا تكن ممن قال فيهم الله سبحانه وتعالى.

(وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم) ..
اتق الله
أراد الله بها الرسول والمؤمنين، وأمر بها الرسول أصحابه المؤمنين .. وقالها الخلفاء والأئمة لبعضهم ولولاتهم وللمسلمين.
وقالها المسلمون للخلفاء والأئمة والولاة ولبعضهم بعضاً.
اتق الله
قالتها تلك الأمة التي أعزها الله بقوله ..
(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)..
صدق الله العظيم
وسلامي على من اتبع الهدى ..
1965/10/12 **كمال الدين حسين**
وذهبت إلى السيد / كمال الدين حسين أطلب منه المزيد من التفاصيل عن تلك الرسالة .. أنه العهد الذي أخذته على نفسي منذ فكرت أن أقوم بهذه المحاولة المتواضعة الصادقة في كشف الكثير من الأسرار التي لم يكن أحد يعرفها ..
ذهبت إلى السيد/ كمال الدين حسين في كابينته بالمنتزه .. كابينة متواضعة .. حقيقة أنها في منطقة الجزيرة وإلى جوارها كباين لغيره من أعضاء مجلس الثورة .. الكابينة تضم ردهة كبيرة وغرفتين وشرفه متسعة .. والوصول إلى الشرفة أما عن طريق داخل الكابينة مروراً بالردهة .. أو عن طريق خارجها عبارة عن ممر ضيق جداً لا يسمح إلا بمرور فرد واحد.
وكان يجلس متجهاً ببصره إلى عدد من سنارات الصيد التي تبنها في الشرفة لاصطياد السمك البوري الذي يزحف إلى الشاطئ وإلى جواره كتاب باللغة الإنجليزية عن حرب 6 أكتوبر للصحفي محمد حسنين هيكل ..
وأشرت إلى الكتاب وسألته:
- ما رأيك في هيكل وما ينشره؟

وأجاب بسرعة:

أنه أحد أسباب نكبة مصر أيام عبد الناصر .. ما يكتبه .. أكاذيب .. أنه واحد ممن يزورون تاريخ مصر.

وقلت له:

أنني عثرت بين أوراق المرحوم الدكتور/ رشوان فهمي قال:

يرحمه الله رحمة واسعة .. كان رجلاً ..

ثم قرأ الورقة والرسالة .. صمت لحظات يستجمع ذكريات مضت .. وبدت على ملامحه علامات أسى .. فقد كانت ذكريات سوداء ..

قصة الاعتقال:

وبدأ يتكلم قال:

أن هذه الرسالة لم أبعث بها إلى عبد الناصر وحده ..بل أرسلت نسخة منها إلى المشير عبد الحكيم عامر .. وكانت هي السبب المباشر أن يفقد عبد الناصر كل أعصابه .. وينسى كل معاني الصداقة والوفاء لشخص خرج معه ليلة 23 يوليو لتخليص البلاد من نظم فاسدة .. وكانت رسالتي له نصيحة أن يتق الله بعد أن وجدت الفساد بدا يستشري في البلاد . والحريات أصبحت شعارات .. والمحاكم الاستثنائية والتلفيقات والزج بالأبرياء في السجون هي دستور البلاد الذي تحكم به.

أنه رسم خطة اعتقالي في نفس اليوم الذي كان يستعد فيه لزفاف ابنته .. يوم 14 أكتوبر 1965 استدعى اللواء هلال عبد الله هلال مدير سلاح المدفعية وقتئذ والعقيد حسن خليل مدير المباحث الجنائية العسكرية إلى منزله وأعطاهما الأمر باعتقالي في الحال ووضعي في مكان أمين.

وجاء الإثنان إلى منزلي مساء يوم 14 أكتوبر 1965 .. كنت جالساً في غرفة مكتبي مع عدد من الضيوف حسن عبد المنعم رئيس هيئة الإذاعة ومحمد محمود هاشم وبهجت رمضان وعبد الحميد النحال من الأصدقاء وأنور أبو العطا زوج شقيقتي وكان يشغل منصب رئيس مجلس مدينة القناطر .. وفي يوم 13 أكتوبر 1965 أي بعد إرسال خطابي اتق الله .. إلى الحاكم عبد الناصر

وزميله عبد الحكيم عامر بيوم وقبل اعتقالي بيوم .. فوجيء بحمدي عبيد وزير الحكم المحلي يتصل به ويبلغه قرار إحالته للمعاش فوراً على أن يترك مسكنه الحكومي في الحال .. واتصل بي أنور أبو العطا وأبلغني ما حدث فاتصلت بالأخ عبد اللطيف البغدادي وكانت قد أعلمته برسالتي اتق الله وقلت له:

- لقد أحالوا زوج شقيقتي للمعاش .. وهذا أول الغيث .. قطرة ثم ينهمر السيل فضحك وقال لي أنه يتوقع الكثير .. فقلت له وأنا مستعد لكل شيء.

ويصمت كمال الدين حسين لحظة ثم يستأنف حديثه عن كيفية اعتقاله فيقول:

- كنت جالساً في مكتبي مع من ذكرت لك أسماءهم .. وجاءني الشغال يبلغني أن هناك زائرين في الصالون .. وتركت ضيوفي لأرى القادمين .. كانا هلال عبد الله هلال وحسن خليل ورحبت بهلال وصافحت حسن خليل .. وبدا على هلال الحرج .. وشجعته للحديث قلت له:

- خير يا هلال ..

وقال:

والحرج يبدو من اهتزاز صوته:

- سيادة الرئيس عايزك تستريح شوية في الهرم واحنا أعددنا كل شيء.

قلت له:

عندي ضيوف وأرجو إلا يمس أحد منهم بشيء.

فقال:

- لا شأن لي بهم .. إنني أنفذ أمراً أن تتفضل معنا.

وقلت له:

سأصعد لإعداد حقيبة ملابسي.

وصعدت إلى الطابق الثاني من الفيلا التي كنت أقمتها في الدقي ثم بعتها لعدم قدرتي على سداد الأقساط بعد ذلك .. وقلت للمرحومة زوجتي أن تعد حقيبة بها ملابس لي لأنه صدر قرار باعتقالي..

وفوجئت بها تقول:
مش ممكن أسيبك أبداً .. مش ممكن تروح لوحدك .. لازم أروح معاك .. زي ما كنا نعيش معاً لازم نعتقل معاً .. الله يرحمها رحمة واسعة.
حاولت إبقاءها وإقناعها لترعى الأولاد .. ورفضت .. حاولت إقناعها أنهم قد يعترضون على ذهابها معي .. ورفضت ..
ونزلت إلى هلال وقلت له:
أبلغ أن الست حرمي ستصحبني ..
فأجاب وكان عنده تعليمات سابقة:
- مفيش مانع ..
وجمعت ملابسي وذهبت أنا وحرمي إلى فيلا الهرم .. وقد كانت في الأصل استراحة للحاكم .. وعندما اقتربنا منها وجدنا أنها تحولت إلى معتقل .. أسلاك شائكة تشكل خطأ أول للحراسة .. تم أسلاك شائكة على مسافة 50 متراً تمثل خط حراسة ثانياً .. ثم وصلنا للخط الثالث من التحصينات وأضيف إلى الأسلاك الشائكة دشمة بها الجنود وحرس مزودون بمدافع ماكينة.
ودخلنا الفيلا .. وعلى كل باب من أبوابها حارس .. وتحت كل نافذة من نوافذها حارس .. والفيلا نزعت منها كل أجهزة التليفون .. وبقيت في تلك الليلة ساهراً أفكر فيما تم بالنسبة لبقية أفراد عائلتي .. بالنسبة لأصدقائي الذين كانوا بالمنزل ومنعوني من العودة إليهم حتى لتوديعهم ..
وعلمت بعد ذلك أنه بمجرد خروجي من منزلي اقتحم المنزل رجال المباحث الجنائية العسكرية ..فتشوا كل شيء .. حتى الملابس الداخلية .. وأخذوا كل ما عثروا عليه من أوراق مسودة خطاب كنت أعتزم إرساله إلى عبد الناصر .. خسارة أنهم أخذوه .. ولكن بعض عباراته ما زالت عالقة في ذهني .. أنني قلت له في ذلك الخطاب .. (أنني لا أحقد عليك ولكني أرثي لحالك .. أنت الذي كنت تقول للناس أرفع راسك يا أخي فأخفضت جميع الرؤوس .. أنت الذي كنت تقول أن بناء المستشفيات والمصانع سهل ولكن بناء الإنسان صعب فحطمت كل الرجال .. أنك لا يصح أن تكون سعيداً وأنت

حاكم لشعب فعلت به كل ذلك .. أنني لا أندم على شيء إلا أنني بيدي اشتركت معك ..
وقد أعطوا هذه المسودة لعبد الناصر .. واستغلها في اطلاع كل ذي شأن من العرب أو الزملاء عليها عندما كانوا يسألون عن سر اعتقالي..
لم يترك رجال المباحث الجنائية ركناً في منزلي إلا وعبثت بداخله أيديهم بحثاً عن أي شيء يتخذونه دليلاً ضدي في قضية ربما أراد الحاكم تلفيقها لي ..
وكانوا قد منعوا ضيوفي من الخروج .. ثم اصطحبوهم معهم إلى السجن الحربي .. بل وكانت شقيقة زوجتي في زيارتنا فسألوها عن زوجها فتح سلام الضابط بالجيش وعندما قالت لهم أنه بالمنزل طلبوا منها أن تتصل به وتدعوه للحضور وعندما اتصلت به وحضر اعتقلوه هو الآخر .. بل تصادف أن حضر عبد القادر حجاج وهو من أقاربي في ذلك الوقت لزيارتي .. فاعتقلوه هو الآخر.
وكانت هذه هي صورة ما حدث في منزلي.. أما في البلد حيث كان يقيم والدي فكانت هناك صورة مماثلة ولكنها في اليوم التالي لاعتقالي.
فوجيء والدي يوم الجمعية 15 أكتوبر بحكمدار القليوبية واثنين من مفتشي المباحث العامة ومأمور بندر بنها واثنين من الضباط برتبة رائد يحضرون إلى منزله في بنها .. وكان أبي طريح الفراش .. وأبلغته الشغالة بحضور الموكب الرسمي .. وطلب منها دعوتهم إلى غرفة نومه..
ودخل الحكمدار وخلفه الجوفة الرسمية .. ولم يكد يراهم الرائد حتى بادرهم بالسؤال:
- وأنا كمان حتعتقلوني ..
ورد الحكمدار قائلاً:
أنه آسف، لأنه ينفذ أمراً بتحديد إقامته في منزله، ورفع التليفون ومنع أحداً من الاتصال به.
وصرخ أبي فيهم
- الله يخرب بيته .. هو عشان ابني ما أرسل له خطاب يقول له (اتق اله) يعمل فينا كده؟؟

فهرول الجميع إلى غرفة الجلوس حتى لا يسمعوا بقية ثورة أبي ..

وبعد أن شربوا القهوة تركوا مجموعة من المخبرين والجنود تحيط بالمنزل من جهاته الأربع وأقاموا خيمة أمام باب المنزل لمبيت حضرة الضابط رئيس القوة ولتكون نقطة شرطة.

وفي مساء نفس ذلك اليوم حضرت شقيقتي من القناطر بعد أن أخرجوها من المنزل الحكومي الذي كان يشغله زوجها أنور أبو العطا رئيس المدينة .. أرادت دخول منزل أبي .. ومنعها رجال الحرس تنفيذا للتعليمات الصادرة إليهم بمنع دخول أحد إلى منزل والدي .. حاول أبي التفاهم معهم .. وأصروا على موقفهم ولم يسمحوا لها بالدخول إلا بعد إرغام أبي على كتابة طلب إلى المحافظ ليسمح لها بدخول منزلها .. فسمح ..

هذا ما حدث بالنسبة لاعتقال كمال حسين ولعلك تتساءل لماذا كان هو الوحيد الذي اعتقله الحاكم عبد الناصر .. وكمال حسين هو الشخص الذي كان يضع عبد الناصر فيه كل ثقته .. كان يستعين به في كل مجال عمل لعلمه بالتفاني في أي عمل يسند إليه .. حتى عندما أراد إعادة تنظيم الاتحاد القومي أسند إليه مهمة الإشراف عليه.

والإجابة على هذا السؤال تجعلنا نعود إلى الوراء ثلاث سنوات قبل الاعتقال .. عندما أصدر عبد الناصر إعلاناً دستورياً بتشكيل مجلس رئاسة يضم من أعضاء مجلس الثورة .. البغدادي وعبد الحكيم عامر وأنور السادات وزكريا محيي الدين وحسين الشافعي وكمال حسين وحسن إبراهيم بخلاف علي صبري والدكتور نور الدين طراف، والمهندس أحمد عبده الشرباصي وكمال رفعت .. وكان من المفروض أن يكون هذا المجلس هو أعلى سلطة في الدولة .. هو الذي يرسم سياسة الدولة .. هو الذي يقرر التشريعات ويرفعها إلى رئيس الجمهورية لإقرارها .. كانت محاولة للعودة إلى القيادة الجماعية التي كانت قد حرمت منها مصر بعد قرار حل مجلس الثورة في عام 1956.

وبدأ المجلس يزاول نشاطه بكل حماس .. مناقشات لا خوف فيها ولا إرهاب .. الكل يقول رأيه في صراحة .. الكل يعمل من أجل الوطن .. المناقشات هادئة أحياناً وعنيفة جداً أحياناً كثيرة .. رئيس المجلس الذي هو في نفس الوقت الحاكم ورئيس

الجمهورية له آراء في تطبيق الاشتراكية .. بعض أعضاء المجلس يرون أن آراءه لا تتفق مع الميثاق وتقرير الميثاق الذي أقره الشعب في عام 1962 ..

وبدأت أعمال المجلس تتقلص وتنكمش .. أصبح لا يدعي للانعقاد إلا على فترات متباعدة .. وعندما يعقد تعرض عليه التوافه من الأمور ..

وانقطع كمال حسين عن حضور الجلسات في المجلس من أغسطس سنة 1963 وبعث باستقالته إلى عبد الناصر .. وظلت الأمور تسير كما يريد عبد الناصر .. وفي يوم 4 مارس سنة 1964 توفى محمد فهمي السيد المستشار القانوني لعبد الناصر وهو في نفس الوقت زوج السيدة نادية غالب ابنة شقيقة حرم الحاكم .. وكان فهمي السيد مندوباً في مجلس الدولة أي ما يقابل منصب وكيل نيابة عندما اختاره عبد الناصر للمنصب الكبير على أساس تفضيل أهل الثقة أولاً عن أهل الخبرة والكفاءة .. ولم يكن بين كبار القانونيين وأحد يتمتع بثقة جمال عبد الناصر .. كما أنه لم يكن هناك واحد من أقاربه حاصل على ليسانس الحقوق فاختار زوج ابنة شقيقة زوجته ..

وسار جمال عبد الناصر في الجنازة كما اشترك في تشييع الجثمان جميع أعضاء مجلس الثورة والوزراء .. بعضهم اشترك من نوع النفاق لعبد الناصر والبعض اشترك احتراماً لشخصية المرحوم فهمي السيد .. وجلس عبد الناصر في صدر السرادق بميدان التحرير وإلى جواره على الجانبين أعضاء مجلس الثورة وكان من بينهم كمال حسين .. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يلتقي فيها عبد الناصر بكمال حسين منذ استقالته في أغسطس 1963.. وطلب عبد الناصر من كمال حسين أن يجتمع به عقب الجنازة مباشرة في منزله .. وبعد الجنازة توجه كمال حسين وكان هناك جميع العسكريين من أعضاء مجلس الرئاسة.

وتعتبر هذه الجلسة من أخطر الجلسات التي كشفت عن حقيقة نوايا عبد الناصر واتجاهاته في حكم البلاد.. استغرقت الجلسة ثماني ساعات كاملة كانت كلها مشحونة بالمناقشات الحامية ..

وكعادة عبد الناصر بدأ يدير المناقشة ليسمع وجهة نظر كل واحد قبل أن يدلي برأيه .. ودار الحديث في البداية عن الحريات

التي تضمنها الميثاق .. وتساءل كمال حسين أين هي تلك الحرية . .فالصحافة ما زالت تعيش تحت الرقابة .. والرقابة ليست فقط على الأخبار العسكرية التي تمس سلامة وأمن الدولة .. بل أنها تعددت لتشمل التافه من الأمور..

وبدأ السؤال عن ضمانات الحرية .. وتطوع عبد الحكيم عامر بالكلام قائلاً (احنا ضمانات الحرية) ورد كمال حسين أن الضمان الحقيقي للحرية يجب أن يكون مكتوباً في دستور.. أنني شخصياً لا أعتقد أنني أكون ضامناً للحرية.

ويقول كمال الدين حسين أنه ناقش في هذه الجلسة الميثاق الوطني الذي صدر في عام 1962 .. وصفه بأن له وجهين .. وجه ماركسي والوجه الآخر إسلامي عربي .. وأنه كان يعترض على اندفاع البلاد إلى هوة الشيوعية .. وسأله عبد الناصر عما يريده فذكره كمال حسين بما جاء في الميثاق من سيطرة الدولة على وسائل الإنتاج فقط وليست ملكيتها.

وهنا ضحك عبد الناصر ساخراً معلناً حقيقة نواياه قائلاً:

- يا أبو كمال .. وهكذا كان يناديه .. هل هناك سيطرة بدون ملكية .. أنني لن أتراجع عن التطبيق الاشتراكي حتى ولو وصل الأمر إلى تأميم كل المحلات والورش الصغيرة.

ونطق كمال حسين بكلمتين تعبران عن عدم اقتناعه بما قاله عبد الناصر وعدم قدرته على تحقيق ما في خياله .. قال له:

في المشمش تقدر تعمل كده .. وفي المشمش تعبير شعبي يردده أي واحد عن الشيء غير الممكن تحقيقه..

وقال له عبد الناصر:

أيهما تفضل يا أبو كمال .. عبود والا ستالين .. وكان يعني بذلك الرأسمالية ويرمز لها بعبود باشا .. أحد أصحاب الملايين قبل قيام الثورة .. والنظام الشيوعي رامزاً له بستالين ..

ورد عليه كمال حسين بذكاء:

كأنك تسألني أيهما أفضل الشيطان .. أم إبليس .. فكلاهما لا شك مر .. علينا أن نطبق ما جاء في كتاب الله وسنة الرسول عن الاشتراكية ..

استمرت تلك الجلسة ثماني ساعات من الساعة الثانية عشرة ظهراً تقريباً وحتى الساعة الثامنة مساء وتوجه الجميع إلى سرادق العزاء وكان كمال حسين قد أنهى اشتراكه في المناقشة بأن أخذ يردد لهم (لكم دينكم ولي دين) وأنا لن أستمر في الاشتراك بدفع البلاد إلى هوة الشيوعية.

مقال برافدا:

ويصمت كمال الدين حسين .. ثم يقف وكأنه تذكر شيئاً .. ويدلف إلى داخل الكابينة ويعود ومعه ورقة فولسكاب بقدمها لي قائلاً:

- هذه ترجمة عربية لما نشرته جريدة برافدا السوفيتية بعد أن أصدر عبد الناصر الدستور المؤقت لسنة 1964 .

كانت الترجمة تحتوي على شرح للمرحلة التي تمر بها مصر وأنها تشبه المرحلة التي كان تمر بها روسيا في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات والتي كانوا يعبرون عنها بمرحلة السياسة الاقتصادية الجديدة والتي سمحوا فيها للبرجوازية الصغيرة أن تساهم في عمليات الإنتاج.

وامتدح المقال الدستور الجديد في مصر والذي نص على الاشتراكية لأول مرة بدون إضافات لها كالاشتراكية العربية أو الاشتراكية الإسلامية.

وجاء في المقال أن جمال عبد الناصر تمكن من التخلص من عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين اللذين طالما قاوما الإصلاح.

وبعد أن انتهيت من قراءة ترجمة المقال استأنف كمال الدين حسين حديثه قائلاً:

- وهكذا كنت أنا على حق عندما قاومت عبد الناصر في الإنحدار إلى هاوية الشيوعية .. ومن الغريب أنه في نفس العام حضر خروشوف إلى مصر لحضور احتفالات السد العالي .. وأعلن تصريحه المشهور الذي أحدث أزمة..

فقد كان خروشوف وعبد الناصر والرئيس العراقي المرحوم عبد السلام عارف في حوار .. وفجأة قال خروشوف معلقاً على الوحدة العربية .. انه لا يفهم الوحدة العربية إلا على أساس وحدة (الكالو) أي وحدة البلوريتاريا .. وأثار تصريحه غضب الرئيس

المسلم المؤمن عبد السلام عارف وانسحب غاضباً لأن تصريح الزعيم السوفيتي كان يعبر عن النوايا وهي أن تكون وحدة الأمة العربية تحت الراية الماركسية وأن هذا هو المفهوم الوحيد للقومية في القاموس الشيوعي.

وفي 25 ماس سنة 1964 قرأ كمال الدين حسين في صحف ذلك اليوم كغيره من المواطنين العاديين القانون 119 لسنة 1964 وتاريخ صدور القانون هو اليوم السابق .. وقرأ بنوده وصرخ ..

- هذا ظلم .. فرعون نفسه لم يحكم البلاد بقانون مثل ذلك القانون..

وأخذ يهاجم القانون في كل مجلس من مجالسه .. كل من يزوره يندد أمامه بقانون عبد الناصر 119 لسنة 1964 وكانت خطورة القانون أنه يتضمن اعتداء صارخاً لوثيقة إعلان حقوق الإنسان ولكافة المبادئ الدستورية بل وللقوانين العادية ..

وسر هذه الخطورة أنه يخول لرئيس الجمهورية في غير الحالات الاستثنائية والطارئة المقررة في قانون الطوارئ وبدون إبداء الأسباب أن يقبض على المواطنين وأن يحتجزهم فيما أسماه بمكان أمين وأن يؤمن الحراسة على أموالهم وممتلكاتهم، وأن يكون لسلطات التحقيق لدى تحقيقها الجرائم التي تحال إليها طبقاً لهذا القانون سلطات مطلقة وغير مقيدة بما ورد في قانون الإجراءات الجنائية من قيود وضمانات للأفراد، كما يخول ذلك القانون لرئيس الجمهورية الحق أن يأمر بتشكيل محاكم استثنائية من العنصر العسكري الخالص لمحاكمة المواطنين وأعفى هذه المحاكم من أن تتقيد بأي قانون وحظر الطعن في أحكامها بأي وجه من الوجوه ..

وكان هذا سبب ثورة كمال حسين على القانون .. ومهاجمته له .. فهو قانون لا يصدره حاكم إلا إذا رأى أن يحكم البلاد بقانون ضد سيادة القانون ويقضي على كل صوت يرتفع بكلمة (لا) أمام تصرفاته ..

وبمجرد صدور ذلك القانون تمت المحاكمة للآلاف من المواطنين الأبرياء وكانت كل جرائمهم أنهم انتقدوا سياسة الحاكم .. وكانت عيون الحاكم تحيط بكمال الدين حسين تنقل إليه كل ما يقوله ..

وتسجل عليه كل آرائه .. وبدأ الكثيرون يحاولون إقناعه بالكف عن الكلام .. ولكنه استمر ينتقد .. وينتقد.

ومر عام.. وفي مارس 1965 أجرى استفتاء على الدستور ورئيس الجمهورية .. وبعث الحاكم بعيونه إلى لجان الانتخاب المقيد بها زملاؤه من رجال اثورة ليعرف ما إذا كانوا اشتركوا في انتخابه أم عدلوا..

ولم يذهب كمال حسين .. وذهب عبد اللطيف البغدادي إلى لجنته الانتخابية القريبة من مسكنه في مدينة نصر قبل موعد إغلاق الصناديق بربع ساعة .. وكان البغدادي هو الآخر من الذين رفعوا راية المعارضة ضد انفراد عبد الناصر بالحكم وقدم استقالته من مجلس الرئاسة لعدم استراحته لطريقة الحكم .. وظلت هذه الاستقالة سراً لم يعرف نصها إلا القليلون حتى كشف عنها البغدادي في شهادته أمام غرف المشورة بمحكمة القاهرة يوم 29 يونيو 1975 عندما استدعى هو وكمال حسين والدكتور نور الدين طراف للإدلاء بشهاداتهم عما إذا كان القانون 119 لسنة 1964 قد عرض على مجلس الرئاسة أم أن الحاكم أصدره بمفرده مدعياً موافقتهم مع بقية أعضاء المجلس عليه.

وأكد الثلاثة أن القانون لم يعرض أصلاً على مجلس الرئاسة .. وأن الحاكم عبد الناصر فاجأهم بإصداره كما اعتاد أن يفاجئهم دائماً بإصدار غيره من القوانين أو اتخاذ إجراءات تتعلق بسياسة البلد دون عرضها عليهم كقيادة وكما كان ينص بذلك الإعلان الدستوري بتشكل مجلس الرئاسة.

ولذلك عندما أعلن دستور 1965 وبدأ الاستفتاء على رئاسة عبد الناصر للجمهورية .. رفض كمال الدين حسين أن يشترك مرة أخرى في اختياره وبقي في منزله لا يدلي بصوته .. أما عبد اللطيف فقد ذهب وأدلى بصوته موافقاً على اختياره رئيساً للجمهورية.

ويعلل البغدادي تصرفه هذا وأنا أنقله ما قاله تماماً أمام كمال الدين حسين في كابينته .. أنه قبل الذهاب إلى اللجنة أخذ يوازن بين ايجابيات عبد الناصر وسلبياته في الماضي .. فوجد أن كفة ايجابيات الماضي ترجح .. وأخذ يوازن بين كفته في المستقبل وكفته في الماضي فوجد أن يترك له فرصة فربما يعود إلى ما كان عليه في الماضي .. وأعطاه صوته ..

ويضيف البغدادي أنه سمع من محمد حسنين هيكل أن عبد الناصر لم ينم في ليلة الاستفتاء إلا بعد أن علم نتيجة صناديق الاقتراع في لجنة البغدادي بعد أن وصله علم أنه أدلى بصوته وجاءت النتيجة 100% وتأكد أن البغدادي أعطاه صوته .. وفي اليوم التالي مباشرة أصدر قراراً جمهورياً برفع الحراسة عن شقيقة سعد وأعاد له كافة ممتلكاته .. وكان شيئاً لم يحدث .. هكذا جاء نص القرار ..

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل اتصل به وبكمال حسين وحاول إقناعهما بالعودة إلى الحياة السياسية .. ولكن الإثنين رفضاً بعد مناقشات طويلة اشترك فيها المشير عامر لتصورهما أن الحكم الجماعي لن يعود وأنهما سيشتركان مرة أخرى في حكم الفرد .. وفي يوم 25 مارس سنة 1965 أصدر جمال عبد الناصر قرارا بتعيين المشير عامر نائباً أول له وتعيين زكريا محيي الدين وحسين الشافعي وحسن إبراهيم نواباً له .. وبقي أنور السادات رئيساً لمجلس الأمة ولم تأت إلى البغدادي بعد ذلك سيرة ولا كمال حسين ..

وفي سبتمبر سنة 1965 كانت أجهزة المباحث الجنائية العسكرية التابعة للمشير عامر وعلى رأسها أحد أعوان شمس بدران وهوا لعقيد حسن خليل ادعت أنها كشفت مؤامرة يدبرها الإخوان المسلمون برئاسة المرحوم سيد قطب لقلب نظام الحكم بعد القيام بعمليات تخريب وتدمير واسعة في مختلف أنحاء البلاد...وتم القبض على الآلاف وزج بهم في السجون وبدأت عمليات تعذيب بشعة لهم للاعتراف بكل ما يملي عليهم .. وبدأت الهمسات تتناقل صورة ما يتم داخل السجن الحربي من أبشع ألوان التعذيب والامتهان لكرامة الإنسان.

ولنشأة كمال الدين حسين الدينية .. وعندما وصلت إلى أذانه ما يتعرض له الإخوان المسلمون من تعذيب سارع وأرسل رسالته الشهيرة (اتق الله) إلى عبد الناصر .. وبعث بصورة منها إلى المشير عامر ..

واعتبر الإثنان الرسالة اندماجاً من كمال حسين مع الإخوان المسلمين للإطاحة بهما خاصة أنه كان يوزع كتاب سيد قطب على زواره .. وتم اعتقاله وتحديد إقامته في فيلا بالهرم ..

ويقول كمال حسين أنه فوجئ بعد اعتقاله بثلاثة أيام بالعقيد حسن خليل مدير المباحث الجنائية يحضر إليه ويقول له:

- سيادة المشير مسافر بره وبيسألك مش عايز حاجة؟

ورد كمال حسين:

عايزك توصل له الكلمتين دول .. وبس .. إذا كنت تقدر .. قل له اللي اختشوا ماتوا.

وسافر المشير عامر إلى فرنسا وقال لي كمال حسين أنه في خلال فترة اعتقالي الأولى كتبت للمشير رسالة بعد عودته من فرنسا ورد على المشير عامر وكان لرد المشير رد مني:

* * *

خطاب إلى عبد الحكيم عامر:

وقام كمال حسين من مكانه في الشرفة وعاد يحمل ملفاً كبيراً واحدا يتصفح أوراقه ثم أخرج مجموعة من الأوراق ناولها لي وهو يبتسم وقال:

هذه رسالتي الأولى إلى المرحوم المشير عبد الحكيم عامر أنني بقيت في المعتقل أو المكان الذي أسموه مكاناً أميناً انتظر أن يتصل بي أحد الإخوة الحكام الذين شاركوني وشاركتهم ثورة 23 وابتعدت عنهم عندما شعرت أن الشعارات التي رفعناها لا يطبقونها .. ومرت الأيام وفكرت أن أكتب إلى عبد الناصر وعدلت عن الفكرة ليقيني أن الرسالة لن تصله وقررت أن أكتب إلى عبد الحكيم عامر لأن حراسي كانوا من المباحث الجنائية العسكرية وأعلم أنهم سيوصلون رسالتي إليه وسيقرؤها عبد الناصر .. وقدم لي الرسالة .. وقرأتها .. واستأذنته أن أنقلها .. وسمح لي ..

وأنني هنا أنقل نص الرسالة وهي بتاريخ 25 أكتوبر 1965 أي بعد اعتقاله بـ 11 يوماً .. وهذا هو النص:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عبد الحكيم .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. كلمة صريحة (وأخيرة لن تنزعج بعدها) ..يا عبد الحكيم .. لم أجد بداً من أن أقولها لك بعد كل ما حدث وإن كنت قد ترددت كثيراً في الكتابة لك فإني حين نويت لم أتردد قط في أن أكون صريحاً.

اليوم أصبحت يا عبد الحكيم اعتقد أنه لا حياة لي في بلدي الذي أصبحت أرى فيه جزاء لكلمة (اتق الله) هو ما أنا فيه وما أهلي فيه ..

عندما قلت لكم اتقوا الله قصدت أن تتقوا الله في هذا الشعب الذي قمنا لخلاصه واسترداد حريته.

قلت لكم اتقوا الله بعد أن ألجمتم جميع الأفواه إلا أفواه المنافقين والمتزلقين والطبالين والزمارين..

قلت لكم اتقوا الله في الحرية التي قضيتم على كل ما كان باقياً من آثارها وكنا نأمل أن تتفتح لها براعم نامية نطمئن حين نمضي من هذه الدنيا أننا قد أدينا أمانتنا فنترك بعدنا هذه البراعم وقد نضجت وأصبحت قوية قادرة على الصمود.

قلت لكم اتقوا الله لأنكم أردتم ((استنعاج)) هذا الشعب وأنا لم أكن أرضى ذلك ولذلك أصبحت الآن لا أطيق الحياة في هذا الجو الخانق وأرجو أن يتيسر لك معرفة درجة الاختناق في هذا الجو وإذا لم يتيسر لك ذلك فالمصيبة تكون أعظم، فإذا كانت قد بقيت لديكم بقية من إخوة كانت بيننا يوماً من الأيام فإني لا أطلب سوى أن أخرج أنا ومن يريد من أسرتي التي نالها أيضاً نصيب وافر من إجراءاتكم إلى السعودية لأبقى إلى جوار رسول الله حيث أقضي ما بقى من حياتي مخلصاً لها حي لنفسي وديني لله .. فاليوم يمكنني أن أرى صورة المستقبل لهذا الوطن بعد ما كان جزائي على كلمة الحق "اتق الله" ما أنا فيه.

وأنت تعلم يا عبد الحكيم إنكم لن يمكنكم أن تكبلوا روحي وأن اعتقلتم جسمي ..

وأنت تعلم يا عبد الحكيم إنكم لا تملكون أي حق شرعي فيما قمتم به نحوي إلا حق الدكتاتورية والطغيان .. إذا جاز أن يكون لها حق ..

وأنت تعلم يا عبد الحكيم إنكم إذا لم تتقيدوا بشرع تجاهي فالناس يعلمون .. ومن زمن .. إنكم غير مقيدين بشرع تجاههم .. وهم إذا لم يكونوا قد فهموا معنى القانون رقم 119 لسنة 1964 فإنهم سيعرفون معناه جيداً الآن.

أنا آسف أن تتحول ثورة الحرية إلى ثورة إرهاب لا يعلم فيها كل إنسان مصيره لو قال كلمة حرة يرضى بها ضميره ووطنه. فإذا

قيل لي أو للناس أن هناك مفهوماً آخر للحرية فهذا هو التضليل وحكم الهوى الذي يضل به الشيطان أولياءه لينسوا قانون الله وشرع الله وشرع الإسلام الذي جاء ليخلص الناس من عبادة العبد إلى عبادة رب العباد .. حرية يتساوى فيها أبناء آدم وحواء أمام الله .. أمام الشرع أمام الحكم الإلهي الذي لا يقبل التأويل واللف والدوران.

يا عبد الحكيم .. مهما كانت التفاسير والشعارات فالحرية هي الحرية التي عبر عنها عمر بن الخطاب حين قال (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) وحين قيل له (اتق الله) قال (لاخير فيهم إذا لم يقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها ..

وأنت يا عبد الحكيم أنني لن استعطف أحداً ولن أخاف إلا الله .. وأنا حين اكتب إليك الآن فإني لا أطلب شيئاً غير الرحيل عن هذه الأرض التي يئست أن تقال فيها كلم حق فضلاً عن أن يقام فيها ميزان عدل .. وإن أبيتم على ذلك فإن وليي هو الله عليه أتكل وأنيب وإنا لله وإنا إليه راجعون.

يا عبد الحكيم أن إجراءاتكم هذه التي أصابتني إن كنت قد تحملها في صبر فإن الصدع الذي أصاب مشاعري تجاه من أمر بها صدع يصعب رتقه .. وبقائي هنا مشقة لي ولكم وأنت تعلم يا عبد الحكيم حينما جئتني في مارس 1965 وقلت لك أنني مستعد للاعتقال أو القتل! أو أي شيء آخر قلت من نفسك (اعتقال إيه يا شيخ .. والله أنا الله يجي يعتقلني أنا أضربه بالرصاص .. أنا فكرت في هذا ولكني لم استصوبه لأن هذا ينافي إيماني .. وجاء يحدثني هلال كرجل وعلى لسان رجل أو رجال، ومع ذلك كانت النتيجة أن فتش منزلي وحجرة مكتبي ورقة ورقة وحجرة نومي وعائلتي وحتى ملابسي ومتعلقات السيدات، واعتقل أهلي وضيوفي الذين تصادف وجودهم في منزلي حينئذ وأنا لا أعرف مصيرهم حتى الآن تماماً كما لا يعلم أحد من أفراد الشعب سبب أو مكان ولا مصير أي شخص يعتقل منهم، وإذا مات أحدهم .. لأي سبب يكتفي بأن يخطر أهله بأنه قد هرب أو أنه قد دفن في مكان كذا وتحت رقم كذا ..

يا عبد الحكيم إن ما قمتم به نحوي جريمة تماماً مثل الجرائم الكثيرة التي ارتكبت تجاه المواطنين .. طبعاً مع تغيير في الشكل.

وكانت الرجولة يا عبد الحكيم تقتضي أن يواجهني واحد منكم .. لأعلم منه ماذا جرى .. لماذا انطبقت السماء على الأرض من كلمة حق تصيح فيكم (أن اتقوا الله ..) ولكن للأسف خانتكم شجاعتكم فأبيتم هذه المواجهة واستخدمت سلاحاً لا يقنع عقلاً حراً ولا يكبل ضميراً حياً ولا يئد إيماناً وتقوى ولكن يورث النفس مرارة وأسفاً .. فإذا لم يواجهني أحد منكم فلماذا لا أواجه بمحكمة عادلة شرعية على الأقل لأعرف ما هي التهمة الموجهة لي ما دام قد أصبح أمراً طبيعياً .. في زمن الحرية .. أن يعتقل الناس وتصادر حرياتهم دون أن توجه لهم تهمة .. أنا أتحدى أي اتهام وأنا أتحدى أن يواجهني أحد بأي اتهام يبرر ما حدث .. طبعاً أنني أخرج من حسابي عمليات التلفيق لأني ما زلت أنكر عليكم اللجوء مع مثلي لمثل ذلك..

يا عبد الحكيم .. ألم أقل لك في مارس الماضي ما هي ضمانات الحرية ... فقلت "نحن ضمانات الحرية" وقلت لك أني لا أثق في ذلك .. وهذه الأيام تأتيني بالبرهان بأن للحرية ضمانات وأنتم الضمانات... كل شيء جايز!!

ألم أقل لك يومئذ أنه إذا لم يتنازل عن تألهه وفرديته فلا فائدة للعمل معه . فهل يا ترى هذا الذي جرى لمواجهة كلمة اتق الله هي دليل هذا التنازل؟

كلمة صريحة أقولها لك يا عبد الحكيم أنا أرثي لهذه الحال ومع ذلك أتمنى أن يهديكم الله لا تغضب أنت الآخر يا عبد الحكيم .. راجع نفسك ... ولا يغلبك الهوى والغرض .. راجع ضميرك قبل ثورة 23 يوليو وعلى مدى سنين من هذه الثورة ثم انظر أين ينتهي بكم الطريق .. طريق الحرية أقدس ما منح الله للإنسان..

يجب أن تعلم يا عبد الحكيم رأي الناس فيكم وما يحسونه نحوكم .. لقد أصبحتم ويا للأسف في نظر الشعب جلاديه .. نتيجة تدعو للرثاء وحصاد مر لثورة 23 التحررية الكبرى تتجرعه الملايين المستذلة بعدما وضعت في تلك الثورة وقياداتها آمالها وأعطتها الكثير واستأمنتها على الكثير .. على الحرية.. ولكن أين الأمانة الآن والله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، لقد بددت الأمانة لقد وئدت الحرية وتعيش هذه الأيام وكأنها في ليل لا يبدد له فجر.

يا عبد الحكيم لا تتصور إني مبتئس لما جرى ولكنني حقيقة أشعر بالأسف وأقول يا حسرة على الرجال "يا خسارة على الرجال على الثورة، وأشعر بذنب واحد وهو أن ثقتي الغير محدودة .. الغير محدودة فيكم مكنت للطغيان أن يسلب هذا الشعب حريته وكرامته وإنسانيته ومهما كانت الشعارات الزائفة التي تردد والادعاءات التي تقال فالناس جميعاً يعرفون حقيقتها والسلام.

إمضـاء

كمال الدين حسين

1965/10/25

رد عبد الحكيم عامر:

وانتهت الرسالة ... ووجدت نفسي أسأله:

- وماذا بعد؟

وضحك وقال ...

- بعد 10 أيام جاءني ضابط من مكتب المشير المرحوم عامر يحمل لي رداً منه على رسالتي .. حاول رحمه الله أن يبرر تصرفات عبد الناصر، وها هو الرد ..

وقدم لي ثلاث ورقات فولسكاب تحوى رد المشير عامر .. واستأذنته أيضاً أن أنقله .. وسمح لي .. وفيما يلي نص الرسالة وهي بتاريخ 4 نوفمبر سنة 1965:

عزيزي كمال:

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

لقد تعودت ألا تزعجني الصراحة .. لأن الصراحة هي الطريق إلى الفهم الصحيح .. ودعني أيضاً أن أصارحك القول وقد تعودت أن أقول ما أعتقد ولا أخشى في ذلك إلا الله وضميري ..

أن طبيعة الرسالة التي تلقيتها منك كانت بمثابة صدمة عنيفة قد نسفت في نظري جميع القيم والروابط التي تجمعنا وفي رأيي لم يكن هناك ما يبررها على الإطلاق فهي مرسلة .. وسأعبر عن ذلك مخلصاً وصادقاً. "من كمال رسول الله إلى عبد الحكيم كسرى أنو شروان" أي من نبي مؤمن إلى قائد ملحد وأنت لست نبياً وما كنا نحن بملحدين كافرين ... فنحن نؤمن بالله واليوم الآخر .. وكنت انتظر أن تكون رسالتك في مثل هذا الوقت وهذه المؤامرات الإجرامية

تدبر والتي كان الغرض منها التحطيم والقضاء على نفوس بريئة والرجوع بها إلى الخلف سنين طويلة .. كنت انتظر على الأقل أن تستنكر ذلك وما عهدت فيك عدم الوفاء وما عهدت أن ترى الأمور بهذه الطريقة الغريبة التي لا أعلم ولا يعلم إلا الله كيف وصل بك الأمر إلى ذلك .. تتشكك في كل شيء وترى صوراً قاتمة لا وجود لها .. ماذا ألم بك؟ .. لا أعلم أرجع إلى نفسك يا كمال وتأمل كل شيء بهدوء وبنفس خالية من الغضب والنزعات .. فكر في الأمور بعيداً عن المؤثرات وبعيداً عن كلام المغرضين وهمساتهم وافتراءاتهم .. الذين لهم هوى والذين لا يبغون إلا مصلحة ذاتية من ورائك .. وقد وجدوا في شخصك الأمل الذي يحقق لهم الأمل وهذه الأهداف، فهم يدعون الكلام باسم الحق وهم لا يريدون إلا الباطل ..

أن المؤامرة الأخيرة التي دبرها الإخوان المسلمون المتعصبون .. مؤامرة لا يمكن وصفها جريمة ضد شعب بأسره .. بل جرائم قتل باسم الإسلام ماء تسيل وخراب يعم باسم الإسلام .. هل هذه هي الحرية التي يطالب بها هؤلاء الذين يريدون فرض أنفسهم على الناس بالدماء والخراب .. والله هذا لا يقره دين ولا يقره ضمير ولا يقره أي شخص عنده إنسانية.

إنني تابعت التحقيق خطوة خطوة .. والمؤامرة فيها أكثر مما نشر حتى الآن .. أيريد سيد قطب الذي كنت توزع كتبه أن يصنع من نفسه نبياص ينزل عليه الوحي يأمره بقتل الناس وتدمير البشر .. أهو ظل الله على الأرض ينهي حياة ما شاء من العباد .. لا أعلم كيف لم يحدث في نفسك هذا العمل الألم كل الألم .. وكيف اكتفيت بإرسال خطابك لي بالمعنى الذي سبق أن ذكرته لك .. هل فكرت ماذا كان سيترتب على نسف محطات الكهرباء فقط ؟ .. توقف المستشفيات وفاة المرضى رجالاً ونساء وأطفالاً .. القاهرة بلا ضوء .. بلا مصانع تعمل فيها .. آلاف العمال أصبحوا عاطلين .. الناس لا تجد قوت يومهم .. بل لا يجدوا حتى الماء ليشربوه .. مجاري تطفح في الشوارع وفي المنازل .. أوبئة تفتك بأرواح لن تعوض طبعاً .. باسم ماذا يحدث كل هذا .. بأمر من يحدث كل هذا كيف تعوض مثل هذه الخسارة قبل سنوات طويلة .. أما الأرواح فلن تعوض طبعاً .. باسم ماذا يحدث كل هذا؟ بأمر من يحدث كل هذا ؟ .. حكم من هذا؟ حكم من جعلوا أنفسهم خليفة الله في الأرض .. إنه اغتيال الشعب ولحريته ولحياته ولتقدمه بل أيضاً لمعاشه اليومي ..

وماذا يكون شعورك وأولادك في منطقة تتفجر منها مواد النسف؟؟

ماذا يكون شعور كل أب .. كل أم .. كل أخ .. ؟ فكر قليلاً يا كمال دون تحيز ودون غضب لأن هذا هو حكم الطغيان بكل معانيه .. حكم الغاية بكل صوره .. هذا هو الإرهاب بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى مروع ..

هل الإخوة والوفاء تعني تأييدك لهذا العمل أو تعني أنه كان يجب عليه استنكاره؟!

هل المبادئ الإسلامية والإنسانية تقر أنك لا تقف تحارب كل هذا بكل قوتك بدل أن تؤيده في خطابك الأول الذي يدل معناه على ذلك؟

أي معنى ذلك أنك توافق على قتلنا وهذا في رأيي أبسط الأمور فلكل أجل كتاب .. ولكن كيف يطاوعك ضميرك وكيف تقنع نفسك بالموافقة على اغتيال شعب؟

تعرضت في كلامك عن الثقة فينا وأنا بدوري أقول إنك لم تخطئ بثقتك فينا وكل ما أريده منك وأرجوه أن تفكر بعيداً عن كل مؤثر أو مظهر ولا تجعل أي تصرف شخصي أو تصرف بسيط يؤثر على جوهر المواضيع..

أننا ومن جانبي أيضاً ستعمل على المحافظة على مصالح شعبنا وسنحافظ عليه ضد أي محاولات من هذا الطابع بكل وسيلة ممكنة وكما ذكرت حقاً في خطابك الأخير أن الناس يعرفون الحقيقة ولكن ليست الحقيقة التي تتصورها أنت .. والتي طبعاً يصورها لك بعض الناس الذين تعتبرهم ثقة وأن كلامهم لا يقبل المناقشة.

وتقول إنك تريد أن تخرج إلى السعودية .. لماذا ؟ هل هي بلد الحريات .. هل هي بلد الإسلام .. ؟ ما هذا يا كمال .. عجيب والله هذا التفكير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بشراً ومات كما يموت البشر .. وأن جلوسك بجانب قبره لن يعطيك شيئاً. لا تخدع نفسك يا كمال .. جرد نفسك يا كمال .. من كل الاعتبارات ملياً وسترى الأمور بغير هذه العين خصوصاً بالنسبة للحقائق التي سردتها لك ولا تقبل جدلاً..

ثم بعد ذلك تكلمني عن قانون .. ويزعجك أن يصدر مثله .. وهذا ليس موضوعاً جوهرياً ومهما أخطأت الثورة يا كمال فإنها تصحح دائماً أخطاءها..

ولكنها ما كانت قاسية .. وما كانت منتقمة .. وأنت تعلم ذلك وشاركتنا في أفكارنا وفي قراءتنا وفي جميع الأحداث التي

مرت بشعبنا منذ يوليو 52 .. ونعلم جيداً كيف نفكر .. وكيف نتصرف ..
أن الذي يقضي على الحرية ويقتلها هو التعصب مهما كان نوعه ومهما كان شكله.. ومهما كانت الشعارات التي يحتمي فيها .. أن كان تحت اسم إسلام أو تحت اسم إصلاح أو غيره ..
أن بلادنا يتآمر عليها الاستعمار والرجعية. ألا يكفي ذلك حتى يخرج هذه الفئة لتضع البلاد تحت رحمته وتجعلنا في قبضته مرة أخرى ربما إلى سنين طويلة لا يعلم إلا الله عددها ؟
هل هذا مفهوم الحرية .. وهل هذه هي الحرية .. التي أعلنها الإسلام أنا أقول كلا وألف كلا .. بل أن هذا هو الكفر بعينه بكل القيم البشرية والإنسانية بأكملها.
أتوافق يا كمال على أن يحكم مثل هذا الشعب مثل هذه الحيوانات الكاسرة التي نزعت من قلوبها الرحمة .. تعصب أعمى لا يرى إلا في القتل والتهديد وسيلة لكل شيء.. وبأمر من ظل الله على الأرض سيد قطب .. وهل هذا هو حكم الله ؟ أن الله برئ من القتلة والسفاكين..
لماذا أنت عاتب إذاً .. أليس عتبى عليك أكثر وأعظم .. أليس من حقي وأنا بشر ولست نبياً ولا أدعي أنني أوتيت من الحكمة كلها أو بعضها .. أليس من حقي أن أصاب بصدمة حين أجد أن هذا هو أسلوب تفكيك الجديد.. وهذا ما يقره ضميرك، وهذا ما تراه حقاً ..
أنني يا كمال كما تعرف لا أخاف أحداً ولا أخشى شيئاً إلا الله وضميري، ولولا سفري لفرنسا لجابهتك بهذه الحقائق مع ضعف أملي أنك ستستمع لما أقوله وتقتنع بالحقائق الملموسة .. أننا لم نمنع الناس عنك إلا خوفاً عليك .. وخوفاً على الناس ألا تنتهي المأساة البشرية التي كانت تعلم على ثلاثة عشر عاماً .. قد تختلف في الرأي .. لكن أرجو أن تصفو إلى نفسك وتفكر في هذه الآراء ..وتطرح المسائل الصغيرة جانباً .. وطبعاً أنت حر في أن تأخذ بها أو تلقيها في عرض البحر ولكن لي الحق أن أكتب إليك ناصحاً بأمانة وصدق كما كتبت إلي لائماً وناصحاً .. ربما تذكر أنك كنت في الحكم وجميع السلطات في يدك سياسية وتنفيذية .. وهذه حقيقة وكنت حر التصرف .. وهذه حقيقة أيضاً .. ولم يحدث طوال هذه الفترة أن اختلفت على المبادئ التي تثور عليها الآن بل كنت متحمساً لها وكنت أشد تطرفاً .. هذه حقيقة أيضاً .. ربما تذكر القوانين

الاشتراكية سنة 61 والآراء التي أبديتها أنت شخصياً في الاجتماع بالإسكندرية .. وكنت يا كمال متطرفاً لحد كبير وتحمساً للقوانين أشد التحمس حقيقة أيضاً .. ماذا تغير إذن بعد ذلك حتى تتحول هذا التحول المفاجئ المتطرف أيضاً .. وفجأة يصبح كل شيء خطأ .. وتصبح الحريات مغتالة على حد تعبيرك الذي لم أهضمه مطلقاً .. فجأة حدث كل ذلك .. ما الذي غير أفكارك بهذه السرعة الكبيرة .. ما الذي أخل توازنك لهذه الدرجة وحتى تنقلب أفكارك فجأة.

لقد تناقشت أكثر من مرة في أفكارك وتطارحنا الحجج والبراهين .. وصدقني والله ما وجدت في آرائك التي أصر على أنها ظهرت فجأة شيئاً منطقياً أو سليماً .. وجدت لديك إصراراً غريباً وعقلك يرفض أن يناقش .. بل تصميم فقط على ما أنت فيه .. أن تطبيق أي نظام وحكم الشعوب يحتاج منا جميعاً لإعادة النظر في خطواتنا من حين لآخر فجل من لا يخطئ .. وأظن ألا تعتبر نفسك معصوماً من الخطأ .. ولا أظن أن يصل بك الأمر إلى هذا الحد .. ولكن كل الشواهد تدل على غير ذلك .. فأنت تريد فرض رأيك ورأيك أنت فقط في نظرك الصحيح وهذه هي الدكتاتورية في أعنف مظاهرها يا كمال .. وهذا هو قتل الحريات وضربها ضربة قاصمة كل منا يرى عيوب غيره وحبذا لو فكر في عيوب نفسه .. لماذا لا تحاول أن تجابه نفسك وتعرف عيوبك كما تبحث عن عيوب الآخرين وتبالغ فيها إلى أقصى الحدود .. أن فعلت أو حاولت بالنسبة لنفسك يكن حكمك على الأمور أقرب إلى الصواب ولا تختلط الأمور في ذهنك هذا الاختلاط الفظيع لا تجعل حالتك النفسية تؤثر على تفكيرك .. ولا تجعل لكلام من حولك قدسية .. وهم في كلامهم معك في قرارة أنفسهم يعملون طلباً للنفوذ وطلباً للسطوة وللشهرة .. وعندي على ذلك أمثلة كثيرة واقعية أمثلة حية غير مبنية على استنتاج أو على كلام الغير.

إذا فكرت جيداً وحللت كل شيء لنفسك بصراحة وضوح ستجد أنني كنت خير ناصح حتى ممن تظن أنهم أقرب وأخلص الناس إليك وأعود مرة أخرى وأقول كيف تتصور أن تولد الحرية في ظل الدماء والخراب .. وأن يكون لفئة من الناس أن يتكلموا ويفعلوا باسم الله مفوضين منه .. يفعلون ما شاءوا .. هل هذه هي الحرية .. هل هذا هو طريق الحرية.. ؟ أو الديمقراطية ..

أقول بدوري يا كمال اتق الله في نفسك .. اتق الله في شعب مصر .. اتق الله في حياة الناس وأرزاقهم .. ولا تظلم نفسك ولا تظلم

الناس معك .. لقد حاولت جهدي أن أشرح لك الحقيقة وإن كانت مرة .. ولكن دفعني إلى ذلك دفعاً .. وأقول وأنا مرتاح الضمير أنني أديت الأمانة .. ولعلك ترى الأمور على حقيقتها بعيداً عن المؤثرات التي وقعت تحت فترة من الزمن وإن حدث ذلك كان نقداً عظيماً لك على نفسك وكان نعمة وبركة من الله للجميع.

وقد ترددت أن أكتب خوفاً من أن تكون قد سددت أذنيك لا تريد أن تسمع أحداً إلا إذا حدثك على هواك وعلى ما تحب. ولكنني قررت أن أرد عليك قدر جهدي ومناقشة الموضوعات التي أثرتها ليست صعبة .. فقد ناقشتها معك مراراً وما اقتنع أحد من الذين ليس لهم غرض بما تقول يا كمال.

والسلام عليكم ورحمة الله

عبد الحكيم عامر

في: 65/11/4

ملاحظة:

أنني أخشى حكم التاريخ عليك أن يقول كمال حسين انقلب على الحكم متبنياً أفكاراً جديدة لأنه ابتعد عن السلطة التنفيذية والسلطات التي يمارسها.

عبد الحكيم

كتبت إليك هذا لتعرف الجانب الآخر من الصورة التي قد تكون تاهت عنك وسط خضم المتكلمين والمحدثين، وأني أكتب لك ما أعتقده وعن صدق الحديث طويل ولا يتسع له حتى هذه الصفحات القليلة ولكن لعل الله يجمع ما تفرق ويهدي ويرتق الصدع أنه على كل شيء قدير.

عبد الحكيم

رد كمال الدين حسين:

انتهت بذلك رسالة المشير عبد الحكيم عامر بعد أن ذيلها بالملاحظتين .. فماذا كان رد فعلها على كمال الدين حسين .. أنه تسلمها في الساعة الخامسة مساء .. وأخذ يقرأها مرة واثنتين وثلاثاً وهنا يجب أن نتوقف قليلاً .. فالرسالة كانت تتضمن دفاعاً كاملاً عن كل التصرفات الشاذة والاستثنائية التي قامت بها السلطات وقتئذ ضد المرحوم سيد قطب وجماعته من الإخوان المسلمين ونسب إليهم اعترافات بمحاولات تدمير وتخريب بعد أن استخدمت معهم أبشع ألوان التعذيب

وأحدثها وكان من أبشعها إطلاق كلاب الحرب عليهم لتنهش من لحومهم .. وكانت علميات التعذيب تتم تحت إشراف جهاز المباحث الجنائية العسكرية الذي يتبع المشير عبد الحكيم عامر .. وهؤلاء المتهمون هم الذين أفرج عنهم الرئيس السادات في أوائل هذا العام وأصدر قراره الإنساني بالعفو عنهم..

ونعود إلى رسالة عبد الحكيم عامر .. فبعد أن قرأها كمال الدين حسين ثلاث مرات وضعها أمامه وبدأ يرد على كل سطر فيها.. بدأ يكتب الرد في الثانية من مساء يوم وصولها يوم 4 نوفمبر 1965 وانتهى منه في صباح اليوم التالي .. أراد أن يعيد الرد في اليوم التالي مباشرة لتسلمه الرسالة .. وجاء الرد في 13 صفحة فولسكاب وفيما يلي نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ عبد الحكيم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

لم يكن في نيتي بعد خطابي السابقي أن أكتب ثانية .. فقد وعدتك ألا أزعجك وكنت عند وعدي ولكن هناك نقطاً خطيرة في خطابك أشعر أنها تحتاج إلى إيضاح وأنا أحاول في هذه السطور أن أوضح هذه النقاط حتى لا يكون حكمك فيها مبنياً على معلومات أو استنتاج خطأ أو تصورات خطأ وأرجو ألا تحمل كلامي هذا أكثر من هذا المعنى.

1- تقول أن الرسالة التي تلقيتها مني كانت بمثابة صدمة عنيفة نسفت في نظرك جميع القيم والروابط التي تجمعنا، وطبعاً أنت حر في وجهة نظرك من ناحية الروابط ولكنك لست حراً في أن تبني أحكامك على تصورات خاطئة.

2- تقول أن الرسالة تلقيتها وكأنها من كمال رسول الله (حاشا لله) إلى عبد الحكيم كسرى أنو شروان .. وهذا خطأ .. لم يقصد منها إلا أن تكون لعبد الحكيم عامر الحاكم من كمال الدين حسين المواطن الحر بدون التمحك في صداقات وإخانية .. وأنا لم أتخيل لنفسي أن أدعي هذا الموقف وحاشاني أن أدعي ذلك .. من أنا بالنسبة لرسول الله حتى أدعي ذلك. الفرد في أمة مفروض أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر له أن يقول للحاكم "اتق الله" وقد قالها واحد من المسلمين إلى سيدنا عمر فما كان من عمر إلا أن قال "لا خير فيهم إذا لم يقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها" ولم يتصور الذي قالها في وقت من الأوقات أنه كرسول

الله ولم يخطر ببال عمر أنه متهم بالكفر ووالزندقة... واستمر المسلمون يقولونها للخلفاء من بعد عمر ولم يجرؤ واحد منهم حتى معاوية أن يبطل استعمالها حتى جاء واحد من أسرته فأبطل استعمالها.

3- أما عن التوقيت فقد أخبرتك في مناسبة سابقة. أنني كثيراً ما فكرت في كتابة خطابات لجمال عبد الناصر ولكني كنت أعود وأعدل عنها حتى لا يساء فهمها .. وربما وجدتم في بعض مذكراتي أو النوت التي كنت أكتب فيها مسودات هذه الخطابات التي لم ترسل.

ومن الطبيعي أن يفيض الأمر بنفسي بعد ما علمته عن الأعداد التي تعتقل من الناس الأبرياء والمجهول الذي يقذفون فيه والعذاب الذي يقاسونه والموت الذي يحولهم من آدميين أحياء مفروض أن يكونوا أحراراً إلى مجرد أرقام مدفونة في التراب .. ولم يتجرأ مخلوق أن يحدثكم بالحقيقة فإذا لم يوجد واحد في بلد تعداده 30 مليوناً يمكن أن يقول لحاكميه اتقوا الله فقل على هذا البلد العفاء وقل لحاكميه ألا تفرحوا بأن هذه حالها بلدكم.

ومع ذلك فما مفهوم كلمة اتق الله هل هو رمي المخاطب بالزندقة والكفر .. لا أعتقد ذلك أبداً .. فهي عندما قيلت لعمر بن الخطاب من واحد من عامة المسلمين لم يخطر على بال من قالها أن يدعي أنه رسول الله وكذلك لم يخطر ببال عمر أنه يطعنه بالكفر والزندقة وقلت لك في نهاية الخطاب أن أمة المسلمين خير أمة أخرجت للناس أمرها الله أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .. وقد قلت لك في أول الخطاب "لا خير في إذا لم أقلها لك (والله يقول أيضاً في ذلك) "لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه. لبئس ما كانوا يفعلون" صدق الله العظيم..

وتقوى الله مراعاة أمر الله وخشيته ورعاية عدل الله .. ويقول الله في ذلك "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله، إن الله خبير بما تعملون" أخشى يا عبد الحكيم أن تكون هناك عقدة نفسية في هذا الموضوع فأنت لو قرأت كتاب الله وعرفت معانيه لما تطرق إلى ذهنك هذا التفكير.

4- بعد ذلك ذكرت موضوع المؤامرات والنسف والتدمير وقلت أنه كان من الأجدر أن استنكرها بدلاً من هذا الخطاب وسوف أقول لك حقيقة مشاعري بلا مداراة في هذا الموضوع.

أولاً:

أنا لا أؤيد الجريمة بطبعي ولا يمكن أن أقرها ولكني أرى أن يحاكم المجرم بمحاكمة عادلة ثم يأخذ جزاءه الرادع.

ثانياً:

أنه وخاصة بعد تجربتنا غير الموفقة في موضوع الحرية فأنا لا أؤمن إطلاقاً بأن أي نوع من الانقلاب أو التآمر يمكن أن يؤدي إلى الحرية بل سيؤدي إلى دكتاتورية أشد قطعاً. فإذا ارتكب باسم الدين كانت أدهى وأمر.

ثالثاً:

أن جو المناقشة الحرة والمعارضة النزيهة إذا وجد فهو أحسن مناخ يمكن أ، تتم فيه التربية السياسية ويمكن أن يصلح فيه الحكم ويزيد الإنتاج وهو بلا شك يفتح الطريق لمبادئ الحق أن تنتصر.

رابعاً:

أن المبالغات التي صاحبت هذا الموضوع مثل القنبلة اليدوية التي تنسف القناطر الخيرية، تجعل المواطن الذي فقد ثقته فيما يذاع من وسائل الإعلام المختلفة على لسان كثير من المسئولين بكثرة ما فيها من كذب .. تجعله يشك شكاً كبيراً في حقيقة هذا الموضوع ومداه.

خامساً:

أن قسوة الإجراءات التي اتبعت بالنسبة للناس والآلاف التي قبض عليها ظلماً وعدواناً ولا يعرف مصيرها، تجعل الناس في جو الدكتاتورية الموجود يعتقدون أنها فرصة للقضاء على أكل أثر للمعارضة وزيادة لتكميم الأفواه.

سادساً:

أن الشيوعيين الذين أخذوا "يتتريقون" في الجرائد بالكلام والصور على الإخوان المسلمين لم يبرئهم الناس من التشفي في الإسلام نفسه "واهي فرصة" ..

5- أما بخصوص الكتب التي أعطيتها لبعض زواري، فأنا في مارس 1965 أعطيت لعباس رضوان ولصلاح نصر على ما أظن كل منهما نسخة وطبعاً أعطيت لأمثالهما مثل هذه النسخ لأن ما فيها يعبر عن رأيي كما قلت. ولم ولن أتردد في يوم من الأيام في المجابهة بهذا الرأي.

6- وأخيراً يجب أن أنبه أنه يجب التفريق بين الإسلام وبين أي مخلوق يحاول أن يرتكب شيئاً ضد الإسلام وضد الوطن .. وألا تتخذ مثل هذه الأعمال ذريعة لإرهاب أحد حين يحاول التعبير عن رأيه في حقيقة الإسلام .. فليحاكم المجرم محاكمة عادلة وليأخذ جزاءه ولكن الوزر الأكبر أن نرتكب نحن جرائم حقيقية على من لا ذنب لهم انتقاماً من جرائم تدبير الجرائم.

7- جملة ثانية لم أفهمها أبداً .. وإن كنت تعنيها فلتجابهني بصراحة ولا داعي للف والدوران .. أنك تقول هل الإخوة والوفاء تعني تأييدك لهذا العمل اللاإنساني أو تعني أنه يجب عليك استنكاره ..

فأما من ناحية الاستنكار فقد وضحت لك موقفي أما من ناحية تأييدي فهذا هو الافتراء بعينه..

من الذي قال ذلك .. من الذي يفهم ذلك .. والله إذا كان هذا اتهاماً فأنا مستعد لمواجهة هذا الاتهام .. وإذا كان خطأ في الفهم فهو موضوع آخر.

أنت تقول "أنت تؤيد في خطابك الذي يدل معناه على ذلك وتستطرد فتقول "أي أن معنى ذلك أنك توافق على قتلنا وعلى اغتيال شعب".. أنت يا عبد الحكيم أني لست أنا الذي أوافق على ذلك، ومع ذلك فأي كلمة من كلماتي في هذا الخطاب تعني هذا المعنى أو تشير إليه، هذا جناية على الحقيقة وجناية على الكلمات أن تحمل أي معنى آخر زيادة عن الذي عنته وهما قضية الحرية والعدل .. أما أن تفهم أني أؤيد النسف والتخريب والقتل .. إلخ. بهذه الكلمات .. فكلام غريب .. وغيب جداً ويمكن أن يعرض على ناس غير (متوتري الأعصاب) فعلاً .. لكي يقولوا رأيهم فيه .. أم أنك يا عبد الحكيم تدخل معي في مناقشة على طريقة عبود أحسن أو ستالين .. ليس معنى أني غير موافق على ستالين أني أوافق على عبود .. وكذلك ليس معنى أني أقول لكم اتقوا الله أني موافق على التدمير والتخريب..

8- أما الحقيقة التي يعرفها الناس، فأنا لي رأيي وأنت لك رأيك، ولو كانت هناك حرية في البلد لأمكن أن تعرف الرأي الصواب، ولكن أنت في موقف الحاكم الذي لا يملك أحد الرد عليه. فلك أن تعتقد ما شئت ولكن تذكر أني قلت

لك في مارس 1965 أنه يجب عليك معرفة رأي الناس ما دمت مسئولاً عن الناس.. وكان ذلك رداً على كلامك بأنك لا تقابل أحداً ولا تتصل بأحد وطبعاً لا يكون لك من سبيل إلى معرفة الحقيقة إلا عن طريق التقارير .. بالضبط كما كان يراد لنا أن نعرف الحقيقة عنك أنت شخصياً عن طريق التقارير.

9- أما عن موضوع رحيلي للخارج فإني كنت أعني حقيقة الذهاب إلى المدينة المنورة وليس معنى ذلك أن السعودية بلد الحرية المفقودة أو الإسلام الصحيح ولكن جو المدينة جو ملائم من الناحية الروحية ومع ذلك فإني لم أقصد أن أحدد غير هذا المعنى ولكني أفضل أي بلد عربي أو إسلامي.

10- ذكرت لي وطلبت مني ألا أخدع نفسي وأن أرى الأمور على حقيقتها، وألا أكلمك عن القانون وعدم التحدث إلى أشياء صغيرة .. فإذا كنت تعني بذلك القانون رقم 119 لسنة 1964 فاعلم يا عبد الحكيم أنه ليس موضوعاً قانونياً ولكنه موضوع رئيسي لأنه هو موضوع الحرية تقهر .. إذ أن هذا القانون يسلب الناس أي معنى من معاني الحرية ويعطي لرئيس الجمهورية سلطة مطلقة لم يتمتع بها أي حاكم لهذا البلد منذ قرون .. المادة الرابعة فيه تنص على أنه لا يجوز الطعن في قرار رئيس الجمهورية بأي شكل من الأشكال أو أمام أي جهة كانت .. أي ليس هناك إلا الله عز وجل هو الذي يطعن أمامه يوم القيامة إن شاء الله .. أن الموضوع ليس مجرد قانون عادي ولكنه ينسف أي كلام عن الدستور المزعوم أو الحرية كل الحرية للشعب أو خلافه من الشعارات.

11- وغريب أيضاً أن ترجع يا عبد الحكيم فتناقش الأعمال التي قيل أنهم سيرتكبونها .. أنت تتساءل، هل هذه الحرية التي أعلنها الإسلام (وتقول كلا .. وألف كلا .. بل هذا هو الكفر)..

وأنا أقول أيضاً من قال أن هذه هي الحرية؟ أم هي عودة إلى المناقشة على طريقة (عبود أحسن والاستالين) ومع ذلك فهذه فرصة أتوجه بها إليكم راجياً أن تذيقونا طعم هذه الحرية التي أعلنها الإسلام ما دمت مؤمنين بالله واليوم الآخر. أظن كلمة اتق الله في الإسلام لا تواجه بمثل هذا الذي جابهتمونا به .. اسمع .. أن الله يقول:

((الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)) ويقول: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله أن الله يحب المتوكلين)).. ويقول: ((والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)).

ويقول: ((وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله، ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب)).

ويقول: ((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)).

ويقول: ((وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون)).

ويقول: ((ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين، وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون، وأن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين، أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون، إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون))..

ويقول: ((أن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله إنك على الحق المبين))..

ويقول: ((وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق)).

ويقول: ((وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وأن كثيراً من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)).

ويقول: ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما..)) طبعاً الحديث موجه إلى الرسول.

ويقول: ((إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً))..

ويقول: ((أفغير الله ابتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا))..

ويقول: ((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)).

ويقول: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)..

ويقول: ((ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو، كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون))..

وآيات كثيرة في هذا المعنى أن نرجع أمورنا والحكم فيها إلى الله ورسوله ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون .. وأن ما بيني وبينكم احتكم فيه إلى الله وإلى الرسول ..

12- وأني لا أمنعك يا عبد الحكيم أن تعتب ولكنك تقول: "إنك أصبت بصدمة حين وجدت أن هذا أسلوب تفكيري الجديد وأن هذا ما يقره ضميري وهذا ما أراه حقاً .. العجب كل العجب أنك تصورني كيفما تريد، وتتصور أسلوب تفكيري كما تريد .. هل سألتني عن شيء من لك .. لا أعتقد هذا ولكنك تصورت واعتقدت وقررت وحكمت على أشياء لا تمت للحقيقة بصلة .. إذا كنت تعتقد أني أوافق على الإرهاب والتدمير والتخريب .. إلخ .. والتي لا يدل عليها أي كلام قلته أو كتبته أو عمل قمت به .. ولكنها تهيؤات .. ولعبة عبود أحسن ولا ستالين..

13- طلبت مني أن أهدأ نفساً وأن أطرح المسائل الصغيرة أناقشك .. قلت لي "ربما تذكر أنك في الحكم وجميع السلطات في يدك سياسية وتنفيذية .. وهذه حقيقة .. وكنت حر التصرف .. وهذه حقيقة أيضاً .." وأقول أنني طبعاً لم أنكر أني كنت في الحكم .. وأنتم لا تنكرون على أني لم أدخر وسعاً للعمل بتفان في كل ما وكل إلي من أمر .. أما أن جميع السلطات كانت في يدي سياسية وتنفيذية فهذا وهم .. إذ لم يكن لرئيس المجلس التنفيذي ولا للمجلس نفسه أي سلطة لدرجة أثارت ترقية توفيق عبد

الفتاح في جلسة من الجلسات زوبعة وكان هناك النظام المعقد للوزارة المركزية ولم يكن للمجلس التنفيذي أو رئيسه أي سلطة غير أنه ممر جيد تمر عليه المواضيع .. ومع ذلك ففي فترة الاتحاد القومي قد حاولت قدر ما أوتيت من جهد أن أخلق أحسن جو ملائم للناس جميعاً من أسوان إلى الإسكندرية ليعبروا عن آرائهم بمنتهى الحرية والتي كانت لا تعجب كثيراً من الوزراء الذين كنت أحاول جاهداً أن يكونوا خداماً مخلصين لهذا الشعب.. وأنت تعرف المجهود الذي بذل في هذا السبيل.

14- أما بالنسبة للقوانين الاشتراكية فأنا لا أنكر اشتراكي فيها ولا تحمسي لها ولا يمكن أن أكذب على نفسي في ذلك .. ولكن الحقيقة أيضاً هل نفذت القوانين الاشتراكية كما صدرت؟ أبداً .. وهل كان المبدأ هو الملكية العامة لجميع وسائل الإنتاج كما قيل في جلسة مارس 1964 حيث قلت لكم دينكم ولي دين .. ثم أين قرارات اللجنة التحضيرية لمؤتمر قوى الشعب الوطنية .. وأين التصريحات عن الحرية كل الحرية للشعب ..؟

هل طبقت هذه التوصيات بالنسبة للعزل .. أبداً .. ثم المؤتمر الوطني لقوى الشعب الوطنية أين التصريحات التي قيلت فيه ؟ .. وأين قراراته .. الميثاق نعم .. ولكن أين تقرير الميثاق ؟؟.. كلام تافه وركيك كما يقول جمال عبد الناصر .. أنا أعلم أن للميثاق وجهين وجهاً ماركسي وآخر إسلامياً .. أما الوجه الإسلامي فهذا الذي تقرر في تقرير الميثاق .. وأنت تعلم أن الناس كانوا يريدون تعديل الميثاق ولكن طلبنا منهم بناء على رأي جمال عبد الناصر عدم التعديل ولكن ما يريدونه من تعديل يوضع في التقرير .. وأقر جمال عبد الناصر التقرير .. وقرر المؤتمر أن يكون التقرير .. جزءاً لا يتجزأ من الميثاق وله قوته نفسها .. أين هو تقرير الميثاق الآن ؟ .. لقد قال الشيوعيون الذين اشتركوا في لجنة تقرير الميثاق أن هذا التقرير ينسف الميثاق من وجهة نظرهم لأنه يتحدث عن نوع خاص من الاشتراكية بمفهوم خاص ويحذر من نوع آخر من الاشتراكية. ويقول أن القوانين يجب أن تستمد من الشريعة وأن قيم المجتمع وثقافته يجب أن تبنى على أساس الدين .. إلخ. من الكثير الذي جاء في التقرير..

وأنا قلت في مارس 1964 أن الميثاق وتقريره أساس جيد

للعمل .. ولكن أين الميثاق وأين تقريره .. بدون حرية .. كيف يمكن تطبيق الميثاق أو تقريره .. أين ضمانات الحرية المنصوص عنها في الميثاق وتقريره .. أين الدستور الذي كان مقرراً أن يعمله الشعب في سنة 1962 .. أين قانون الاتحاد الاشتراكي الذي عمله الشعب .. أين قانون الانتخاب الذي عمله مؤتمر الاتحاد الاشتراكي ؟ .. أين المحكمة الدستورية العليا ؟ .. أين أي قانون محترم ؟ .. أين سيادة القانون ؟ . وإذا لم يكن كل ذلك موجوداً فمن أي شيء نتحدث عن الحرية ؟ .. وكيف يقال أن هذه موضوعات صغيرة ؟..

قرارات اللجنة التحضيرية نفذت كما يريد جمال عبد الناصر بالنسبة لموضوع العزل وهو موضوع هام بالنسبة للانتخابات وغيرها .. وقانون الاتحاد الاشتراكي عمله جمال عبد الناصر والدستور منحه جمال عبد الناصر للشعب وقانون الانتخاب عمله جمال عبد الناصر والقانون 119 عمله جمال عبد الناصر .. وجمال عبد الناصر عمل ما يريد في كل هذا..

فهل هذه هي الحريات السياسية والتنظيمات السياسية التي استقلت أنت بسببها مرة وقرأت أسباب استقالتك؟ .. هل كنت تعني حينئذ هذه المسوخ المشوهة للحرية والديموقراطية..

15- أما موضوع التفكير الذي تقول أنه جديد .. فهذا الكلام قيل لي في مارس 1964 وأنت لا يمكنك أن تنكر ولا جمال عبد الناصر يمكنه أن ينكر اتجاهنا الديني الإسلامي والوطني منذ تعارفنا على بعضنا .. وأنت تعلم الظروف التي جمعتنا بجمال عبد الناصر وتعلم أننا حلفنا على المصحف والمسدس في حجرة مظلمة في حي الصليبية مع المرحوم السندي وأنت تعلم كيف أننا أقنعنا الضباط سنة 1954 حين قام الإخوان بحركتهم بأننا نسير في طريق الإسلام ولكن ليس بالتعصب والشعارات وأننا سنعمل على تطبيق الإسلام وأنا لا أعلم أننا اتفقنا على غير ذلك وأنت تعلم أننا كثيراً ما تحدثنا ومعك بالذات عن الاشتراكية الإسلامية وقد قلت أنكم .. فكرتم مرة في عمل حزب آخر يحمل شعار الاشتراكية الإسلامية .. وأنا حين وجدت أن الانحراف سيجرف تياره الثورة قلت أنه لا عاصم لنا إلا الإسلام وهذا كلام الله الذي قال ((وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون)).

وأنا كنت وما زلت أعتقد في ذلك من قبل الثورة للآن .. ولكننا توهمنا أنه يمكن أن نصل إلى أهدافنا بطريقة غير صحيحة ولكننا يجب أن نواجه أنفسنا بالحقيقة .. فالإسلام يعطينا الحرية .. والإسلام لا يعبد فيه إلا الله .. ولا نتخذ فيه من أحد من العباد إلهاً آخر .. يخضع الحاكم والمحكوم لحكم الله .. لأن الحاكم عبد الله .. الله عادل وخبير بخلق الناس ويعلم طبائعهم وهو سبحانه فوق شبهة الهوى .. فالإسلام فوق شبهة الهوى والغرض ولذلك فما يقره الله واجب الاتباع .. وهذه بديهيات الدين .. وليس في ذلك معنى التعصب ولا تحكم طوائف دينية معينة ولا أي شيء من هذا القبيل .. لأن الإسلام لكل فرد .. وكل فرد يمكنه أن يتصل بروحه مباشرة بالله بدون وصي ولا وسيط وليس المجال مجال محاضرة عن الإسلام .. ولكن الذي أقوله أن أفكاري ليست جديدة .. ولكن الانحراف هو الذي أقوله أن أفكاري ليست جديدة .. ولكن الانحراف هو الذي أصاب نفوسنا .. وإجراءاتنا عندما نسينا الله الذي نصرنا في كل خطوات كفاحنا في ثورة 23 يوليو وفي حرب السويس .. الله هو الذي نصرنا وليس الصاروخ الروسي ..

16- يا عبد الحكيم أنت تتهمني بأن عقلي يرفض أن يناقش .. من قال ذلك؟ .. أنا لم أرفض النقاش ولن أرفضه .. وأنا لا أصر على رأي ولا أحاول أن أكون دكتاتوراً . ولكن هذه التهمة وجهها لي جمال عبد الناصر في مارس 1964 وقد رددت عليه يومئذ بأن يسأل الناس من أسوان إلى الإسكندرية أيضاً عن حقيقة ذلك في مناقشاتنا الشعبية المختلفة أما أن تفرض على عقيدة معينة غير الإسلام .. فإذا لم أقبلها كنت دكتاتوراً .. فأنا لا أقبلها طبعاً وأنا أحتكم إلى الله وإلى الرسول .. طبعاً إلى كلام الله وسنة رسول الله .. أما أن تتهمني حين أتمسك بديني أنني ديكتاتور فلك ولجمال عبد الناصر أن تقولا ما تشاءان ما دام لكما أن تقررا ما تشاءان .. أما إذا كانت هناك حرية رأي فليطرح ذلك على الناس لنرى من منا على صواب أليس هذا هو الشعب القائد والشعب المعلم .. إلى آخر هذه النعوت!

الواقع أن جمال عبد الناصر يحاول بذلك دفاعاً عن نفسه حسب نظرية الهجوم أحسن وسيلة للدفاع فيتهمني أن دكتاتور .. وجميع الناس يعلمون جيداً من هو الدكتاتور ..

17- وتنصحني يا عبد الحكيم وأنا أشكر لك النصح .. أن أبحث عن عيوبي أنا لا أدعي أيضاً أن ليس لي عيوب .. فأرجوك

أن تحدثني عن هذه العيوب حتى يمكنني أن أصلح حالي أو أن أرد ما يمكن أن يكون فيها من توهم ..

اتهمتني بأني أجعل للكلام من حولي قدسية .. وأنا لا أعرف من تقصد بهؤلاء الذين من حولي .. ، علاوة على أني لا أقدس كلام أحد إلا الله .. ثم تقول أنهم يعملون طلباً للنفوذ وطلباً للسيطرة وطلباً للشهرة وأنا لا أدري عمن تتحدث .. وأنا أخبر كل من يزورني أن اسمه يؤخذ وأنصحه من عدم زيارتي حتى لا يصيبه مكروه .. وفعلاً قد أصاب الكثير مكروه .. وأكون شاكراً أن تدلني عن هذه الأمثلة التي تتحدث عنها حتى أعرف كيف تفكر أنت الآخر .. لا تتوهم يا عبد الحكيم أني لا أفكر جيداً أو لا أحلل جيداً أو أني لست صريحاً مع نفسي .. على قدر طاقتي طبعاً وفي حدود تصوري .. فمن هم يا ترى الذين تقول أني أتصور أنهم أخلص الناس إلى والذين تتصور أيضاً أني آخذ كلامهم بقدسية..

18- تقول يا عبد الحكيم كيف أتصور الحرية في ظل الدماء والخراب وأعود فأقول من الذي جعلك تتصور أني أتصور هذا. ولا تظن أني مراوغ في ذلك ولكنك تعلم أني لا أغش ولا أكذب.. وأنا يقيناً أرفض أي تآمر أو انقلاب أو تخريب أو أي شيء من هذا القبيل لأني أعلم حقيقة ما لا يعلمه ربما ناس كثيرون .. أن الأنبياء فقط هم المعصومون وأن أي حفنة من المتآمرين مهما كانت الشعارات التي يرفعونها ستقيم دكتاتورية أعنف وأشد وأن الأمر لن يكون إلا حرباً أهلية لا قدر الله.

فكيف تخاطبني بهذا الاعتقاد الخاطئ أنك بذلك تظلم الحقيقة وتظلم تفكيرك وتظلمني أيضاً.. من يقول أن الحرية تأتي عن هذا الطري ق.. كل تعليقاتك عن هذا الطريق في حديثك لا محل لها أصلاً ما دامت مبنية على هذا الوهم الخاطئ ..

19- وتقول لي اتق الله وأنا لا أرفض تقوى الله إطلاقاً وأتمنى على الله أن يمنحني تقواه وأن تطمئن نفسي بتقواه أما بالنسبة لشعب مصر وحياة الناس وأرزاقهم فإنه كان من أسهل السهل علي .. ولولا مصلحتهم بعد الله ما كنت خرجت من الحكم وما كنت عارضت وما كنت تكلمت وكنت كلت (عيش وبقلاوة كمان يا عبد الحكيم)..

20- أما الحقيقة المرة التي تتحدث عنها يا عبد الحكيم .. فأنا لم أرها بعد إلا من جانب آخر .. وأني لا أرى الأمور إلا على حقيقتها

.. فإذا كان لديك كلام آخر غير الذي اتهمتني به باستنتاجك الخاطئ ظلماً وعدواناً، فأكون شاكراً لو تكرمت علي به أما من ناحية أني أسد أذاني فأنا لك أذان صاغية .. ومن ناحية هواي فإنه ليس لي هوى ولا أريد شيئاً ولا جزاء ولا شكوراً إلا أن تحكموا الله والرسول فيما نختلف فيه، وليس الغرض أو الهوى كلم تقال أو اتهام يوجه ولكن هاتوا برهانكم .. والتاريخ يا عبد الحكيم زوره المزورون وقد زوره ستالين 4 مرات وزوره خروتشوف أكثر من مرة .. فهو أخيراً لا يكذب وأصدق تاريخ هو الذي يسجله الله لعباده.

"فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه، وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه" صدق الله العظيم.

وأنا لم أتبن أفكاراً جديدة كما قال جمال عبد الناصر في مارس عام 1964 ولكن الحقيقة أننا اختلفنا أيديولوجيا كما قال أيضاً .. أنا أحاول أن نرجع إلى الأصل الذي بدأنا منه وأنتم تغريكم مظاهر جديدة وأفكار جديدة وأيديولوجيات جديدة .. أنتم أحرار وأنا حر أيضاً.

أما عن السلطات فأنت تعلم أنه حينما بدأنا الحديث في مارس 1964 قلت أنني لا أنوي الاشتراك في الحكم وأنت الذي ألححت علي في القبول وحين قبلت على أساس ولكن انهار الأساس قبل أن نبدأ أي عمل مع بعض فرفضت الاشتراك رفضاً قاطعاً .. وأنت تعلم أني قلت مرة أنا مستعد أن أعمل محافظاً لسيناء أو أن أعمل مستشاراً .. أو أي عمل ما دام هناك اتفاق على المبادئ.. لكن لن أعمل بوجهين أو أقول خلاف ما أعتقد فهذا لا يمكن لأن طبعي يأبى إلا أن أكون صادقاً مع من أعمل معهم.. مخلصاً لمن أعمل معهم وأشعر طبعاً أنهم يبادلوني نفس الصدق والإخلاص .. لا أن يحاكموني محاكمة غيابية أو يقولوا على من ورائي ما لم يقل لك حتى الآن .. رغم كل ما حدث ورحم الله أمراً عرف قدر نفسه لا غروراً ولا افتتاناً .. ولكن أشعر حقيقة بذنوب ما كان يجب أن اشترك فيها وأني أحاول أن أستغفر ربي لكي يكفر عني خطيئتي.

وطبيعي أنني لم آخذ نصحك بمعنى التهديد وعموماً فحتى هذا لا يضيرني شيئاً .. ولله الأمر أولاً وأخيراً .. والسلام.

كمال الدين حسين

ويصمت كمال حسين لحظات .. ويستأنف حديثه قائلاً:

وطبعاً لم يرد على عبد الحكيم عامر .. ونقلوني إلى مكان أمين آخر في الهرم أيضاً وتصادف أن اشتد مرض السكر بزوجتي .. وطلبت السماح لي باستحضار طبيب لفحصها .. ومر يوم .. واثنان وثلاثة .. وكل يوم يبلغني ضابط الحرس أن الطبيب سيحضر .. ومر 11 يوماً وبعدها حضر الطبيب وكانت حالة زوجتي ازدادت سوءاً .. ولقيت ربها في اليوم الرابع عشر بعد الشهر الثالث من اعتقالي.

وانتظرت ماذا سيفعلون .. وللتاريخ اذكر هذا الموقف .. لقد أفرجوا عني في ذلك اليوم وسمحوا لي بأن تشيع جنازة زوجتي وتقام لها ليالي المأتم الثلاث في البلدة .. ورغم أن موعد الجنازة لم يعرفه إلا القليلون لكني فوجئت بآلاف المشيعين يتوافدون على السرادق بميدان التحرير حتى ضاق بهم .. ولم يبعث عبد الناصر حتى بمندوب عنه .. ولم يشترك بعض الزملاء من أعضاء مجلس الثورة واشترك البعض الذي كان لا يهمه رضاء الحاكم عنه .. أو سخطه عليه ..

وهكذا كانت قصة اعتقالي .. وبقيت بعيداً .. لا أرى الحاكم ولا يراني .. حتى جاءت نكسة 1967.

وانتهى كمال الدين حسين من رواية هذا الجزء من أسرار اعتقاله .. وأسبابه .. وكشف بعد ذلك عن أسرار حول نكسة 1967 .. هي موضوع الباب التالي.

الباب السادس
نكسة 1967

- رسائل للصامتين لعبد الناصر.
- ماذا دار في غرفة العمليات.
- عبد الناصر يقول .. الجيش اتبهدل.
- مشاجرة بسبب قرار الانسحاب.
- عبد الحكيم يستدعي السفير السوفيتي بدون علم عبد الناصر.
- تكليف كمال الدين حسين بالمقامة الشعبية وتعيين عبد المحسن أبو النور.

رسائل الصامتين لعبد الناصر

نكسة 67:

وسط أكوام من أوراق الدكتور رشوان فهمي عثرت على صور ثلاث خطابات أولها بتوقيع عبد اللطيف البغدادي وحسن إبراهيم بتاريخ 17 مايو سنة 1967 والثاني بتوقيع كمال الدين حسين بتاريخ 21 مايو سنة 1967 والثالث بتوقيع حسن إبراهيم بتاريخ أول يونيو سنة 1967 وقبل النكسة بأربعة أيام والخطابات الثلاثة موجهة إلى الرئيس السابق عبد الناصر.

وفيما يلي نص الخطاب الأول:

السيد/ رئيس الجمهورية:

تحية طيبة وبعد،

لقد تتبعنا بكل اهتمام ما ينشر في الصحف عن الحشود العسكرية الإسرائيلية على الحدود السورية وكذا الإجراءات الحاسمة التي اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة رداً على ذلك والاستعدادات التامة لتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك بيننا وبين الشقيقة سورية.

ولما كان الموقف له أهميته القومية والوطنية. رأينا أن نكتب إليكم برأينا في هذا الموضوع بعد أن تدارسناه في ضوء المعلومات المتوافرة لدينا، وذلك لإحساسنا بأن الواجب الوطني يتطلب منا أن نساهم ولو بالرأي في هذه المعركة.

ونحن نحب أن نؤكد أننا نؤيد ونقف وراء كل قرار يتخذ ويكون الغرض منه التصدي لإسرائيل ومنعها من الاعتداء أو التوسع على حساب أية دولة عربية بصرف النظر عن طبيعة النظام السياسي والاجتماعي في تلك الدولة ومدى موافقتنا أو معارضتنا لهذه الأنظمة.

ومع تأييدنا المطلق لهذا الموقف نحب أن نبين أنه من الصالح أيضاً أن نكون على بينة من أمرنا ولا ننساق إلى معركة تحدد إسرائيل زمانها ومكانها وهو أمر غير مرغوب فيه وكنت سيادتكم على حق دائماً حينما ذكرت في خطابكم أنه لابد لنا من أن نختار نحن موعد وأرض المعركة.

ونحن أن نضيف أنه مما يثير الدهشة في هذه الأزمة الحالية أن إسرائيل على غير عادتها تقوم اليوم بحشد قواتها بصورة علنية، وهي الحريصة دائماً على استغلال عنصر المفاجأة .. فما الدافع وراء ذلك؟

.. هل تقوم بمظاهرة عسكرية، الغرض منها لفت أنظار العالم وتأزيم الموقف لحل مشكلة المنطقة المنزوعة السلاح؟

.. هل تستعد إسرائيل للدخول في معركة مع سوريا واضعة في اعتبارها الظروف المعين التي تساعدها على النصر في الوقت الحاضر؟

.. هل يقلق إسرائيل فعلاً تغلغل الفدائيين في أراضيها حتى يدفعها ذلك إلى اشتباك فعلي باسم الحرب الوقائية وحتى تدفع الهيئات الدولية للتدخل لوضع حل لهذه المشكلة بوضع قوات من البوليس الدولي على الحدود المشتركة بين البلدين؟

.. هل الدافع لإسرائيل من هذا التصرف هو معرفة رد الفعل عندنا، وهل نحن على استعداد لتحقيق ما أعلنه عن تنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا أم أننا لسنا على استعداد ؟

.. هل الدافع هو وضعنا في موقف حرج هو أما التقاعس عن تنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك فيكون لذلك رد سيء في العالم العربي مما يؤثر على هيبتنا وموقفنا بين الدول العربية، أو أننا سنحشد جزءاً كبيراً من قواتنا في سيناء الأمر الذي يكلفنا الكثير قطعاً، وبذا يزيد الضغط على مواردنا المالية؟

.. هل الغرض من الحشود الإسرائيلية يكمن في معركة اليمن ، والقصد هو تثبيت قوات لنا في سيناء حتى لا يمكن مساندة قواتنا في اليمن عندما يتطلب الأمر ذلك، والواضح أن أعداءنا سيستغلون هذه الفرصة للقيام بمناوشات واسعة في اليمن.

لعل الدافع لإسرائيل هو أحد هذه الأسباب أو كلها مجتمعة، ولكن الذي لا شك فيه هو أن الاستعمار وراء هذه العملية أيضاً، فهو يعمل بكل قواه في الوقت الحاضر مدافعاً عن كيانه في منطقة الشرق الأوسط، وهو في سبيل ذلك يسعى إلى عزل الجمهورية العربية المتحدة عن باقي شقيقاتها العربيات وفي الوقت نفسه يسعى إلى استنزاف مواردنا الاقتصادية.

ولعزل الجمهورية العربية عن غيرها من دول المنطقة يتخذ إجراءات أهمها:

(أ) إيجاد جو من الخوف من حركة التحول التقدمي الذي تتحوله الجمهورية والتهديد بأن هذا التحول يقضي على مصالح الحاكمين في هذه الدول.

(ب) إيجاد جو من التشكيك فيما حققته الجمهورية من تقدم اقتصادي لمصلحة المجتمع حتى لا يطالب بمثله الآخرون.

(ج) تحطيم هيبة الجمهورية العربية بإيجاد جو من دم الثقة في تصريحاتها عن قدرتها على الدفاع عن الدول العربية إذا اعتدت عليها إسرائيل أو غيرها من الدول.

(د) تحطيم كل ما يدعو إلى الوحدة العربية الحقيقية وما يمت إلى القومية العربية الحقيقية.

ولاستنزاف مواردنا الاقتصادية يتخذ الاستعمار الخطوات الآتية:

(أ) إرغامنا على حشد الجيوش العربية ووضعها تحت حالة طوارئ دائمة وذلك بإثارة بعض المناوشات هنا أو هناك وخصوصاً في اليمن.

(ب) خلق جو متوتر يدفعنا إلى إتخاذ نفس الإجراءات من حشد جيوشنا في حالة استعداد وبذا يصبح الضغط على اقتصادنا مضاعفاً وهي محاولة للتغلب على سياسة ((النفس الطويل)).

المهم هو أن مصالح الاستعمار تلتقي دائماً مع مصالح ربيبته إسرائيل والمهم أيضاً أن نكون على أتم استعداد لنقضي على كل ما يقومون به من مناورات أو تحركات وملاقاة أي خطوات تتخذ منهما.

وكل ما نأمله أنه في المرحلة الأولى من الاشتباك أن وقع بين سوريا وإسرائيل أن نكتفي نحن من جانبنا باستخدام قواتنا الجوية دون استخدام باقي وحداتنا المسلحة إلا إذا تطلب الأمر وحتمت الضرورة استخدام قواتنا المسلحة بكل ثقلها، وهذا أمر لا يمكن تقديره إلا تبعاً لتطورات المعركة وظروفها ومداها.

أن كل ما نتمناه هو أن يحقق الله النصر لأمتنا العربية وأن يوفقكم في اتخاذ القرارات التي تحقق هذا النصر سواء السياسية منها أو العسكرية والله الموفق.

والسلام عليكم ورحمة الله

القاهرة في 1967/5/17 حسن إبراهيم بغدادي

خطاب كمال حسين:

أما خطاب كمال الدين حسين إلى عبد الناصر فقد كان بتاريخ 21 مايو سنة 1967 .. أي بعد خطاب بغدادي وحسن إبراهيم بأربعة أيام .. كان نص الخطاب .

السيد رئيس الجمهورية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ..

فنظراً للظروف التي ربما يمر بها الوطن في المستقبل القريب أو البعيد فإني أرى واجباً على أن أبلغكم أنه إذا اشتبكت قواتنا المسلحة مع إسرائيل تحت أي ظرف من الظروف، فإني أضع نفسي تحت السلاح جندياً في خدمة وطني بصرف النظر عن جميع العوامل الماضية والحاضرة التي أثرت وتؤثر على تقدير الموقف وما يتبعه من قرارات ونتائج .. وحسبي إذا جدت أمور أن أكون جندياً في جبهة القتال أؤدي حق الوطن راجياً من الله إحدى الحسنيين والسلام ..

كمال الدين حسين

1967/5/21

وروى لي كمال الدين حسين أسباب إرساله ذلك الخطاب رغم ما كان قد تعرض له من اعتقال وسوء من عبد الناصر بعد رسالته اتق الله .. قال:

- جاءني الأخ بغدادي والأخ حسن إبراهيم وأطلعاني على الخطاب الذي اعتزما إرساله إلى عبد الناصر .. وعرضت عليهما أن أوقعه معهما إلا أنهما رفضا للعلاقات السيئة التي كانت بيني وبين عبد الناصر وحتى لا يتصور شيئاً..

وبعد يومين فوجئت بعبد الرحمن البزار الزعيم العراقي يأتي لزيارتي ويبلغني أنه كان في زيارة عبد الناصر الذي شكا إليه من أنني الوحيد من زملائه الذي لم يبعث إليه ليسانده في موقفه من الحرب .. وأنه يشعر بالمرارة لموقف منه وهو الذي يحبني كل الحب .. إنما الخلاف بيني وبينه أنني أريد أن يحكم المشايخ البلد.

ووجدتني أقول للبزاز:

- ده كذاب ..

فرد علي:

- إزاي تقول عليه كده وهو يمتدحك ..

وانصرف عبد الرحمن البزاز .. وجلست أكتب .. وكتبت خطاباً مطولاً إلى عبد الناصر تضمن عدم اقتناعي بوجود حشود إسرائيلية على سوريا أو أن إسرائيل ستشن حرباً على سوريا وقلت له في خطابي أنني أخشى أن يقاد إلى معركة سيخسرها حتماً .. وبينت له الأسباب .. وعرضت الخطاب على البغدادي وحسن إبراهيم فمنعاني من إرساله حتى لا يستغله عبد الناصر ضدي كوثيقة يدعي بها أنني من دعاة الانهزامية .. فاختصرت الخطاب وأرسلت إليه ذلك الخطاب..

أما المذكرة أو الخطاب الثاني الذي بعث به حسن إبراهيم إلى الرئيس السابق عبد الناصر بتاريخ أول يونيو 1967 وقبل العدوان بأربعة أيام فيشمل تحليلاً كمالاً من وجهة نظره للمعلومات التي استقاها وفيما يلي نصه:

السيد/ رئيس الجمهورية

تحية طيبة وبعد

على ضوء التطورات الخيرة للموقف كما أعلمها وما عرفته من سيادتكم أثناء مقابلتنا الأخيرة، رأيت أن أضع تحت نظركم تقديري للموقف مساهمة مني بقدر ما أستطيع في الوفاء بالالتزامات القومية التي تفرضها علينا الظروف الحاضرة.

أعتقد أن المخطط الأمريكي الإسرائيلي يمكن تلخيصه في النقط الآتية:

1- عدم دخول أمريكا بجنودها وقواتها مباشرة ضدنا حتى لا نفقد البقية الباقية لها من علاقة في الشرق الأوسط وتصبح عدوة لكل الشعوب العربية، وكان للملحوظة الذكية بوضع القوات العربية المشتركة في شرم الشيخ أكبر الأثر في تراجع أمريكا عن مهاجمة تلك المنطقة عسكريا حتى لا تصبح في معركة مع الدول المشتركة في الدفاع عنها ويصبح بينها وبين كل دولة يموت لها جندي واحد في المعركة ثأر.

2- كسب الوقت لتجهيز إسرائيل وتأهيلها عسكرياً في خلال بضعة أهر قليلة حتى تستطيع أن تدخل الحرب منفردة بعمل سريع ومباغت تحتل به جزءاً من الأراضي العربية.

3- تتدخل الهيئات الدولية سريعاً بقيادة أمريكا لإيقاف القتال قبل أن نستطيع رد الجزء الذي فقد منا، ويكون أسطول أمريكا مدعماً ببعض قطع بحرية لبعض الدول البحرية الكبرى جاهزاً

للتدخل بادعاء تنفيذ أمر إيقاف القتال وضمناً يتدخل هذا الأسطول لفتح خليج العقبة.

4- تبدأ المساومة ويكون من نتيجتها فتح خليج العقبة بشكل أو بآخر مقابل إرجاع الجزء الذي استولى عليه الصهاينة وبذا يعود الوضع إلى ما كان عليه.

ودليل ذلك هو:

1- تدعيم إسرائيل عسكرياً وتأهيلها للمعركة:

(أ) سيل الأسلحة الذي ينهال على إسرائيل من أمريكا نفسها ومن قاعدتها في ليبيا، ثم الأسلحة من إنجلترا وقطع غيار من فرنسا.

(ب) أفواج المتطوعين التي غادرت الولايات المتحدة بالطائرات للتجمع في كندا وهؤلاء يمثلون ما تحتاجه إسرائيل من خبراء وسيعملون تحت العلم الإسرائيلي..

(جـ) تشكيل وزارة حرب ائتلافية في إسرائيل.

2- كسب الوقت يعطي إسرائيل الفوائد الآتية:

(أ) استخدام عنصر المفاجأة وبذا يصبح زمام الأمور وتوقيته في يدها.

(ب) طول الوقت والترقب يضعف من تعبئة قواتنا المعنوية ويضعف من تيقظها للرد السريع على أي عدوان.

(جـ) استهلاك جزء من رصيدنا من القمح ومواد التموين الأخرى التي تستوردها من الخارج.

3- وكسب الوقت تدل عليه الدلائل الآتية:

(أ) تصريح أبا إيبان أن إسرائيل يمكن أن تتحمل الموقف بضعة أسابيع.

(ب) الحديث عن تزويد إسرائيل بالبترول عن غير طريق العقبة.

(ج) الاقتراح الأمريكي إلى مجلس الأمن بتوجيه نداء إلى جميع الأطراف بعدم القيام بأي عمل استفزازي.

(د) الحديث المستمر في دول الغرب عن إنصاف لحلول وعن فترة استرداد النفس..

ومعنى هذا أن المعركة قادمة ولكن العدو ((حفاظاً منه على هيبته وعلى ربيبته إسرائيل)) يريد أن يستعد لها وأن يختار وقتها وبهذا يصبح الأمر في غير صالحنا.

أمام هذه الأساليب يصبح الحل هو أن نبدأ فوراً في عمليات

عسكرية شاملة حتى لا تفقد زمام المبادرة وحتى نتغلب على الأوضاع الآتية:

(أ) التعبئة العسكرية والمعنوية داخل الجمهورية وفي الدول العربية كلها قائمة على أساس أن المعركة تدور حول مصير إسرائيل ذاته، وعلى هذا فإن القوات المسلحة المصرية والشعوب والجيوش والحكومات العربية تضع نفسها تحت قيادة الجمهورية العربية المتحدة وهي متوقعة معركة حاسمة مع إسرائيل.

(ب) التغاضي عن معركة الرجعية والالتقاء بالملك حسين وغيره ليس له من مفهوم ولا تبرير إلا الدخول في معركة حاسمة مع إسرائيل.

(ج) أمل الأمة العربية في أن ثورة 23 يوليو وقائدها هما المنقذ والمخلص لها من إسرائيل، ولذا ارتبطت الأمة العربية بنا وانتظرت الوقت المناسب الذي ستعلنه الجمهورية العربية المتحدة للمعركة.

(د) أعلنتم أكثر من مرة في الماضي أننا نجهز أنفسنا لمعركة إسرائيل، وفي الأسبوعين الأخيرين أعلنتم أكثر من مرة أن الجمهورية العربية أكملت استعدادها وأصبحت مستعدة وقادرة على تدمير إسرائيل وأنها تفعل الآن ما لم تكن قادرة على فعله من قبل وأنها كانت تعد نفسها لهذا اليوم، ولذا فإنه من العسير علينا أن نفسر لماذا لم نتقدم.

ولعل من الأسباب المشجعة لنا على الإقدام على ذلك هو موقف روسيا والرسالة التي حملها الأخ شمس بدران منها عن استعدادها لمنع الولايات المتحدة الأمريكية من التدخل عسكرياً ضد القوات العربية بكل الوسائل بما فيها القوة، وهذا موقف يتحقق لأول مرة منذ سنة 1948 وبه يتحقق التوازن اللازم لتصفية إسرائيل.

وعدم دخول معركة حاسمة وشاملة ضد إسرائيل سيترتب عليه صدمة فادحة وخيبة أمل كبيرة لا يمكن أن تعوضها أية مكاسب إقليمية مهما كانت ويمكن تلخيص ذلك في الآتي:

1- تدعيم وجود إسرائيل دولياً لمدة طويلة، إذ أن التوازن الدولي الحالي ليس من المتوقع أن يتحقق مرة ثانية.

2- سيكون لتفريغ شحنة التعبئة المعنوية والعسكرية في القوات المسلحة وفي البلاد العربية ردود فعل لا يمكن التنبؤ بها وإن كانت طبيعتها لا شك ستكون ردود فعل اليأس وخيبة الأمل.

3- ستفقد القوى التقدمية في الوطن العربي كل المكاسب التي

حققتها في الفترة الخيرة ضد الرجعية، وستخرج الرجعية بكسب محقق هو اعترافنا كرفيق سلاح في معارك المصير العربي، وخير مثل لذلك هو الملك حسين إذ سيكون أكثر الكاسبين.

4- ستهتز الثقة في الجمهورية العربية المتحدة وقيادتها وجدية مواقفها إلى درجة كبيرة يجب الحيلولة دونها بأي ثمن خصوصاً أن الرجعية والاستعمار في المنطقة وعملائه سيتخذون من الموقف مادة للتشكيك في مواقفنا مستقبلاً.

حقيقة أن العقبة التي تقوم في سبيل أية عمليات عسكرية شاملة من جانبنا هو التزامنا دولياً بألا نبدأ الاعتداء وهو التزام حكيم اقتضته ظروف معينة، ولكن في نظري يمكن تخطي هذه العقبة باستخدام الفدائيين على الوجه الآتي:

أ – شن أكبر وأوسع ما يمكن من عمليات التخريب داخل إسرائيل بقوات مدربة تعمل في إسرائيل باستمرار وكأنها استمرار لأعمال الفدائيين العرب السابقة وبالتعاون معهم إذا أمكن، على أن تكون القيادة واحدة في جميع الجبهات.

ب- بدء هذه العمليات من قاعدة في إحدى المدن العربية المتاخمة لإسرائيل كدمشق أو القدس باتفاق مع الحكومة هناك ولكن بدون تدخل منها.

ج- أن تزود تلك العمليات بكل القوة البشرية الفنية والأسلحة والتجهيزات اللازمة لتحقيق أهدافها:

وبذا يتحقق عدة أهداف:

أ – بدء عملية التدمير على نطاق واسع داخل إسرائيل يشل مجهودها العسكري ويحول دون استفادتها من أي فترة زمنية يستغرقها العمل الدبلوماسي.

ب- إضعاف الروح المعنوية للشعب الإسرائيلي.

ج- استمرار عمليات الإزعاج يربك التدبيرات التي تقوم بها إسرائيل ويحول دون تركيز قواتها.

د- سيدفع ذلك إسرائيل في النهاية إلى أن تقوم بأية عمليات عسكرية ضد قواتنا المسلحة النظامية تكون مناقضة في أسلوبها لقرار مجلس الأمن بعدم البدء في العدوان ومبرراً للاشتباك المسلح معها قبل أن تستكمل استعدادها وقبل أن تختار وقت المعركة.

هـ- استمرار هذه العمليات ولو أنها فدائية إلا أنها ستجعل قواتنا دائماً متيقظة على أهمية الاستعداد.

هذا ولست أظن أنني في حاجة إلى أن أؤكد لسيادتكم مرة أخرى أننا جند في هذه المعركة وأنه إذا كان ثمة خطأ في تقدير الموقف هذا فإن مرجعه سيكون قصور المعلومات التي نعرفها، وأنك وأنت في موضع القيادة أقدر على التقدير والتقرير.

آسف إن كنت قد أخذت الكثير من وقتك وأدعو الله لك بالتوفيق ولأمتنا بالنصر.

والسلام عليكم ورحمة الله.

حسن إبراهيم

القاهرة في 1967/6/1

* * *

تمهيد للنكسة:

هذه الرسائل تكشف أن زملاء الرئيس السابق عبد الناصر كانوا وهم بعيدون عن الحياة العامة ورغام الإجراءات الشاذة التي تعرضوا لها منه ومنها الاعتقال وفرض الحراسة على أقاربهم وسحب التليفونات والسيارات منهم .. و .. إلا أنهم كانوا عندما يستشعرون أن الوطن محتاج لآرائهم فإنهم كانوا يتناسون كل شيء ويتقدمون بالنصيحة لمن أساء إليهم.

وقبل أن يتحدث إلينا البغدادي وحسن إبراهيم وكمال حسين عن أحداث النكسة كما عاشوها بعد ذلك يوماً بيوم .. فإننا نعود بالذاكرة إلى الخلف .. ولنقرأ معاً ما كانت تنشره الصحف قبل النكسة بأسابيع .. ولنعلم كيف قاد الرئيس السابق عبد الناصر الجيوش الإسرائيلية لاحتلال أجزاء من أرض بلادنا وضاعت القدس والضفة الغربية بالأردن ومرتفعات الجولان في سوريا .. وكيف بدأ الحديث عن الحرب مع إسرائيل..

بدأ الحديث يوم 12 مايو سنة 1967 .. كانت خطة الصهيونية محكمة تماماً لاستدراج عبد الناصر إلى الحرب وتقضي على نظام حكمه أو إظهاره بمظهر المدعي فقط. وحامي القومية العربية ولا يستطيع أن يصد أي عدوان عليها ..

الحديث عن الحرب بدأ عندما هدد ليفي اشكول رئيس وزراء إسرائيل في ذلك الوقت باتخاذ إجراءات فعالة ضد ما أسماه بمراكز التخريب في سوريا، وأعلن متحدث إسرائيل أن استخدام القوة هو الوسيلة الوحيدة لوقف ما أسماه بأعمال التخريب التي تقوم

بها سوريا داخل إسرائيل، وقال أنه يمكن القيام بحرب عصابات ضد سوريا كما يمكن غزوها والاستيلاء على دمشق.

وقال المتحدث أن الرد المضمون المؤكد على سوريا هو القيام ضدها بعملية عسكرية ضخمة واسعة المدى.

وحتى تحبك إسرائيل الرواية سارعت بإرسال تحذير إلى الأمم المتحدة عن طريق مندوبها الدائم قالت فيه أن سوريا انتهكت الهدنة ولذلك يكون للقوات الإسرائيلية كل الحق في أن تعمل للدفاع عن نفسها.

وفي يوم 13 مايو .. اليوم التالي مباشرة تحركت سوريا وأذاع متحدث رسمي باسم وزارة الخارجية السورية بياناً تعقيباً على تصريحات الإسرائيليين وقال أن سوريا تحمل إسرائيل وحماتها مسئولية ما قد يحدث في المنطقة وأن اتفاقيات الدفاع المشترك ستوضع موضع التنفيذ في حال قيام إسرائيل بهذا العدوان.

كان بيان الخارجية السورية فيه إشارة إلى مصر وإلى عبد الناصر أن يتحرك لتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك المعقودة بين مصر وسوريا.

وفي يوم 14 مايو تحرك عبد الناصر .. وأعلن في رسالة له وجهها إلى الطلبة العرب بمناسبة يوم فلسطين .. وجاء في الرسالة اتهام للأردن بالتنسيق مع إسرائيل للضغط على سوريا واستفزاز القوة العربية لتتورط في معركة لم تحدد هي وقتها ولا مكانها.

وفي نفس ذلك اليوم كان أنور السادات رئيس مجلس الأمة وقتئذ قد عاد من موسكو بعد أن قام مع وفد يمثل مجلس الأمة بجولة وهمس له الزعماء السوفييت أن مخابراتهم تؤكد استعداد إسرائيل للقيام بعمل عدواني ضد سوريا .. كما نقلت وكالات الأنباء من تل أبيب .. تنفيذاً للمخطط الإسرائيلي باستدراج عبد الناصر إلى معركة .. أن إسرائيل تستعد للعدوان وتوجيه ضربة عسكرية إلى سوريا ووصفت تصريحات أشكول بأنها تدل على أن مواجهة على درجة كبيرة من الخطورة مع سوريا ستكون أمراً لا مفر منه.

وابتلع عبد الناصر الطعم الذي وضعته إسرائيل وخطط له الاستعمار والاتحاد السوفيتي.

وفي يوم 15 مايو عقد المشير عامر عدداً من الاجتماعات العسكرية الهامة .. كما كلف الفريق أول محمد فوزي رئيس الأركان بالسفر فوراً إلى سوريا لعقد اجتماعات مع الرئيس حافظ الأسد وكان وزيراً للدفاع في ذلك الوقت وأعلن متحدث رسمي

أن الفريق أول فوزي تباحث مع المسئولين في جمهوري سوريا في بعض الأمور الهامة المتعلقة بالدفاع المشترك ضد إسرائيل.

ودخلت العراق في المعركة بإعلان من وزير خارجيتها الدكتور عدنان الباجهجي بأن العراق يضع كافة إمكانياته للدفاع عن الأرض العربية في سوريا ضد العدوان الإسرائيلي.

وبدأت مصر تستعد فعلاً للحرب .. أعطيت التوجيهات أن تقوم أجهزة الدفاع المدني بتجارب واختبارات عملية في كافة المحافظات.

وفي يوم 16 مايو ظهرت الصحف المصرية وعلى صدر صفحاتها الأولي وبعرضها العناوين التالية:

* ستدخل المعركة بأكبر قوة من النيران ..
* تحركت قوات الجمهورية العربية المتحدة طبقاً للخطة العسكرية الموضوعة..
* أنواع جديدة من المقاتلات النفاثة انضمت للقوات العربية في سيناء ..
* حقيقة الموقف العسكري على الحدود.
* عقد المشير عبد الحكيم عامر اجتماعات متتالية لوضع الخطة.

وكما بدأت إسرائيل في إلقاء الطعم إلى عبد الناصر لابتلاعه واقتياده إلى حرب ثبت أنه لم يكن مستعداً لها .. ألقى عبد الناصر بالطعم إلى جماهير الأمة العربية لابتلاعه وتقتنع بأنها على أبواب حرب شاملة ستشنها إسرائيل على سوريا البلد العربي وأن على الجميع الوقوف لمساندتها..

وكان أبرز ذلك ما سارعت أجهزة الإعلام بإعلانه عن حشود عسكرية ضخمة لإسرائيل على الحدود السورية تضم لواءات كاملة مزودة بالمدفعية والمدرعات .. وفوجئت سوريا بهذا الإعلان من مصر .. وحاولت القيادات العسكرية السورية إقناع القيادات المصرية بعدم وجود حشود بهذه الدرجة وطلبوا من الفريق أول على علي عامر عقد اجتماع مشترك لبحث الموقف على حقيقته .. ونقل الفريق أول علي علي عامر هذه الرغبة إلى المشير الذي اتصل بعبد الناصر وأبلغه بتهوين القيادة السورية للحشود على حدود سوريا .. فطلب منه بعد الناصر عدم الاجتماع بهم لأنهم "خونة" عندما يقررون ذلك ثم يكذبوه .. ويكفيه أن السوفييت أعلنوا للسادات بعزم إسرائيل على الهجوم على سوريا ..

وكان عبد الناصر قد وجدها في ذلك الوقت فرصة لاستعادة

زعامته للأمة العربية بعد فشل سياسته في اليمن والتندر بالقوات المسلحة المصرية التي لم تستطع أن تسيطر على القبائل في اليمن.

وفي يوم 17 مايو أعلنت التعبئة الكاملة للقوات المسلحة وتم نقل قوات عسكرية مصرية ضخمة إلى سيناء لتحتل مواقع قوات الطوارئ الدولية بعد أن كان الفريق أول محمد فوزي قد بعث بخطاب إلى الجنرال ريكي قائد قوات الطوارئ الدولية يطلب منه أن تترك قواته مواقعها على خط الهدنة والاتجاه إلى غزة.

كما أخطرت الجمهورية العربية المتحدة الأمم المتحدة بطلبها سحب قوات الطوارئ الدولية المعسكرة على حدودها الشرقية مع إسرائيل .. واجتمع محمد عوض القوني رئيس وفد مصر الدائم بالأمم المتحدة بأوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة وأبلغه نص مذكرة مصر.

وهذا هو نص الرسالة التي بعث بها محمود رياض وكان وزيراً للخارجية إلى أوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة:

عزيزي أوثانت

تتشرف حكومة الجمهورية العربية المتحدة بإفادتكم أنها قررت إنهاء وجود قوات الطوارئ الدولية في أراضي الجمهورية العربية المتحدة وفي قطاع غزة.

رجاء التفضل باتخاذ الإجراءات اللازمة نحو رحيل هذه القوات في أقرب وقت، وانتهز هذه الفرصة لأقدم لكم خالص الشكر.

محمود رياض

وزير خارجية الجمهورية العربية

وكان ما نشر في الصحف في ذلك اليوم دافعاً للسيدين البغدادي وحسن إبراهيم وكمال حسين بإرسال خطاباتهم السابق الإشارة إليها إلى عبد الناصر ..

وفي يوم 18 مايو أعلن يوثانت الموافقة على سحب قوات الطوارئ الدولية من الحدود المصرية الإسرائيلية.

وفي يوم 19 مايو أعلنت إسرائيل أن انسحاب قوات الطوارئ الدولية سيجعل القوات المصرية في مركز تستطيع منه تهديد الملاحة الإسرائيلية عبر مضايق تيران عند مدخل خليج العقبة في البحر الأحمر إلى ميناء إيلات الإسرائيلي.

وعرفت جماهير الأمة العربية في ذلك اليوم سراً كان خافياً عنها استطاع عبد الناصر أن يخفيه نها 11 عاماً من بعد حرب السويس 1956 التي حول الهزيمة فيها إلى نصر .. وكان هذا السر أن إسرائيل تمر ببواخرها في المياه المصرية من مضايق تيران منذ حزب السويس عام 1956.

وفي يوم 20 مايو أخذت الأمور تتدهور بسرعة .. الأنباء كلها تشير إلى قرب حدوث حرب في المنطقة .. التصاريح من القادة المصريين تؤكد أن قواتنا الضاربة مستعدة للتحرك وأن الأسلحة الصاروخية الحديثة اتخذت مكانها في المعركة. عبد الناصر يبعث برسائل إلى رؤساء الدول التحررية الأفريقية لشرح تطورات الموقف في المنطقة. المشير عبد الحكيم عامر يتفقد الخطوط الأمامية ويعقد اجتماعات مع قادة الجبهة شارحاً للضباط الموقف العام في الشرق الأوسط.

الدول العربية كلها تتحرك وراء تحرك عبد الناصر .. وهذا ما أراده .. وفد من العراق يصل إلى القاهرة يضم طاهر يحيى وفؤاد عارف نائبي رئيس وزراء العراق وشاكر محمود وزير الدفاع وعدنان الباجهجي وزير الخارجية والدكتور عبد الرازق محيي الدين زير الوحدة .. الجامعة العربية تصدر بياناً تعلن تأييد جميع الدول العربية للجمهورية العربية المتحدة والجمهورية السورية في موقفهما إزاء الحشود الإسرائيلية وأن أي عدوان على أرض عربية يعتبر عدواناً عليها جميعاً تتضامن في صده.

المظاهرات الضخمة تجوب الشوارع في العواصم العربية تعلن تأييدها للإجراءات الحاسمة التي اتخذها عبد الناصر لردع إسرائيل.

الجزائر تعلن استعداها لوضع قواتها المسلحة تحت تصرف القيادة العربية الموحدة وأنها ستوفي بالتزاماتها العسكرية نحو شقيقاتها من البلاد العربية.

واليمن .. وكان ما زال المشير السلال رئيساً للجمهورية .. يبعث ببرقيات يعلن أن جمهورية اليمن تضع كل إمكانياتها تحت تصرف سوريا في خوض المعركة.

وفي لبنان بدأت دعوة إلى تسليح أبناء القرى الواقعة على الحدود اللبنانية الإسرائيلية لمواجهة أي عدوان.

والصحف تعلن عن تريب ربع مليون من الشباب لمواجهة المعركة.

وفي يوم 21 مايو عقد عبد الناصر اجتماعاً للجنة التنفيذية العليا استغرق ساعتين فقط ولم يعلن عن تفاصيله شيئاً .. ولكن المشير عامر أصدر في نفس الليلة قراراً بتعبئة الاحتياطي كله .. وفي نفس اليوم أعلنت إسرائيل التعبئة العامة وبدأت عن طريق أبا ايبان تتصل ببعض الدول الصديقة لها.

ولم ينس عبد الناصر خلال هذه الحملة للحرب أن يشير بذكاء إلى العرب معبراً عما يكنه من كراهية للمغفور له الملك فيصل عن مواقف كاذبة للملك .. فكان يوحي لأجهزة الإعلام أن تبرز في صفحاتها الأولى أخباراً من شأنها أن توصف المغفور له الملك فيصل بالخيانة مثل فيصل لا يمانع في تسليح إسرائيل .. والملك سعود يقول، فيصل خائن للعرب بتعاونه مع الاستعمار".

وكانت هذه الأنباء يوصي بنشرها مع أنباء الاستعدادات للمعركة والمواقف البطولية للدول التي كانت تسير في ركابه ..

وفي يوم 22 مايو أعلنها عبد الناصر صريحة للشعب .. كشف بنفسه السر الذي أخفاه 11 عاماً عن سماحه للسفن الإسرائيلية بالمرور في مياه مصر الإقليمية .. ألقى خطاباً في الطيارين بأحد المراكز المتقدمة وأعلن أن خليج العقبة يمثل المياه الإقليمية المصرية ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نسمح للعلم الإسرائيلي أن يمر بخليج العقبة .. وكان هذا العلم يمر طوال الـ 11 عاماً السابقة لخطابه ولم يشر إلى ذلك أبداً.

وقال إذا هددت إسرائيل بالحرب فنحن نقول لهم نحن مستعدون للحرب .. قواتنا المسلحة وشعبنا مستعدون للحرب ..

ولم ينس عبد الناصر غروره في ذلك الخاطب فقال: (وقد تكون الحرب فرصة لتختبر إسرائيل قواتها معنا وليعرفوا أن كل ما كتبوه عن معركة 1956 كان تخريفاً).

وكعادته دائماً .. فقد انتهز الفرصة لمهاجمة الحلف الإسلامي .. كان يرفض أن تكون هناك أي زعامة في المنطقة غير زعامته . . كان يصف كل محاولة لجمع شمل العرب والمسلمين عن غير طريقه بأنها محاولة للرجعية والاستعمار .. قال في ذلك الخاطب عن الحلف الإسلامي ما نصه "أنه يتمثل أساساً في السعودية والأردن وإيران، ويقولون أن هدفه تكتيل العرب المسلمين ضد إسرائيل .. الحلف الإسلامي حلف مع الاستعمار والصهيونية .. والعالم العربي اليوم في تعبئة ويستطيع أن يحاسب حلفاء الاستعمار والصهيونية"[1].

([1]) "ترى ماذا كان يقوله عبد الناصر اليوم بعد تعاون السعودية وإيران والأردن ومساهمة حكامها في تحقيق النصر الكبير مع القوات المسلحة المصرية في حرب أكتوبر.

وفي يوم 23 مايو .. بدأت أجهزة الإعلام تهلل لقرار عبد الناصر بإغلاق خليج العقبة أمام سفن إسرائيل .. ولم نتناول صحيفة واحدة بالتعليق كيفية مرور هذه السفن من قبل ولمدة 11 عاماً .. ولكن رجل الشارع كان يتحدث في هذا الشأن بهمسات حتى لا يسمع صوته أحد من جواسيس الحكم .. وظهرت الصحف في يوم 24 مايو وفي صدر صفحاتها الأولى العناوين التالية:
* دوي هائل لقرار عبد الناصر.
* جوقسون يرأس اجتماعات سرية لدراسة الموقف.
* أمريكا وانجلترا وأستراليا تنصح رعاياها بمغادرة مصر وسوريا والأردن وإسرائيل.

وبدأت الصحف تنشر أن اجتماعات هامة وسرية تعقد في القاهرة ودمشق وبغداد لتنسيق الخطط العسكرية وأنه ستصل قريباً إلى الجمهورية العربية المتحدة القوات العراقية المتفق عليها، كما بدأ تحرك قوات عراقية إلى سوريا.

وفي نفس اليوم لم ينس عبد الناصر أن يوجه أجهزة الإعلام والصحف إلى إبراز نبأ من تأليفه عنوانه "فيصل يطلب حماية عرشه" وتفصيل النبأ أن الملك فيصل طلب رسمياً من الحكومة البريطانية حماية عرشه بكل الوسائل، وأنه يعاني من انهيار عصبي عنيف .. كان عبد الناصر لا يريد أن ينس هزيمته في اليمن بسبب معاونة الملك فيصل للإمام البدر .. كان يصفه بالعمالة والخيانة محاولاً أن يحطم مركزه الكبير في قلوب الملايين من المسلمين .. وأثبت التاريخ أن جلالة الملك فيصل كان أكثر المساهمين في نصرة العرب في حرب أكتوبر عام 1973.

وفي نفس ذلك اليوم .. يوم 24 مايو استقبل عبد الناصر أوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة .. وشرح عبد الناصر تطورات الموقف من وجهة نظره بعد أن حشدت إسرائيل حوالي 13 لواء على سوريا في جبهتين وكانت حددت يوم 17 مايو للهجوم على سوريا .. وحاول أوثانت إقناع عبد الناصر بأن إسرائيل لم تحشد أي قوات على الحدود إلا ما كان موجوداً من قبل اشتعال الموقف ..

وبدأ العالم كله يترقب اللحظات الحاسمة .. الكل يتوقع نشوب الحرب في أية لحظة .. الرئيس الفرنسي ديجول يطالب بمباحثات على مستوى عال بين السوفيت والأمريكان وفرنسا وانجلترا ..

وفي نفس الوقت لعب السوفيت دوراً كبيراً في استمرار اشتعال الموقف .. فقد أعلن الاتحاد السوفيتي قراراً بإدانة إسرائيل وتأييده للعرب .. وكان قراره مشجعاً لعبد الناصر للاستمرار في سياسته على أساس اعتماد كامل على الاتحاد السوفيتي .. وطالبت بريطانيا بإعادة قوات الطوارئ إلى المنطقة.

وفي يوم الخميس 25 مايو وصل شمس بدران وزير الحربية وقتئذ إلى موسكو في مهمة سرية .. وبدأت التصريحات من إسرائيل بأن الحرب أصبحت وشيكة الوقوع .. وأمرت أمريكا رعاياها في مصر وإسرائيل بالرحيل فوراً..

وفي يوم الجمعة 26 مايو أعلن عبد الناصر في خطاب له أمام قادة العمال العرب "أننا سندمر إسرائيل إذا بدأت بالعدوان" وقال أننا كنا نستعد بحيث إذا دخلنا معركة نكون واثقين من النصر وأخيراً شعرنا بأن قواتنا كافية وأنه إذا خضنا أي معركة مع إسرائيل نستطيع أن ننتصر وأن عنده تفويض من اللجنة التنفيذية العليا أن ينفذ هذه الخطة حسب الوقت المناسب وكان الوقت المناسب هو تهديد سوريا بالعدوان.

وكان سر ثقة عبد الناصر في النصر إذا نشبت الحرب .. ولو أنه كان لا يتوقعها قبل مرور 6 شهور، ليس استعداد القوات المسلحة .. وليس مساندات الدول العربية التي انقادت وراءه .. كان سر الثقة تقريراً تسلمه قبل إلقائه الخطاب بساعتين بعث به شمس بدران وزير الحربية من موسكو .. وكان التقرير بالغ الأهمية .. هكذا تم وصفه .. ويتضمن التقرير أن اليكسي كوسيجين أكد لشمس بدران موقف الاتحاد السوفيتي في التضامن الكامل مع موقف الجمهورية العربية المتحدة وأن كوسيجين قال له أن بلاده ستقف موقفاً صلباً ضد أي عدوان على المنطقة[1].

وفي يوم 27 مايو قدم أوثانت تقريره إلى مجلس الأمن وقد جاء به أن الموقف أصبح أكثر تهديداً من أي وقت بالحرب منذ عام 1956 .. وفي ذلك اليوم بدأ تحرك القوات البحرية وتوزيعها على المناطق الساحلية ..

وفي يوم 28 مايو عقد عبد الناصر مؤتمراً صحفياً مع مندوبي

([1]) وكان هذا تشجيعاً لعبد الناصر أن يدخل الحرب لنخسرها فيستمر وقوع البلاد تحت سيطرة النفوذ السوفيتي.

الصحف ووكالات الأنباء ونقل إلى الجماهير على الهواء بوضع مكبرات صوت في جميع الميادين .. وأجاب عبد الناصر في هذا المؤتمر على 44 سؤالاً .. وفي هذا المؤتمر بلغ عبد الناصر أوج مجده الشعبي بإجاباته التي كانت تعجب أبناء البلد المغررين بأساليب الحكم .. ولكنها في نفس الوقت أعطت للمفكرين صورة أخرى .. قال عبد الناصر في هذا المؤتمر:

* لن أتزحزح ولن أقبل أي مساومة.
* سندافع عن سيادتنا إذا تدخلت أمريكا عسكرياً.
* أي دولة مهما كبرت لا تستطيع أن تهزم أي شعب مصمم على حقه في الحياة.
* نحن على استعداد كامل إذا تطورت الأمور إلى صراع شامل في الشرق الأوسط.
* أنني أتوقع هجوم إسرائيل في أي لحظة.
* أي اعتداء سنواجهه بحرب شاملة.
* واجب الحكومات العربية أن توقف استخراج البترول .. وإذا لم تفعل قامت الشعوب بواجبها.
* بريطانيا لم تتعظ بدرس 1956 .
* أمريكا تثير ضجة مفتعلة بانحيازها الكامل لإسرائيل.
* أنا مش "خرع" زي ايدن بتاعكم ولسه ما حصلتش 50 سنة وصحتي كويسة والحمد لله.
* قواتنا المسلحة قادرة على أن تقوم بواجبها بشرف وقوة وأمانة.
* سوف نلحق بالمعتدين أضراراً لا يتصورونها.

وفي نفس اليوم حدث شيء هام من جانب الاتحاد اسوفيتي .. تصرف يؤكد أنه جاد في وقوفه إلى آخر المشوار مع مصر ويبعث بكل الطمأنينة إلى قلب عبد الناصر بأنه لن يكون في المعركة بمفرده .. ففي ذلك اليوم سلم السفير السوفيتي في إسرائيل إنذاراً موجهاً من كوسيجين إلى ليفي اشكول رئيس الوزراء ضد أي عمل إسرائيلي عدواني.

وفي نفس اليوم أصدر عبد الناصر قراراً بتعيين زكريا محيي الدين قائداً للمقاومة الشعبية.

وفي يوم 29 مايو أذاع عبد الناصر رسالة كوسيجين إليه وقد جاء في الرسالة أن الاتحاد السوفيتي لن يسمح لأي دولة بالتدخل

وقال عبد الناصر أننا سنعامل أمريكا وبريطانيا معاملة الأعداء .. وكان هذا كل ما يريده الاتحاد السوفيتي أن ينفرد بالنفوذ في المنطقة .. كما بدأت التحركات وكلها تؤكد للمواطن العادي اقتراب نشوب الحرب.

وفي يوم 30 مايو فاجأ الملك حسين ملك الأردن عبد الناصر بالوصول إلى القاهرة وتوقيعه اتفاق دفاع مشترك مع الجمهورية العربية المتحدة .. وبعد توقيع الاتفاق ألقى عبد الناصر كلمة وصف فيها الملك حسين بالأخ العظيم .. وكان قد هاجمه من قبلها بأسبوع ووصفه بالعمالة والخيانة..

وكان الاتفاق ومدته خمس سنوات ينص على أن الدولتين تعتبران أن كل اعتداء مسلح يقع على أي دولة منهما أو قواتهما اعتداء عليهما وعملا بحق الدفاع الشرعي الفردي – والجماعي عن كيانهما تلتزمان بأن تبادر كل منهما إلى معونة الدولة المعتدى عليها وأن تتخذا على الفور جميع التدابير وتستخدما جميع ما لديهما من وسائل بما في ذلك استخدام القوات المسلحة لرد الاعتداء . كما نص على أنه في حالة بدء العمليات العسكرية يتولى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة قيادة عمليات الدولتين.

وفي يوم 31 مايو أعلنت إسرائيل عن بدء تشكيل وزارة حرب .. وفي نفس الوقت قدمت أمريكا مشروعاً إلى مجلس الأمن تطالب جميع الأطراف بضبط النفس .. ولم ينس الاتحاد السوفيتي أن يذيع تصريحاً لرئيسه بودجورني يشعل النار ويتضمن أن الاتحاد السوفييتي سيتخذ كل التدبيرات الممكنة ضد أي إجراء يعكر السلام والأمن في منطقة الشرق الأوسط وأكد تأييد السوفييت للعرب واتهم الاستعمار الأمريكي أنه يريد المساس باستقلال الدول العربية.

وفي أول يونيو فتح باب التطوع في المقاومة الشعبية.. وأعلنت السودان عن إرسال فرقتين من الجيش السوداني إلى جبهة القتال المصرية لمواجهة إسرائيل، وقام الملك حسين بتفقد الخطوط الأمامية لقواته .. بينما بقى عبد الناصر في مكتبه يعقد اجتماعات سياسية مع ديمتري بودجرانيف سفير الاتحاد السوفيتي في القاهرة كما لم ينس في ذلك اليوم في وسط استعداداته للحرب أن يبعث إلى الجنرال ريكي قائد قوات

الطوارئ التي كانت رحلت بدعوة إلى أفراد القوات السويدية وعددهم 528 رجلاً لزيارة القاهرة بعد أن علم أنهم يستاءون لترحيلهم قبل مشاهدة الأهرام!!

وفي يوم 2 يونيو اتفق الرئيس الأمريكي جونسون ورئيس وزراء بريطانيا ويلسون على مانيفستو مشترك. لعرضه على الدول البحرية لتوقيعه يتضمن اعتبار خليج العقبة ممراً مائياً دولياً ولا يمكن منع أي سفينة من عبوره وأن كل دولة توقعه تكون على استعداد لممارسة حقوقها في حرية العبور وأن تنضم للدول الأخرى الموقعة عليه للسعي من أجل الاعتراف بمبدأ حرية الملاحة لكل الدول .. وقد سارعت إسرائيل بطبيعة الحال بتوقيع المانيفستو .. وقد وجه محمود رياض وزير الخارجية تحذيراً إلى الدول التي توقع عليه متضمناً أن مصالحها ستتعرض لخطر شديد إذا اشتركت في أي عمل عدواني ضد الجمهورية العربية المتحدة.

وفي يوم 3 يونيو ألقى موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلي بالطعم إلى عبد الناصر فأعلن في تصريح أن بلاده لن تغير سياستها التي تقوم على انتظار المفاوضات الدبلوماسية قبل اللجوء إلى عمل من جانبها . ثم يقول أن إسرائيل لديها قوات أقل ودبابات أقل وأن شن أي حملة في سيناء سيكون هذه المرة أكبر من عام 1956 لأن الطائرات البريطانية والفرنسية شلت وقتذاك فاعلية السلاح الجوي المصري. وهكذا كانت تصريحات ديان تدل على عدم استعداد إسرائيل للقيام بالعدوان .. وصدقها عبد الناصر وفي نفس اليوم أصدر عبد الناصر توجيهاته إلى قائد السلاح الجوي المصري بمنح أجازات للطيارين والتخفيف من حدة التوتر والطوارئ.

وفي يوم 4 يونيو تم توقيع اتفاق مشترك بين العراق ومصر والأردن وأعطيت أجازات للطيارين في ذلك اليوم .. ونام الشعب العربي كله. واستيقظ صباح 5 يونيو ليقرأ في الصحف العناوين التالية:

* عبد الناصر يعلن للعالم والأمة العربية.
* أننا ننتظر المعركة على أحر من الجمر.
* ليعرف العالم أن الجندي العربي هو المقاتل الشجاع الباسل.

وقبل أن يتم توزيع الصحف كان قد وقع العدوان الإسرائيلي على جميع مطارات مصر ..

لقاء مع عبد الناصر:

كانت هذه هي الصورة قبل 5 يونيو سنة 1967 .. وهي التي من أجلها بعث البغدادي وكمال حسين وحسن إبراهيم برسائلهم إلى عبد الناصر التي أشرنا إليها قبل ذلك.

وذهبت إلى الثلاثة لأعرف منهم ماذا دار في خلال أيام النكسة وكان المرحوم الدكتور رشوان فهمي قد أشار في أوراقه أنهم مكثوا أيام الحرب داخل غرفة العمليات.

قال حسن إبراهيم:

كان الدكتور رشوان فهمي واحداً من القلائل الذين يشاركوننا ونشاركهم في كل شيء يتعلق بمصير بلادنا .. وأذكر أنني كنت أسير معه على كورنيش الإسكندرية ومعنا عبد اللطيف البغدادي وعبد الرءوف نافع عندما سمعنا عن استعدادات الحرب.. وجلسنا نتشاور في الموضوع .. وقررنا العودة إلى القاهرة لنضع أنفسنا تحت تصرف القيادة السياسية .. وكتبنا الرسالة الأولى في يوم 17 مايو 1967 .. ولم يرد علينا عبد الناصر .. وتأزمت الأمور وأعلن عبد الناصر عن إغلاق مضايق ثيران مما اعتبرناه إعلان حالة حرب مع إسرائيل .. وبعثنا أنا والبغدادي وكمال حسين برسالة أخرى يوم 27 مايو سنة 1967 واعتقد أنك ستعثر على نسخة منها في أوراق الدكتور رشوان..

وفعلاً وجدت نسخة من هذه الرسالة وفيما يلي نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد/ رئيس الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ..

فقد جدت في الموقف أمور، إذ طالعتنا الأنباء والتصاريح بأن هناك احتمالاً كبيراً في أن تدخل إسرائيل المعركة وأن تستخدم أمريكا وبعض الدول الغربية القوة لفتح طريق الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة.

وفي هذه الفترة الحاسمة من تاريخ أمتنا ينتظر الوطن من كل مخلص من أبنائه أن يؤدي واجبه كاملاً لنصرته والذود عنه. ولذلك فإن ضميرنا الوطني يلزمنا بأن نتواجد في الموقع الذي يتحتم علينا أن نكون في حيث نساهم في التأهب للقاء العدو.

وأنا لفي انتظار تحديد موقع لنا في هذه المعركة سواء في جبهة القتال أو في أي مكان ترونه حتى نتمكن من أداء واجبنا.

وختاماً نرجو الله أن يوفقنا جميعاً وأن يكتب لوطننا النصر ..

إمضاء	إمضاء	إمضاء
عبد اللطيف البغدادي	حسن إبراهيم	كمال الدين حسين

* * *

وستطرد حسن إبراهيم قائلاً:

- بعثنا تلك الرسالة يوم 27 مايو 1967 .. وفي اليوم التالي اتصلت بعبد الناصر تليفونياً لأطمئن على وصول الرسالة إليه واطلاعه عليها.. وأبلغني أنه قرأها ويشكر لنا مشاعرنا .. وانتهزت الفرصة **فقلت له:**

- يا ريس عايزين نشوفك..

ورد قائلاً:

- طيب تعالى بكره ..

وقلت له:

- بغدادي وكمال الدين حسين كمان عايزين يشوفوك .. تحب تتصل بهما ليحضرا؟

فأجاب:

- لا .. أنا مش فاضي .. واتصل بيهم انت وتعالوا سوا.

وفعلاً اتصلت بالأخ بغدادي والأخ كمال حسين وذهبنا إليه ثلاثتنا في منزله بمنشية البكري مساء يوم 29 مايو سنة 1967 .

وبدأ الحديث بين الثلاثة .. وأبدوا استعدادهم للمشاركة في أي موقع يحدده لهم من أجل الوطن .. وعندما أبدوا قلقهم من عدم استعداد مصر لدخول الحرب **قال لهم عبد الناصر:**

- أنا قوي وعندي معدات كثيرة وروسيا تساعدني.

وقال له حسن إبراهيم:
- أنت دائماً كنت تقول باستمرار .. انك لن تعطى إسرائيل الفرصة أن تقودك إلي معركة تحدد هي زمانها ومكانها.
ورد عبد الناصر:
- إنني أنا الذي سأحدد زمان المعركة ومكانها.
وسأله البغدادي:
- مني تعتقد أن إسرائيل ستشن الحرب:
وأجاب عبد الناصر :
- مش قبل6 أو 7 شهور؟
وقال له كمال الدين حسين :
- أن إغلاقك مضايق ثيران هو بمثابة إعلان الحرب علي إسرائيل ..ومش ممكن تصمت 6 أو7 شهور؟
فقال جمال :
-احنا علي كل حال مستعدين تمام ..واطمئنوا جدا..
وعاد كمال حسين يجادله قائلا :
-هل تعتقد أن أمريكا ودول أوروبا ستترك تلقي بإسرائيل في البحر وتزيلها من الوجود ؟
وأجاب عبد الناصر بسرعة :
-شمس بدران كان في موسكو.. واخذ وعدا من القادة السوفيت بالتدخل معنا إذا اشتركت مع إسرائيل أي قوي أجنبية .
ونطق الثلاثة في صوت واحد :
- يعني روسيا مستعدة لحرب عالمية ثالثة .
ورد عبد الناصر :
- أيوه هم وعدوا .. ولابد أن يكونوا مستعدين..وقام وقفا معلنا انتهاء الزيارة وهو يردد للثلاثة محاولا إشعارهم أنه قوي وكبير جدا ..
- أنا متشكر علي مشاعركم ..واطمئنوا جدا ولو احتجنا لكم سننده لكم ..
- وخرج الثلاثة وأثارت المقابلة بينهم عدة تعليقات عن كيف يصدق عبد الناصر أن السوفيت علي استعداد لدخول حرب

عالمية ثالثة من أجل مصر التي ليست بلدا شيوعيا وموقف السوفيت وتخاذلهم في كوبا أمام التهديد الأمريكي .. وموقف في فيتنام ..

ويستطرد حسن إبراهيم قائلا :

- وعدت إلي منزلي .. وفي ذهني أعمل أي شئ ..أخذت احلل الموقف من مختلف وجهات النظر مع مختلف الاحتمالات .. وخرجت بالتحليلات التي دونتها الرسالة الثانية وبعثت بها إلي عبد الناصر في يوم أول يونيو 1967 .. وهي الرسالة المنشورة في الصفحات السابقة.

- ومرت 4 أيام .. وبدا العدوان الإسرائيلي صباح 5 يونيو .. وتوجهت إلي منزل البغدادي نتابع الأخبار من نشرات الإذاعة المصرية وبقية الإذاعات .. وقرب الظهر تقريبا وجدت أنه من الواجب وإرضاء لضمائرنا أمام الله والوطن أن أعاد الاتصال بجمال عبد الناصر لإعراض علية استعدادنا بالتوجه إلي أرض المعارك .. وقمت إلي التلفون .. وطلبته في منزلة ..ورد علي ..وعرضت علية استعدادي أنا وبغدادي وكمال حسين للذهاب إلي أرض المعركة.

ورد علي قائلا :

- شوف عبد الحكيم عامر في غرفة العمليات واتصل به ..

وفعلاً اتصلت بعبد الحكيم الذي ما كاد يسمع صوتي ويعرف رغبتنا حتى قال:

- تعالوا حالا .. أنا في انتظاركم.

واتصلنا بكمال حسين .. وذهبنا ثلاثتنا إلى غرفة العمليات .. كان عبد الحكيم جالساً في غرفة مكتبه الملحقة بغرفة العمليات وإلى جواره شمس بدران والفريق أول على علي عامر..

* * *

يوم 5 يونيو 1967:

- وللتاريخ يجب أن نذكر تفصيلاً ما كان يدور في غرفة العمليات من أحاديث بين القادة .. وبين ما كان يسمعه الشعب من محطات الإذاعة المصرية ويقرأه في الصحف.

وفي لقائي مع عبد اللطيف البغدادي يوم 19 يوليو سنة

1975 في كابينته بالمنتزه روى لي يوميات ما دار في غرفة العمليات كما شهدها مع كمال حسين وحسن إبراهيم .. وهذه سورة ما كان يدور داخل الغرفة.

قال البغدادي:

- ذهبت إلى مقر غرفة العمليات أنا وكمال حسين وحسن .. كان كبار الضباط داخل الغرفة واقفين أمام الخرائط يحددون الموقف طبقاً للتبليغات التي تصلهم.. وكان عبد الحكيم عامر في غرفة مكتبه بغرفة القيادة ومعه شمس بدران والفريق أول على عال عامر..

وكان الوقت ظهرا .. ودخلنا مكتب عبد الحكيم عامر .. كان يبدو عليه الارتباك..

وسألته:

- إيه الموقف يا عبد الحكيم؟..

فأجاب:

- زفت ..

وسألته:

- وما موقف الطيران؟

فأجاب بغيظ:

- خسرنا أغلب طائراتنا .. ضربوا كل المطارات في لحظة واحدة..

وسأله كمال الدين حسين:

- وحاتعمل إيه من غير غطاء جوي لقواتك؟.

فأجاب عبد الحكيم:

- احنا عندنا خطة نحارب 6 شهور من غير غطاء جوى ..

وبدأ عبد الحكيم يتلقي سير العمليات .. وجلسنا أنا وكمال وحسن على أريكة في الغرفة نتابع ما يجري أمامنا .. كانت الصورة تدل على فشل كامل.

وبعد الظهر حضر جمال عبد الناصر .. دخل إلى مكتب عبد الحكيم عامر مباشرة.. وبمجرد أن شاهدنا قال باسما ..

- والله زمان يا سلاحي ..

وكان يبدو عليه الاطمئنان ممسكاً بأعصابه .. كان طبيعياً

جداً .. وجلس على كرسي في قمة المكتب بينما وقف شمس بدران خلف المشير عامر وجلس الفريق أول على عامر في نهاية الغرفة..

وبدأ عبد الناصر يوجه أسئلة لعبد الحكيم عامر .. بدأها بسؤاله:

- أد إيه خسرنا طائرات؟.

ورد عبد الحكيم:

- مفيش بيان كامل لغاية دلوقت.

وبدأ الضيق يبدو على عبد الناصر وهو يقول:

- يعني إيه .. مش عارف أد إيه الخسائر؟

ورد عبد الحكيم بسرعة وبصوت من نقد صبره:

- عندنا 37 طائرة فقط .. منها 28 صالحة للطيران وتسعة عايزين إصلاحات.

وسأله عبد الناصر:

- وإيه موقف بقية القوات؟

ورد عبد الحكيم:

- كويس.

فأعاد عبد الناصر سؤاله:

- يعني إيه كويس.

وتظاهر عبد الحكيم بأنه لم يسمع سؤال عبد الناصر .. وانهمك في قراءة ورقة قدمها له شمس بدران عن سير العمليات .. وبعد أن انتهى من قراءاتها تأولها إلى عبد الناصر..

وبدأ عبد الناصر يقرأ الورقة .. وبدأت حالة قلق تنتابه شعرت بها من عادته في مثل هذه الحالات .. فهو يهز قدمه بعصبية ويضع يده على جبهته يعتصرها .. وبعد أن انتهى من قراءة الورقة وجه الحديث إلى عبد الحكيم قائلاً:

- الله يا عبد الحكيم .. دي خان يونس سقطت .. ورفح مقطوع الاتصال بها من الساعة التاسعة صباحاً .. وغزة تهاجم .. إيه الحكاية .. عايز أعرف الموقف إيه بالضبط علشان قرار مجلس الأمن الليلة.

ولم يرد عبد الحكيم .. تظاهر بانهماكه في أحاديث تليفونية .. كانت أجراس التليفونات الخمس الموجودة إلى جوار مكتبه تدق .. ويرفع سماعة التليفون ويتكلم ويعطيها لشمس ثم يرفع أخرى ويصدر أمراً..

وصاح فيه جمال عبد الناصر:

- فضى لي نفسك شوية يا عبد الحكيم..

ولم يرد عليه عبد الحكيم .. استمر في انهماكه بالحديث في التليفونات .. فقام عبد الناصر والضيق بادياً عليه ودخل إلى غرفة نوم ملحقة بالمكتب ..

وبعد دقائق قمت من مكاني.. والكلام ما زال للبغدادي .. وتوجهت إلى دورة المياه الملحقة بغرفة النوم .. وكان هناك "بارفان" بين باب دورة المياه وبين بقية الغرفة .. ورأيت عبد الناصر مضجعاً فوق السرير ينظر إلى سقف الغرفة .. وعندما شعر بدخولي الغرفة واتجاهي إلى دورة المياه قال:

- أهلا وسهلاً ..

ورددت عليه وأنا أشعر بالأسى من أجل الوطن ومن أجله:

- ربنا يوفق ..

وربما اعتقد من نبرة صوتي أو من دخولي شيئاً .. لأنني فوجئت به يرد على قائلاً:

- أنا جي هنا أكلم مكتبي في التليفون ..

ونسي أن غرفة مكتب المشير بها أكثر من تليفون ..

فقلت له:

- أنا ألوم سلاح الطيران ..

فرد متسائلاً:

- ليه!!..

فأجابته قائلاً:

- لأنه كان يقدر يقوم بدور أحسن .. وأنا كان رأيي باستمرار أن صدقي يمشي وييجي مدكور أبو العز..

فقال لي:

- القيادة حصل لها شلل ..

فوافقته على ذلك بقولي:

- فعلاً .. حصل لها شلل ..

ودخلت دورة المياه وخرجت .. وكان عبد الناصر قد خرج من غرفة النوم.. وعندما رآني أشار لنا جميعاً قائلاً:

- يا اللا تروح وتسيب عبد الحكيم يشتغل ..

وعندما هممنا بالانصراف .. توقف عند الباب واستدار إلى عبد الحكيم وقال له:

- يا عبد الحكيم طلع حاجة للجرايد ..

فرد عبد الحكيم متسائلاً:

- تقول أسقطنا مائتي طائرة ..

فقال عبد الناصر:

- بلاش نقول نص العدد .. نقول أننا توغلنا في الأراضي الإسرائيلية وسأجعل هيكل .. ويقصد محمد حسنين هيكل يكتب هذا البلاغ .. وفعلاً أذيع بلاغ بذلك في آخر الليل.

وردت عليه عبد الحكيم:

- طيب معلهش ..

كانت هذه الصورة الصادقة لما دار في ذلك اليوم داخل غرفة العمليات كما رواه عبد اللطيف البغدادي إلي وبحضور كمال الدين حسين .. فماذا نشرت الصحف صباح يوم 6 يونيو عن ذلك اليوم.

كانت العناوين الرئيسية للصحف في لك اليوم عن أحداث 5 يونيو اليوم السابق كالآتي:

* قواتنا المسلحة توغلت داخل إسرائيل بعد معارك عنيفة.
* أسقطنا 86 طائرة للعدو.
* بيانات إسرائيل تعترف بالخسائر الفادحة والتقدم العربي الجبار.
* حطمنا 3 هجمات في اتجاه الكونتيلا وأبو عجيلة وخان يونس وتراجع العدو.
* دمرنا 11 طائرة للعدو وهي تحاول قذف مطارات القاهرة والعريش والقناة.
* إسرائيل تفشل في محاولة لتعويق الملاحة في القناة.

* أخبار الانتصار في الجبهة المصرية في سيناء وغزة وشرم الشيخ.
* الاتحاد السوفيتي يعلن أن تدخله العسكري متوقف على التدخل العسكري من الغرب.

كانت هذه هي عناوين الصحف يوم 6 يونيو.

وكانت الجماهير العريضة تلتف حول أجهزة الراديو في الشوارع تستمع إلى البلاغات العسكرية التي تذاع والتعليقات وتهلل وترقص فرحاً .. كان كل بلاغ يحمل إليهم بشرى كاذبة عن انتصارات وهمية.

وفي ذلك اليوم .. يوم 5 يونيو صدر 16 بلاغاً عسكرياً. وكان آخر بلاغ أكثرهم كذباً وهو الذي كتبه محمد حسنين هيكل وأذيع ويتضمن توغلنا داخل الأراضي الإسرائيلية وفيما يلي نص البلاغات:

** البلاغ الأول في الساعة العاشرة والدقيقة 15 ونصه: قامت إسرائيل في الساعة التاسعة من صباح اليوم بغارات جوية على القاهرة وعلى جميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة .. وقد تصدت لها طائراتنا وأسلحتنا المضادة للطائرات.

** البلاغ الثاني بعد 15 دقيقة ونصه:

أسقطت 23 طائرة إسرائيلية حتى الآن في الغارات التي شنتها إسرائيل على الجمهورية العربية المتحدة صباح اليوم.

** البلاغ الثالث بعد 30 دقيقة وفي تمام الساعة الحادية عشرة ونصه:

ارتفع عدد الطائرات الإسرائيلية التي أسقطت حتى الآن 42 طائرة.

** البلاغ الرابع في الساعة الحادية عشرة والدقيقة 40 ونصه:

منذ لحظات وقع اشتباك بين قواتنا وقوات العدو في خان يونس ولم يستطيع العدو أن يقتحم مواقعنا هناك ..كما وقع اشتباك بري على طول الحدود وحاول العدو الهجوم على قواتنا الأمامية في سيناء ولكنه لم يستطع اختراق أي موقع لنا. وأن إجمالي الطائرات التي أسقطت للعدو حتى الآن 44 طائرة وسقطت اثنتان من طائراتنا والطياران سليمان.

** البلاغ الخامس بعد 14 دقيقة فقط .. لماذا 14 دقيقة فقط .. هكذا استخدمت السيكولوجية لإيهام الناس بأن ما يذاع حقيقة .. البلاغ صدر في الحادية عشرة والدقيقة 54 وهو تلخيص للبلاغات السابقة مضافاً إليه تعليق للمتحدث العسكري .. ونص البلاغ:

في الساعة التاسعة من صباح اليوم بدأ العدو الإسرائيلي هجوماً برياً وجوياً واسع النطاق على الجمهورية العربية المتحدة. ففي الجو قامت الطائرات الإسرائيلية بغارات على عدد من المطارات المصرية في منطقة سيناء ومنطقة القناة وعلى إحدى القواعد الجوية بالقرب من القاهرة. وفي البر شنت القوات الإسرائيلية هجمات متعددة على كل الجبهات وهناك الآن هجمات على طول جبهة الحدود المصرية كما أن هناك هجوما جوياً على شرم الشيخ.

ومما لا يقبل الشك الآن أن إسرائيل قد بدأت بعدوان شامل في كل الميادين وبالرغم من جميع المحاولات التي يبذلها العدو الإسرائيلي الآن مدعياً أن الجمهورية العربية المتحدة هي التي بدأت فإن الحقيقة واضحة وضوحاً كاملاً من سياق الحوادث والتطورات، وأن الجمهورية العربية المتحدة وهي تقف اليوم لرد العدوان وردعه تعتبر أنها تقوم بالواجب المقدس وعلى العدو الإسرائيلي وعلى الذين ساندوه ويساندونه أن يتحملوا العواقب التي لابد أن تلحق بالمعتدين.

وكان هذا من البلاغات الصادقة القليلة التي صدرت في ذلك اليوم .. وكذلك كان البلاغ السادس الذي صدر في الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق والبلاغ السابع الصادر في الساعة الثانية عشرة والدقيقة 37.

** وفيما يلي نص البلاغ السادس:

حاولت سفينة أمريكية ناقلة للبترول متجهة إلى السويس أن تقف بالعرض في القناة عند الكيلو 40 لتعطيل الملاحة وقد أرسلت إليها قاطرة ولكنها وقفت بالعرض مرة أخرى وصدرت تعليمات بقطرها. كما حاولت إسرائيل ضرب ناقلة بترول فرنسية عند منطقة كبريت.

** وفيما يلي نص البلاغ السابع:

تم استجواب أول أسير من طياري العدو الذين أسقطت طائراتهم خلال العمليات العدوانية التي قام بها العدو الإسرائيلي صباح اليوم. واسم الطيار هو الكابتن لافو مردخاي وعمره 35 سنة ورقمه

744ث 996 ورقم وحدته 235 .. وقد أفاد في استجوابه أنه ووحدته تلقوا الأمر بالهجوم على الجمهورية العربية المتحدة في الساعة السادسة من صباح اليوم وكانت المهمة المحددة لوحدته هي الهجوم على مطار المرج بالجمهورية العربية المتحدة. وقد قامت وحدته بهذه المهمة من مطار حاطور الحربي في إسرائيل لتنفيذ أمر الهجوم.. أن نتيجة استجواب هذا الطيار الأول من أسرى طياري العدو يكشف تماماً أن العدو الإسرائيلي على عكس كل ما يدعيه في بياناته الرسمية التي يحاول أن يغطي بها موقفه أمام العام العالمي.

يظهر تماماً أن العدو الإسرائيلي هو الذي بدأ بالهجوم المسلح على الجبهة العربية .. والقيادة العليا للجمهورية العربية المتحدة تبعث الآن بتسجيل تليفزيوني إلى مجلس الأمن بشهادة أول الطيارين الإسرائيليين لكي يعرف العالم كله من الذي بدأ بالعدوان ..

وفي الساعة الواحدة وثماني دقائق أذيع البلاغ الثامن ونصه:

- تم أسر سبعة طيارين آخرين للعدو في منطقة القناة.

** والبلاغ التاسع صدر بعد دقيقتين من البلاغ السابق ونصه:

ما تزال عملية الإغارة الجوية للعدو على المطارات مستمرة حتى الآن وقد أصبح عدد الطائرات التي أسقطت حتى هذه اللحظة سبعين طائرة.

** والبلاغ العاشر صدر في الساعة الثانية والدقيقة 50 أي بعد ساعة و40 دقيقة من البلاغ السابق له ونصه:

حدث اشتباك جوي بين طائرتين مصريتين من طراز ميج 21 وبين ثلاث طائرات إسرائيلية من طراز ميراج وقد تم إسقاط الطائرات المعادية الثلاث .. وتم أسر اثنين من طياري الأعداء أحياء ..

ولم يشر إلى أسماء الأسرى ..

** البلاغ الحادي عشر في الساعة الثالثة والربع ونصه: بدأ هجوم إسرائيلي على مواقع خان يونس بالدبابات والمشاة وما زالت قواتنا تشتبك معها وجميع مواقعنا هناك سليمة.

** البلاغ الثاني عشر في الساعة الرابعة والنصف ونصه:

قام العدو بمحاولة هجوم على قواتنا في الكونتيلا فحطمت قواتنا مدرعاته وأسلحته وأجبرته على الانسحاب.

** البلاغ الثالث عشر بعد 16 دقيقة من البلاغ السابق ونصه:
ثم ضرب العدو الذي يهاجم قواتنا في أبي عجيلة وتحطمت قواته المهاجمة.
البلاغ الرابع عشر بعد 14 دقيقة من البلاغ السابق وقد صدر في تمام الساعة الخامسة مساء .. نفس اللحظة التي علم فيها عبد الناصر بسقوط خان يونس .. وكان نصه:
اضطر العدو أن ينسحب من خان يونس بعد قتال عنيف وبعد أن تصدت له القوات الفلسطينية والأهالي الفلسطينيون داخل المدينة .. وقد دمرت أعداد كبيرة من دبابات العدو قبل انسحابه.
** البلاغ رقم 15 صدر في الساعة الخامسة والدقيقة 53 ونصه:
شنت قوات العدو الإسرائيلي ظهر اليوم هجمات رئيسية في اتجاهات الكونتيلا وأبي عجيلة وخان يونس، ولقد تحطمت هذه الهجمات الثلاث ولقد وجه العدو هجومه بالمدرعات في منطقة الكونتيلا. وبلغت القوة المهاجمة ثلاثين دبابة خسر العدو معظمها عندما تحطم هجومه واضطر إلى التراجع .. وهاجم العدو في منطقة أبي عجيبة وقامت قواتنا بهجوم فعال أرغمهم على التراجع بخسائر فادحة وحاول العدو في هجوم مركز أن يتقدم في منطقة خان يونس ولكن القوات الفلسطينية لمنظمة التحرير الفلسطينية وقوات المقاومة الشعبية الفلسطينية صدت هجوم العدو وطاردت بنجاح فلوله المتراجعة.
** البلاغ رقم 16 .. وصدر في الساعة السابعة والثلث ونصه:
تعرضت مطارات العريش والقنال والقاهرة لقذف جوي قامت به طائرات العدو وقد تم إسقاط 11 طائرة من طائرات العدو وبذلك أصبح عدد الطائرات التي أسقطتها لقوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة 86 طائرة .. [1]

---

[1] يبدو أن الذي كان يذيع البلاغات كان ضعيفاً في الحساب.. فالبلاغات السابقة تقرر أن عدد الطائرات التي تم إسقاطها 73 طائرة .. وبإضافة إلى 11 يصبح عددهم كما قال 86 طائرة.

وتوقفت البلاغات العسكرية مدة أربع ساعات تقريباً .. وفي تمام الساعة الحادية عشرة مساء يوم الإثنين 5 يونيو 1967 قطعت جميع البرامج من جميع محطات الإذاعة وأذيع البلاغ الأخير الذي كتبه محمد حسنين هيكل بناء على توجيهات من عبد الناصر ونصه:

توغلت قواتنا المدرعة بعد معارك عنيفة مساء اليوم في داخل الأراضي المحتلة من فلسطين وذلك بعد أن تمكنت قواتنا من القضاء على هجوم للعدو على منطقة الكونتيلا قام به مستخدماً لواء كاملاً من المشاة ومجموعة كبيرة من الدبابات وبعد أن تمكنت قواتنا من القضاء على هجوم العدو تسلمت زمام المبادرة وتوغلت في الأراضي التي يحتلها العدو من فلسطين.

ونام أبناء الأمة العربية عامة والشعب المصري خاصة نوماً متقطعاً تلك الليلة. . ليلة السادس من يونيو والآمال تداعب خيال كلاً منهم أنه سيستيقظ في الصباح ليسمع نبأ دخول الجيوش العربية إلى تل أبيب واستسلام إسرائيل وإسدال الستار للأبد عن صنيعة الاستعمار إسرائيل وانتهاء دولة العدوان وعودة الحقوق .. كل الحقوق للشعب الفلسطيني .. وكان لكل منهم الحق في أن يسرح بخياله إلى هلا الأمل .. ويحلق به في السموات .. فالبيانات التي سمعها من أجهزة الإذاعة والتليفزيون تؤكد له أن القوات العربية تزحف ساحقة أمامها كل قوات للعدو..

قلائل فقط كانوا يعرفون الحقيقة .. بخلاف الآلاف من أفراد قواتنا المسلحة في الجبهة الذين كانوا في قلب المعركة ويعرفون الحقيقة.

6 يونيو:

وأعود إلى عبد اللطيف بغدادي ليروي لي أحداث اليوم السادس من يونيو .. ثاني أيام المعركة .. وينطلق صوت الرجل مشبعاً بالألم وهو يردد لي ما حدث في ذلك اليوم في غرفة العمليات .. والرجل يتحدث وكأن الأحداث والكلمات مسجلة في ذاكرته على شريط تسجيل .. أنه يتذكر كل كلمة .. وكل جملة قيلت داخل الغرفة .. وهو إلى جانب ذلك اعتاد منذ أن كان في السلطة وحتى بعد أن ابتعد عن الأضواء في مارس 1964 أن يدون مذكراته كل يوم ..

وقال لي البغدادي : في ذلك اليوم .. يوم السادس من شهر

يونيو .. ثاني أيام النكسة .. أو كما يسميها المرحوم الدكتور رشوان فهمي وأغلب المصريين بعد ذلك "الوكسة".

قال:

- ذهبنا إلى غرفة العمليات بعد ظهر ذلك اليوم .. أنا وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم .. ودخلنا غرفة العمليات .. وكان زكريا محيي الدين قائد المقاومة الشعبية واقفاً في الغرفة وبعد أن تصافحنا .. سادت فترة صمت .. وكان الوجوم بادياً عل كل من بالغرفة ..

وقطعت الصمت بأن قلت له:

- ازيك .. إيه الموقف دلوقت؟

وفوجئنا نحن الثلاثة به يجيب:

- قررنا الانسحاب العام ..

وقفز كمال الدين حسين من مكانه وصاح ثائراً:

- من أمتي؟ ..

وأجاب بهدوءه التقليدي:

- من الظهر ..

وقلت له متسائلاً:

- وإيه رأي جمال؟

وأجاب بهدوئه التقليدي:

- هو اللي أصدر الأمر ..

واندفع كمال حسين ثائراً وهو يقول:

- إزاي ننسحب .. أشرف لنا أن نموت في معركة على الانسحاب

ولم يفقد زكريا هدوءه وقال بصوته الهامس:

- المهم دلوقت ننفذ أولادنا في الجبهة ..

ثم أردف بصوت اليائس:

- خلاص الجيش بقى مهلهل .. وده بقى جزء من التاريخ .. ودخلنا نحن الأربعة إلى غرفة مكتب عبد الحكيم عامر .. كان جالساً إلى مكتبه والإرهاق والألم باديان على ملامحه وإلى جواره شمس بدران والفريق أول علي علي عامر .. وبادره كمال حسين متسائلاً:

- إزاي يا عبد الحكيم ننسحب .. لازم نستمر نحارب .. احنا

فقدنا الطيران ولكن مدرعاتنا يجب أن تلتحم مع مدرعات العدو فتضمن تجنيد الطيران الإسرائيلي لأنه مش حيقدر يدخل المعركة حتى لا يصيب قواته.

ورد عبد الحكيم:

- مدرعاتي وقواتي في الخنادق وأنا أقدر استمر في الحرب من يوم لسنة ..

وقال له حسن إبراهيم:

- لا .. احنا عايزين المعركة تستمر 3 أسابيع وخلالها ستتحرك دول العالم لصالحنا ..

فقال عبد الحكيم:

- لا .. احنا نقدر نصمد سنة .. المهم عندي أن مدرعاتنا تنسحب وتختفي في الدلتا .. نسحبها بعيداً عن مدى طيران العدو.

وقلت له .. والكلام للبغدادي:

- ازاي يا عبد الحكيم تنسحب من غير معركة نشتبك فيها مع مدرعات العدو .. روميل انسحب 1500 ميل من العلمين إلى تونس إلى ماسينا إلى إيطاليا بدون غطاء جوي .. كان يدخل في معارك حامية في النهار .. وينسحب في الليل .. يجب أن تلتحم دباباتنا بقوات العدو وبذلك طيرانهم سيشل ..

وفوجئت بعبد الحكيم يرد:

- ما أنت عارف ضباطنا وعساكرنا مش متعودين على القتال ..

ونطقنا ثلاثتنا في وقت واحد:

- طيب دخلتم الحرب ليه؟..

ولم يجب عبد الحكيم بل قام واقفاً قائلاً:

- تعالوا نروح لجمال ..

ورددنا عليه في وقت واحد متسائلين:

- تعملوا إيه ..

وترك عبد الحكيم المكتب بعد أن أعطى أوامره لتبلغ إلى جميع القوات في الجبهة بترك الأسلحة الثقيلة والانتشار في صحراء سيناء حاملين الأسلحة الخفيفة والعبور إلى الضفة الغربية من القناة ..

وخرجنا من غرفة العمليات .. عدنا إلى منزل حسن إبراهيم نتشاور في الموقف بينما ذهب عبد الحكيم إلى منزل عبد الناصر ..

وكانت هذه ملخص الأحداث يوم 6 يونيو من داخل غرفة العمليات وحقيقة الموقف .. ولكن أجهزة الإعلام بتوجيهات عبد الناصر كانت تعطي للجماهير في الأمة العربية صورة أخرى مخالفة تماماً .. فقد خرجت صحف يوم 7 يونيو تحمل عناوين أحداث يوم 6 يونيو كالآتي:

* قواتنا تطارد في عنف وشجاعة مقاتلات أمريكا وبريطانيا.
* طائرات كانبيرا البريطانية بعلامتها الرسمية تشترك في عمليات الضرب الجوي في سيناء.
* 32 طائرة أمريكية تركت قاعدتها في ليبيا لدعم طيران العدو.
* معارك ضارية مستمرة عند العريش وأبو عجيلة والقسيمة.
* كبدنا العدو خسائر فادحة في الطائرات منها 9 فوق أبو عجيلة وخان يونس وأسرنا 8 طيارين.
* هجوم جوي مصري على كل مواقع القتال.
* البوارج العربية ضربت قلب تل أبيب.
* قتال وحشي مستمر بالليل والنهار.
* قطعنا العلاقات مع أمريكا رأس المؤامرة.
* وقف الملاحة في قناة السويس.

ولم تشر الصحف في ذلك اليوم إلى قرار الانسحاب الذي أصدره عبد الناصر قبل ظهر اليوم السابق .. يوم 6 يونيو .. وكانت كل أجهزة الإعلام مستمرة في سياسة إخفاء الحقيقة عن الشعب وإيهامه بالانتصارات الكاذبة .. تركته يعيش الأمل .. وأخفت عنه الألم .. وفي نفس الوقت بدأت القيادة السياسية تمهد لنفسها بإيجاد الأعذار للهزيمة التي لن يصدقها عقل بعد كل التصريحات التي أدلت بها .. فادعت اشتراك الطيران البريطاني وطائرات أمريكا في المعارك حتى يبدو أن مصر لم تكن تحارب إسرائيل وحدها.. وإنما كانت حارب أمريكا وانجلترا أيضاً..

وفي ذلك اليوم .. يوم السادس من يونيو لم تقدم القيادة العسكرية سوى خمس بلاغات عسكرية فقط .. فقد كانت مشغولة فيما يبدو بتنفيذ أوامر الانسحاب .. وفيما يلي نص هذه البلاغات.

** البلاغ الأول في الساعة التاسعة والدقيقة الخمسين ونصه:

قامت القوات الجوية للجمهورية العربية المتحدة مع أول ضوء الصباح بهجوم بمساعدة الجهد البري على كل مواقع القتال وقد قامت طائراتنا بقصف مطارات المنطقة الجنوبية من إسرائيل.. وكذلك ضربت طائراتنا تجمعات العدو التي كان ينوي استخدامها ضد قطاع غزة، وقامت قواتنا الجوية مع القوات الأرضية في صد هجمة جديدة للعدو في اتجاه أبو عجيلة أسقطت قواتنا ستاً من طائرات الميراج الإسرائيلية كما سقطت اثنتان من طائراتنا، وفوق خان يونس تم إسقاط ثلاث من طائرات العدو.

** وفي الساعة العاشرة والدقيقة 17 أذيع البلاغ الثاني ونصه:

تمكنت إحدى المواقع الأمامية لقواتنا في سيناء من إسقاط عدد كبير من طائرات العدو وتم أسر ثمانية طيارين أحياء.

** البلاغ الثالث وصدر في الساعة الخامسة والدقيقة 45 ونصه:

أن التدخل الجوي الواسع من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لصالح العدو الإسرائيلي قد أحدث تطورات هامة في خط سير المعركة، وتقاتل قواتنا الآن في معارك ضارية على الأرض المصرية وتقف في بسالة رائعة أمام هجمات يشنها العدو على مواقع العريش وأبو عجيلة والقسيمة ويضع العدو الآن في المعركة قوة جوية ضخمة، وبالرغم مما مني به من خائر فادحة ي الطائرات والدبابات فإن الذين يقفون وراءه يواصلون إمداده بما يعوض خسائره.

** البلاغ الرابع وكان توقيته الثامنة مساء ونصه:

دخل الدعم الجوي العسكري الأمريكي والبريطاني للعدو الإسرائيلي مرحلة جديدة بعد ظهر اليوم. فقد قامت قاذفات من طراز كانبيرا البريطانية وعليها علاماتها الرسمية البريطانية بالاشتراك في عمليات الضرب الجوي فوق مواقعنا في سيناء وذلك يكشف بطريقة لم تعد تقبل الجدل تدخل القوى الاستعمارية السافر في صراع المصير الذي يدور الآن على الأرض العربية.

** البلاغ الخامس والأخير وقد أذيع بعد البلاغ السابق بعشر دقائق ونصه:

ثبت لدى السلطات العسكرية المختصة أن هناك 32 طائرة أمريكية قامت اليوم من قاعدة هويلس الأمريكية في ليبيا قاصدة إلى إسرائيل.

* * *

يوم 7 يونيو:

وأعود إلى السيد عبد اللطيف البعدادي..فيروي أحداث يوم 7 يونيو 1967 كما شاهدها أثناء وجوده في غرفة العمليات .. قال لي:

ذهبت إلى غرفة العمليات بعد ظهر يوم الأربعاء 7 يونيو .. أنا وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم .. دخلنا غرفة مكتب عبد الحكيم عامر .. كان شمس بدران موجوداً .. وكان الإثنان منهمكين في إصدار الأوامر العسكرية والتعليمات والاتصال بكل القادة وانتظرنا فترة .. وعندما بدأت الاتصالات تهدأ. سألته:

- إيه الموقف يا عبد الحكيم؟

فأجاب قائلاً:

- قررنا أن تعود الفرقة الرابعة مدرعات إلى سيناء بعد أن انسحبت وتم عبورها القناة للضفة الغربية وذلك لتساند فرقة المشاة الموجودة هناك.

ووجدنا أنفسنا نسأله في صوت واحد:

- أنتم غيرتم قرار الانسحاب الكامل؟

فأجاب:

- أيوه..

وسألناه:

- ليـه؟

فأجاب :

- أنا استدعيت السفير السوفيتي صباح اليوم وطلبت منه إبلاغ حكومته بموافقتنا على الاقتراح الذي تقدمت به يوم 5 يونيو إلى مجلس الأمن بإصدار قرار بوقف القتال والعودة إلى خطوط ما قبل الاشتباك مع حرية الملاحة لإسرائيل في مضايق تيران .. وهو الاقتراح الذي كنا رفضناه يوم 5 يونيو ومعنا 6 دول عربية.. فوجئت به يقول أن موسكو مستعدة أن تتقدم باقتراح جديد

بوقف إطلاق النار ولكن بدون قيد ولا شرط .. سألته أن معنى هذا أن نترك لهم سيناء .. فرد قائلاً أن ذلك المفروض .. فأنا شتمته وشتمت السوفييت وأنهيت المقابلة .. وقررت أن نستأنف القتال بدون أن نترك لهم سيناء ..

وشجعناه على قراره .. وبدأ كل منا يحاول بما لديه من أن يقدمها للمشير .. وعند منتصف الليل قررنا أن نذهب فطلب عبد الحكيم عامر من كمال الدين حسين البقاء معه.. فبقي وانصرفت أنا وحسن إبراهيم ..

وصمت البغدادي لحظات ثم ابتسم وقال:

- تعرف .. في سنة 1970 كنت جالساً مع عبد الناصر ودار الحديث بيننا عن أيام النكسة ورويت له موقف المشير من السفير السوفيتي .. واستمع لي عبد الناصر جيداً ثم فاجأني بقوله:

- دي أول مرة أسمع فيها الحكاية دي .. ما أعرفش خالص أن المشير استدعى السفير السوفيتي..

وعندما استغربت من ذلك قال:

- أصل لا المشير روى لي شيئاً.. ولا السفير السوفيتي.

وانتهت رواية البغدادي عن أحداث السابع من يونيو سنة 1967 داخل غرفة العمليات، فماذا كانت الصورة أمام الناس وفي آذانهم في لك اليوم .. الصورة نقلتها صحف اليوم التالي .. الثامن من يونيو .. وبدت البلاغات العسكرية التي صدرت يوم السابع من يونيو تغلب عليها الحقيقة وإن كان بعضها يضم أكاذيب .. وقد قال لي العقيد بالمعاش محمد محمد عبد الرحمن سكرتير المشير الصحفي .. وكان قد احتجز في تمادة في أول أيام الحرب ثم استطاع العبور والعودة للقاهرة يوم السابع من يونيو وبدأ مهمة إصدار البلاغات العسكرية منذ ذلك التاريخ .. قال أنه ابتكر حكاية الخط الثاني ليشير إلى الانسحاب ولكن الحقيقة أنه لم يكن هناك خط أول ولا ثان .. ولا ثالث .. وفيما يلي عناوين الصحف عن أحداث اليوم السابع من يونيو:

* القتال مستمر بضراوة عنيفة.
* تمركزت قواتنا في خط دفاعي في سيناء.
* أسقطنا 25 طائرة للعدو في سيناء والسويس وشرم الشيخ

* أبدنا إبادة تامة مجموعات من قوات مظلات الأعداء حاولت النزول في خط دفاع سيناء.
* حطمنا محاولة العدو إنزال جنود مظلات في شرم الشيخ أثناء عملية تجميع قواتنا.
وفي ذلك اليوم أصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة 6 بلاغات عسكرية .. وكانت نسبة الصدق فيها 50% بعد أن كانت صفرا في المائة في بلاغات الأيام السابقة..
** أذيع البلاغ الأول في الساعة الواحدة بعد الظهر وكان نصه:
تخوض قواتنا الآن معارك عنيفة على مواقع الخط الثاني في سيناء .. وقد أخليت بعض مواقع الخط الأول .. وكان ذلك إشارة للانسحاب.. في عملية تجميع للقوات كانت ضرورية إزاء نشاط العدو الجوي على الجبهة مدعماً بقوى أجنبية. وقد قامت الطائرات المعادية بسلسلة من الغارات على مواقع قواتنا في سيناء .. وأسقطت قواتنا ثماني طائرات منها.
** والبلاغ الثاني أذيع في الساعة الثانية والدقيقة 45 وكان نصه.
بعد أن صدرت الأوامر إلى قواتنا في شرم الشيخ بالانضمام إلى الخط الثاني في سيناء خلال عملية تجميع القوات، قام العدو بمحاولة لإنزال جنود المظلات في شرم الشيخ وجاءت ناقلات جنوده تحت حراسة المقاتلات المعادية فتصدت لها مقاتلاتنا وأسقطت خمس طائرات منها ثلاثة من طراز ميراج واثنتين من طراز نور أطلس، وكذلك حاول العدو إسقاط مجموعات من جنود المظلات في بعض مناطق الخط الثاني في سيناء وقد أبيدت هذه المجموعات عن آخرها!!
** وأذيع البلاغ الثالث في الساعة الثالثة وكان نصه:
حدث اشتباك جوي ظهر اليوم بين طائراتنا وطائرات العدو فوق منطقة السويس وقد أسقطت طائراتنا ثماني طائرات للعدو من طراز ميراج.
** وبعد ربع ساعة أذيع البلاغ الرابع ونصه:
أعلن مصدر عسكري مسئول أنه تم القبض على أفراد من الضفادع البشرية للعدو كانوا قد أرسلوا للقيام بمهمة بميناء الإسكندرية وذلك بعد فشل مهمتهم ويجري استجوابهم حالياً.

** وفي الساعة الرابعة أذيع البلاغ الخامس ويقول:

في اشتباك آخر وقع منذ قليل فوق منطقة السويس أسقطت قواتنا طائرتين للعدو وبذلك أصبح عدد طائرات العدو التي أسقطت اليوم فوق منطقة السويس عشر طائرات وكلها من طراز ميراج.

** وقبل منتصف الليل أذيع البلاغ السادس والأخير ونصه:

تم انضمام قواتنا في شرم الشيخ إلى قواتنا المتمركزة في خط الدفاع في سيناء.

ونام أبناء الأمة العربية والشعب المصري على قلق ليلة الثامن من يونيو بعد سماعهم هذه البلاغات من أجهزة الراديو والتليفزيون .. واستيقظوا على أمل أن يقرأوا في الصحف شيئاً يعيد الأمل والطمأنينة إلى نفوسهم .. ولم يجدوا سوى هذه البلاغات .. وخبر عن موافقة مجلس الأمن بالإجماع على مشروع قرار قدمه الاتحاد السوفيتي يدعو جميع الجهات المشتركة في القتال في الشرق الأوسط إلى وقف إطلاق النار ابتداء من الساعة الحادية عشرة مساء اليوم.

* * *

يوم 8 يونيو:

ونعود إلى رواية عبد اللطيف البغدادي عن أحداث يوم 8 يونيو قال:

اتصل بي كمال الدين حسين في الساعة الثالثة بعد الظهر وعلمت أنه ظل مع عبد الحكيم عامر في غرفة القيادة حتى الساعة التاسعة صباحاً وأنه وجدها فرصة لمتابعة ما يحدث .. واكتشف أن كل القادة يكذبون على بعض وأن هناك معركة تدور وأننا سنهزم فيها ولكن بشرف .. وأضاف أنه سيعود للغرفة مرة أخرى .. فاعتذرت له عن الذهاب لأنني شعرت أن مفيش فايده.

وبعد ساعة تقريباً دق جرس التليفون في منزلي .. كان المتحدث كمال الدين حسين يتحدث من غرفة العمليات..

جاءني صوته وفيه يأس قائلاً:

- عبد اللطيف تعالى .. تعالي بسرعة.

وكنت عازماً على عدم الذهاب فاعتذرت له بعدم استطاعتي الحضور لعدم وجود سائق لدى ..

فعاد وأخذ يكرر:

- أنا لوحدي وعايزك ضروري أنت وحسن .. تعالوا بسرعة. فاتصلت بحسن إبراهيم في منزله وطلبت منه أن يمر على لنذهب معاً إلى غرفة العلميات بعد أن نقلت له حديث الأخ كمال .. وفعلاً حضر وذهبنا معاً .. وكان كمال في حالة عصبية شديدة .. وحالة من الفوضى تسود الغرفة .. وانتحينا به جانباً وسألته:

- إيه الموقف يا كمال.

وأجاب وهو يكاد يبكي من الغيظ:

- تصور قرروا الانسحاب تاني .. مش عايزين يواصلوا المعركة وينهزموا بشرف وأنا لوحدي أحاول إقناعهم بالاستمرار في المعركة .. ولكنهم مصرون على الانسحاب..

وفي هذا الوقت وصل جمال عبد الناصر .. وكنا جالسين في غرفة عبد الحكيم عامر وجلس على طرف المكتب وظل عبد الحكيم جالساً إلى المكتب .. وقال عبد الناصر:

- إيه الموقف يا عبد الحكيم؟

فرد عليه:

- مفيش فايدة بننسحب بالكامل وبننقذ ما يمكن إنقاذه..

وقال عبد الناصر:

- لأ يا عبد الحكيم .. نقاوم .. زي ما احنا تعبانين هم كمان تعبانين .. أنا سامع من أجهزتهم إشارات بيطلبوا إمدادات..

فرد عبد الحكيم يائساً:

- أقاوم بأيه .. ثم أشار بيده وهو يقول:

- كله عدى خلاص .. وكان يقصد عبر القناة إلى الضفة الغربية..

وسأله عبد الناصر:

- يعني مفيش قوة خالص في سيناء؟

فرد عبد الحكيم:

- أفراد منتشرين بأسلحة خفيفة.

وقال عبد الناصر:

- خذ الدبابات اللي عندي .. وكان يقصد الدبابات الموجودة

في مقر الحرس الجمهوري المجاور لمنزله بمنشية البكري وعددها يتراوح بين 70 و80 دبابة لحمايته من أي محاولة انقلاب داخلي ..

فأجاب عبد الحكيم بصوت من نفد صبره:

- ماتنفعش بحاجة.

وكان عبد الحكيم كما قلت جالساً إلى المكتب وبجواره على أحد أطرافه وفي مواجهة لنا عبد الناصر وإلى جواره زكريا محيي الدين وعلي صبري وشمس بدران يقف .. وفي نهاية الغرفة يجلس الفريق أول علي علي عامر ..

وبدأ عبد الناصر يوجه لنا نظراته من تحت لتحت .. وأحسسنا بالحرج .. فقمت واقفاً وتبعني كمال حسين وحسن إبراهيم وقلت:

- نستأذن احنا ..

فقال عبد الناصر:

- على فين ؟

- نسيبكم تتناقشوا.

فقال بسخرية:

- نتناقش في إيه .. الجيش خلاص "اتبهدل" .. وأحب اسمع رأيكم..

ورددت عليه أنا وحسن إبراهيم في نفس واحد:

- احنا مش في الصورة .. بس نحب نعرف الموقف السياسي إيه؟

وبدأ عبد الناصر يتكلم. قال:

- الموقف العسكري كان غير واضح في الأول .. واحنا لم نوافق على قرار مجلس الأمن يوم 5 يونيو بإيقاف القتال والعودة إلى خطوط الصباح .. وفي 6 يونيو وضح الموقف العسكري وكان فيه قرار بإيقاف القتال بدون الرجوع إلى الخطوط يوم 5 يونيو فلم توافق.

وسألته.. والكلام للبغدادي:

- هو مفيش تنسيق بيننا وبين السوفيت في مجلس الأمن؟

فأجاب متسائلاً:

- ليه؟

فقلت له:

- لأنهم بيقولوا أن الروس هم الذين تقدموا بهذا الاقتراح وأننا كنا نحن غير موافقين عليه وكذلك 6 دول عربية.

فتساءل:
- مين قال كده؟!
وأجبته:
- الجرايد..
فقال:
- احنا لم نقل موافقين ولم نقل غير موافقين ..
وسألته:
- ليه يوم 5 يونيو لم نوافق على قرار مجلس الأمن.. وكانت تعتبر هدنة نستطيع خلالها تعويض خسائرنا من الطيران في 10 أيام من السوفييت .. كان باستطاعتهم ينقلوا لنا يومياً 40 طائرة مقاتلة في صناديقها بالطائرات الأنتينوف.
فقاطعني متسائلاً:
- هي الأنتينوف تقدر تشيل كام؟
وأجبته:
- 4 طائرات مفكوكة داخل صناديق وتتركب في 12 ساعة.
فقال بصوت في نبرة من اكتشف أنه مخدوع وقال:
- أصل الروس مرعوبين من الأمريكان
ووجدتني أقول له:
- أمال فين كلامهم لشمس بدران أنهم معانا .. فين كلام زعمائهم ..
فقال بحسرة:
- ده اللي حصل .. أنا طلبت منهم طائرات 3 مرات .. مرة طلبوا إذن من يوغوسلافيا لتهبط طائراتهم في مطارات يوغوسلافيا لتتزود بالوقود.. اتصلت بتيتو فرحب في الحال وأبلغتهم موافقته .. ماطلوا مرة أخرى.. فاتصلت بهم واتصلت بتيتو .. استدعى سفيرهم وسفيرنا وأعلن في مواجهة الاثنين ترحيبه بهبوط الطائرات السوفيتية التي تحمل لنا السلاح في مطاراته .. ولكنهم ماطلوا للمرة الثانية .. فأعدت الاتصال بهم للمرة الثالثة فقالوا أنهم سيشحنوا الطائرات بالبواخر إلى الجزائر وهناك يتم تركيبها .. يعني "موت يا حمار".
وسأله كمال حسين:
- طيب ليه نوقف المعارك .. المقاومة الشعبية فين .. لازم نحارب من شارع لشارع ومن بيت لبيت زي أيام 1956 ..

والتفت عبد الناصر إلى زكريا محيي الدين قائد المقاومة الشعبية وسأله:
- عندك كام بندقية يا زكريا؟
فأجاب زكريا:
- 6 آلاف من غير ذخيرة .. وفيه مركبين روسي محملين بـ 60 ألف بندقة وذخيرة موجودين في البحر وبعتوا يطلبوا طائرات لحمايتهما عند دخول الميناء..
وقام عبد الناصر في حالة يأس .. ودخل إلى غرفة النوم الملحقة بمكتب عبد الحكيم .. وبعد قليل استدعى علي صبري .. وغاب علي صبري دقائق ثم خرج ونادى علي عبد الحكيم عامر .. ودخل الإثنان غرفة النوم دقائق ثم خرج عبد الحكيم ونادى علي زكريا .. وقبل أن يدخل الإثنان الغرفة هممنا أنا وكمال حسين وحسن إبراهيم بالخروج.. حاول عبد الحكيم أن يمنعنا ولكننا أصررنا وخرجنا.. وذهب كل منا إلى منزله ..
وبعد ساعتين اتصل بي حسن إبراهيم في المنزل وقال لي أنه سمع من إذاعة صوت أمريكا أن محمد عوض القوني رئيس وفدنا الدائم بالأمم المتحدة قدم موافقة مصر على قرار إيقاف القتال بدون قيد ولا شرط ..
وكان تعليقي على ذلك أن قلت له:
- ده اتأخر ..
فقد أحسست أن عبد الناصر عندما دخل غرفة النوم ثم استدعى علي صبري وعبد الحكيم عامر وزكريا محيي الدين .. أبلغهم بقراره قبول قرار مجلس الأمن بإيقاف القتال بدون قيد ولا شرط..
وتأكد ظني بعد ذلك عندما قابلت القوني .. فقد ذكر لي أن محمود رياض اتصل به وطلب منه مهاجمة أمريكا هجوماً عنيفاً في مجلس الأمن .. وبعد فترة اتصل به وطلب منه عدم الهجوم وإعلان قرار مصر موافقتها على قرار إيقاف القتال بدون قيد ولا شرط ..
وقال لي القوني بالحرف:
وأنا بكيت في التليفون وكان إلى جواري بعض السفراء العرب .. وعندما علموا بالقرار .. أصروا ألا أتكلم إلا إذا سمعته من عبد الناصر شخصياً فعاودت الاتصال بالقاهرة .. ورد على سامي

شرف وقلت له موقف السفراء العرب فعاد وأبلغني أن أبلغ مجلس الأمن موافقتان على إيقاف القتال ولكن بشروط وسألته:

- ما هي الشروط؟!

فأجاب:

- من غير قيد ولا شرط من إسرائيل!!

وأضاف البغدادي قائلاً:

وسألت القوني عن وقت إبلاغه بقرار موافقة مصر على قرار وقف إطلاق النار .. قرر أنه كان حوالي السابعة من مساء يوم 8 يونيو .. وهو نفس الوقت تقريباً الذي استدعى فيه جمال عبد الناصر كلاً من علي صبري وعبد الحكيم عامر وكريا محيي الدين إلى غرفة النوم الملحقة بغرفة المشير في مقر غرفة العمليات .. وصدق حدسي بذلك ..

وكانت تلك هي صورة الأحداث الحقيقية ليوم الثامن من يونيو سنة 1967 .. فماذا كانت الصورة الأخرى التي خرجت إلى الشعب العربي عامة وإلى الشعب المصري خاصة .. الصورة نجدها في عناوين الصحف التي صدرت صباح اليوم التالي 9 يونيو .. قالت العناوين ..

* وقف إطلاق النار.
* مجلس الأمن يعقد اجتماعاً طارئاً لتقرير وقف الحرب.
* حاربت قواتنا في جميع المواقع معارك لم يسبق لها مثيل في عنفها وضراوتها.
* قوات أمريكا وبريطانيا الجوية اشتركت بأعداد ضخمة لحماية العدو
* المعارك مستمرة في سيناء.

وتحت عنوان صغير "اجتماع طارئ لمجلس الأمن" ذكرت الصحف الخبر التالي:

عقد مجلس الأمن جلسة طارئة مساء أمس لتنفيذ قرار وقف إطلاق النار. كان أمام المجلس مشروعان أحدهما من أمريكا والثاني من الاتحاد السوفيتي. أبلغت الجمهورية العربية مجلس الأمن بقبولها نداء المجلس بوقف إطلاق النار. وقرأ أوثانت أمام المجلس مذكرة حكومة الجمهورية العربية المتحدة. وكان قد تلقى المذكرة عقب تقديم المشروعين الأمريكي والسوفيتي ولم تنشر الصحف شيئاً عن المذكرة.

ولم تخل صحف ذلك الصباح عن عدد من البلاغات العسكرية التي صدرت في اليوم السابق وحتى الساعة الثالثة مساء وذلك قبل إبلاغ مجلس الأمن الموافقة على قرار وقف إطلاق النار ..

** البلاغ الأول صدر في الساعة السادسة صباحاً ونصه: تسربت من خلف موقع العريش بعض العناصر المدرعة للعدو، فتصدت لها قواتنا الجوية وقصفتها بوابل من الصواريخ وكبدت العدو خسائر فادحة في المعدات والأرواح.

** وفي الساعة العاشرة أذيع البلاغ الثاني ويقول:

حاولت قوات العدو المدرعة التي سبق لها التسرب خلف موقع العريش التقدم على الطريق الساحلي من شمال سيناء وتصدت لها قواتنا الجوية التي أوقفت تقدمها ثم دمرتها عن آخرها .. وما زالت المقاومة الباسلة لقواتنا مستمرة ببسالة منقطعة النظير داخل العريش نفسها، ويوجد الآن عدد من مدرعات العدو محصورة بين مدينة العريش والساحل.

وأضاف البلاغ قائلاً:

وفي الوقت الذي تدور فيه هذه المعركة، وفي تمام الساعة السابعة والنصف من صباح اليوم شوهدت ثلاث طائرات أمريكية بعلامات السلاح الجوي الأمريكي تمر فوق قناة السويس متجهة من الشمال إلى الجنوب وقد ميزتها قواتنا الموجودة على طول منطقة القناة وكانت هذه الطائرات تجري استكشافاً للقوات المدرعة الإسرائيلية التي دمرتها قواتنا على الطريق الشمالي.

** وفي الساعة الحادية عشرة و25 دقيقة أذيع البلاغ الثالث ونصه:

قامت طائرات العدو صباح اليوم بالإغارة على بعض المناطق في القاهرة وقد أسقط للعدو في هذه الغارات ست طائرات. كما قام العدو بغارة على منطقة القناة وأسقطت له فيها ثلاث طائرات ولم تحدث أي خسائر نتيجة لغارات العدو.

** والبلاغ الرابع أذيع في الساعة الثانية عشرة والنصف ويقول:

أسقطت تسع طائرات للعدو في الساعة الأخيرة وقد أسقطت سبع منها فوق منطقة البلاح وأسقطت طائرة ثامنة في منطقة أبو رواش وأسقطت الطائرة التاسعة في منطقة أبو زعبل.

** وفي الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخمسين أذيع البلاغ الخامس ونصه:

قامت طائراتنا بالتصدي لطائرات العدو التي حاولت مهاجمة بعض المناطق العسكرية في سيناء وقد أسقطت له طائرتان.

** وأذيع البلاغ السادس في الساعة الثانية وعشر دقائق ونصه:

عاود العدو نشاطه العدواني ضد قواتنا في المحور الشمالي وقد قامت قواتنا بضربه ودمرت له عشر دبابات وست عربات مدرعة كما تكبد العدو خسائر جسيمة في معداته وأفراده.

** وكان البلاغ السابع هو آخر البلاغات العسكرية التي أذيعت عن المعارك الوهمية والحقيقية .. أذيع البلاغ في الساعة الثالثة ويقول:

أثناء قيام دورية مشكلة من طائرتين من طراز سوخوي لمساعدة قواتنا في سيناء اعترضتها دورية من طائرات الميراج الإسرائيلية كانت تقوم بحراسة سرب من طائرات طراز كانبيرا البريطانية وحدث اشتباك جوي بين دوريتنا وطائرات الميراج وشاهد الطياران العربيان سرب الطائرات الكانبيرا متجهاً من موقع الاشتباك في سيناء إلى السويس، وفي خلال الاشتباك الجوي تم إسقاط طائرتي ميراج ولم تعد إحدى طائراتنا.

وقبل إذاعة موافقتنا على قرار وقف إطلاق النار .. أذيع بيان من القيادة العليا للقوات المسلحة قال:

"قاتلت قواتنا المسلحة اليوم وأمس معارك لم يسبق لها مثيل في عنفها وضراوتها وكانت قوات العدو معززة بغطاء جوي يفوق إلى حد كبير كل إمكانياتنا، ولقد أثبتت قواتنا في المعارك التي خاضتها اليوم مقدرة هائلة على التحمل والصمود في وجه عدو تدعمه بما لم يعد قابلاً لأي شك اثنتان من الدول الكبرى تحاولان إخفاء تواطئهما بأساليب خبيثة وإن كانت الوقائع والحوادث نفسها تكشفها .. وما زالت المعارك مستمرة على جميع مواقع الجبهة المصرية".

وكالمعتاد في ذلك الوقت فقد انفردت جريدة "الأهرام" بخبر نشر في صفحتها الأولى تحت عنوان "عبد الناصر يتحدث اليوم عن تطورات الأزمة" .. وكان نص الخبر .. علم مندوب الأهرام أن الرئيس جمال عبد الناصر سوف يتحدث بعد ظهر اليوم إلى شعب الجمهورية العربية المتحدة عن تطورات الأزمة..

* * *

9 يونيو 1967:

اليوم التاريخي .. في ذلك اليوم استيقظ الشعب على قرار

موافقة مصر على قرار إيقاف القتال .. تبدل الأمل بدخول إسرائيل وسحقها .. إلى ألم من الهزيمة .. الإحساس بالعزة .. أصبح شعوراً بالمهانة .. الرجال يبكون كالأطفال في الشوارع .. الكل لا يريد أن يصدق أننا هزمنا .. أن قائد البلاد أدخل في قلب كل منهم اليقين من النصر .. أن صوته في آخر مؤتمر صحفي وهو يسخر من ايدن ويقول "أنا مش خرع زيه" لا زال يدوي في آذانهم .. أن صوته وهو يقول قبل النكسة بيوم أنه ينتظر المعركة على أحر من الجمر لا يزال صداه في آذانهم .. ماذا حدث .. ولماذا الهزيمة .. أسئلة كانت على كل لسان .. والكل كان ينتظر البيان الذي أعلن القائد الملهم أنه سيذيعه في المساء وانفردت بنشره جريدة الأهرام .. شوارع القاهرة أشبه ما تكون خالية تماماً منذ الساعة السادسة مساء .. الكل لزم منزله في انتظار البيان .. والكل ينتظر من القائد الملهم أن يحول ألمه إلى أمل .. هزيمته إلى نصر .. دموعه إلى ابتسامات .. حزنه إلى فرح .. الكل يتساءل .. ماذا سيقول.. ماذا سيقدم .. الذين يصدقونه .. وهم ملايين لا يعرفونه .. يؤمنون أنه سيجد مخرجاً لآلامهم .. الذين لا يصدقونه لأنهم يعرفونه وهم قلائل يتوقعون أنه سيفاجئ الجميع بإحدى الألاعيب التي تعيد إليه ثقة الشعب فيه .. وتنسى الهزيمة.

وجاء بيان القائد الملهم على جميع محطات الإذاعة .. ونقلته شاشة التليفزيون .. أذاع البيان من مكتبه .. وظهرت صورته على الشاشة الصغيرة .. وكان يبدو عليه كل الألم .. نبرات صوته فيها انكسار وذلة تستدر العطف .. والشعب المصري شعب معروف بعاطفيته .. ينسى في لحظة كل مآسيه ويحاول أن يجفف دموع الغير ..

بيان التنحي:

وفيما يلي نص البيان:

أيها الإخوة:

لقد تعودنا معاً في أوقات النصر وفي أوقات المحنة .. في الساعات الحلوة .. وفي الساعات المرة أن نجلس معاً .. وأن نتحدث بقلوب مفتوحة وأن نتصارح بالحقائق .. مؤمنين أنه عن هذا الطريق وحده نستطيع دائماً أن نجد اتجاهنا السليم مهما كانت الظروف عصيبة .. ومهما كان الضوء خافتاً..

ولا تستطيع أن نخف يعلى أنفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الأيام الأخيرة .. لكني واثق أننا جميعاً نستطيع – وفي مدة قصيرة –

أن نجتاز موقفنا الصعب وإن كنا نحتاج في ذلك إلى كثير من الصبر والحكمة والشجاعة الأدبية ومقدرة العمل المتفانية.

لكننا أيها الإخوة نحتاج قبل ذلك إلى نظرة على ما وقع لكي نتتبع التطورات وخط سيرها في وصولها إلى ما وصلت إليه .. أننا نعرف جميعاً كيف بدأت الأزمة في الشرق الأوسط .. في النصف الأول من مايو الماضي .. كانت هناك خطة من العدو لغزو سوريا وكانت تصريحات ساسته وقادته العسكريين كلها تقول بذلك صراحة.. وكانت الأدلة متوافرة على وجود التدبير.

كانت مصادر إخواننا السوريين قاطعة في ذلك .. وكانت معلوماتنا الوثيقة تؤكده بل وقام أصدقاؤنا في الاتحاد السوفييتي بإخطار الوفد البرلماني الذي كان يزور موسكو في مطلع الشهر الماضي بأن هناك قصداً مبيتاً ضد سوريا .. ولقد وجدنا واجباً علينا ألا نقبل ذلك ساكتين .. وفضلاً عن أن ذلك واجب الإخوة العربية .. فهو أيضاً واجب الأمن الوطني .. فإن البادئ بسوريا سوف يثني بمصر ..

ولقد تحركت قواتنا المسلحة إلى حدودنا بكفاءة شهد بها العدو قبل الصديق .. وتداعت من أثر ذلك خطوات عديدة منها انسحاب قوات الطوارئ الدولية .. ثم عودة قواتنا إلى موقع شرم الشيخ المتحكم في مضايق التيران والتي كان العدو الإسرائيلي يستعملها كأثر من آثار العدوان الذي وقع علينا 1956.

ولقد كان مرور علم العدو أمام قواتنا ألماً لا يحتمل .. فضلاً عن دواع أخرى تتصل بأعز أماني الأمة العربية .. ولقد كانت الحسابات الدقيقة لقوة العدو تظهر أمامنا أن قواتنا المسلحة بما بلغته من مستوى في المعدات والتدريب قادرة على رده وعلى ردعه .. وكنا ندرك أن احتمال الصراع بالقوة المسلحة قائم .. وقبلنا المخاطرة..

وكانت أمامنا عوامل عديدة وطنية وعربية .. ودولية .. بينها رسالة من الرئيس الأمريكي ليندون جونسون سلمت إلى سفيرنا في واشنطون يوم 26 مايو تطلب إلينا ضبط النفس وألا نكون البادئين بإطلاق النار .. وإلا فإننا سوف نواجه نتائج خطيرة..

وفي نفس الليلة فإن السفير السوفيتي طلب مقابلتي بصفة عاجلة في الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليل .. وأبلغني بطلب ملح من الحكومة السوفيتية ألا نكون البادئين بإطلاق النار.

وفي صباح يوم الإثنين الماضي .. الخامس من يونية .. جاءت

ضربة العدو .. وإذا كنا نقول الآن بأنها جاءت بأكثر مما توقعناه .. فلابد أن نقول في نفس الوقت وبثقة أكيدة أنها جاءت بأكبر مما يملكه مما أوضح منذ اللحظة الأولى أن هناك قوى أخرى وراء العدو جاءت لتصفي حساباتها مع حركة القومية العربية.

ولقد كانت هناك مفاجآت تلفت النظر:

أولها- أن العدو الذي كنا نتوقعه من الشرق ومن الشمال جاء من الغرب.. الأمر الذي يقطع بأن هناك تسهيلات تفوق مقدرته وتتعدى المدى المحسوب لقوته قد أعطيت له ..

وثانياً – فإن العدو غطى في وقت واحد جميع المطارات العسكرية والمدنية في الجمهورية العربية المتحدة .. ومعنى ذلك أنه كان يعتمد على قوة أخرى غير قوته العادية لحماية أجوائه من أي رد فعل من جانبنا .. كما أنه كان يترك بقية الجبهات العربية لمعاونات أخرى استطاع أن يحصل عليها.

وثالثاً- فإن الدلائل واضحة على وجود تواطؤ استعماري معه .. يحاول أن يستفيد من عبرة التواطؤ المكشوف السابق سنة 1956 فيغطي نفسه هذه المرة بلؤم وخبث .. ومع ذلك فالثابت الآن أن حاملات طائرات أمريكية وبريطانية كانت بقرب شواطئ العدو تساعد مجهوده الحربي .. كما أن طائرات بريطانية أغارت في وضح النهار على بعض المواقع في الجبهة السورية وفي الجبهة المصرية .. إلى جانب قيام عدد من الطائرات الأمريكية بعمليات الاستطلاع فوق بعض مواقعنا.

ولقد كانت النتيجة المحققة لذلك أن قواتنا البرية التي كانت تحارب أكثر المعارك عنفاً وبسالة في الصحراء المكشوفة .. وجدت نفسها في الموقف الصعب .. لأن الغطاء الجوي فوقها لم يكن كافياً إزاء تفوق حاسم في القوى الجوية المعادية بحيث إنه يمكن القول بغير أن يكون في ذلك أي أثر للانفعال أو المبالغة .. أن العدو كان يعمل بقوة جوية تزيد ثلاث مرات على قوته العادية.

ولقد كان هذا هو ما واجهته أيضاً قوات الجيش العربي الأردني التي قاتلت معركة باسلة بقيادة الملك حسين .. الذي أقول للحق وللأمانة.. أنه اتخذ موقفاً ممتازاً. . وأعترف بأن قلبي كان ينزف مواقع الضفة الغربية في ليلة حشد فيها العدو قواه المتآمرة ما لا يقل عن أربعمائة طائرة للعمل فوق الجبهة الأردنية.

ولقد كانت هناك جهود رائعة وشريفة ..
لقد أعطى الشعب الجزائري وقائده الكبير هواري بومدين .. بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة ..
وأعطى شعب العراق ..وقائده المخلص .. عبد الرحمن عارف .. بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة..
وقاتل الجيش السوري قتالاً بطولياً .. معززاً بقوى الشعب السوري العظيم وبقيادة حكومته الوطنية.
واتخذت شعوب وحكومات السودان والكويت واليمن ولبنان وتونس والمغرب مواقف مشرفة.
ووقفت شعوب الأمة العربية جميعاً بغير استثناء .. على طول امتداد الوطن العربي موقف الرجولة والعزة .. موقف التصميم ..
موقف الإصرار على أن الحق العربي لن يضيع ولن يهون .. أو أن الحرب دفاعاً عنه ممتدة مهما كانت التضحيات والنكسات على طريق النصر الحتمي الأكيد ..
وكانت هناك أمم عظيمة .. خارج العالم العربي .. قدمت لنا ما لا يمكن تقديره من تأييدها المعنوي.
لكن المؤامرة .. ولابد أن نقول ذلك بشجاعة الرجال .. كانت أكبر وأعتى . ولقد كان تركيز العدو الأساسي على الجبهة المصرية .. التي دفع عليها بكل قوته الرئيسية من المدرعات والمشاة معززة بتفوق جوي رسمت لكم من قبل صورة لإبعاده .. ولم تكن طبيعة الصحراء تسمح بدفاع كامل خصوصاً مع التفوق المعادي في الجو ..
ولقد أدركت أن تطور المعركة المسلحة قد لا يكون مواتياً لنا .. وحاولت مع غيري أن نستخدم كل مصادر القوة العربية .. ولقد دخل البترول العربي ليؤدي دوره .. ودخلت قناة السويس لتؤدي دورها .. وما زال هناك دور كبير مطلوب من العمل العربي العام .. وكلي ثقة في أنه سوف يستطيع أداءه ..
ولقد اضطرت قواتنا المسلحة في سيناء إلى إخلاء خط الدفاع الأول وحاربت معارك رهيبة بالدبابات والطائرات على خط الدفاع الثاني .. ثم استجبنا لقرار وقف إطلاق النار أمام تأكيدات وردت في مشروع القرار السوفييتي الأخير المقدم إلى مجلس الأمن .. وأمام تصريحات فرنسية بأن أحداً لا يستطيع تحقيق أي توسع إقليمي على أساس العدوان الأخير .. وأمام رأي عام دولي .. خصوصاً في آسيا وأفريقيا .. يرى موقفنا ويشعر ببشاعة قوى السيطرة العالمية التي انقضت علينا.

وأمامنا الآن عدة مهام عاجلة:

المهمة الأولى أن نزيل آثار هذا العدوان علينا .. وأن نقف مع الأمة العربية موقف الصلابة والصمود .. وبرغم النكسة فإن الأمة العربية بكل طاقاتها وإمكانياتها قادرة على أن تصر على إزالة آثار العدوان والمهمة الثانية أن ندرك درس النكسة .. وهناك في هذا الصدد ثلاث حقائق حيوية ..

واحد – أن القضاء على الاستعمار في العالم العربي يترك إسرائيل بقواها الذاتية .. ومهما كانت الظروف .. ومهما طال المدى .. فإن القوى الذاتية العربية أكبر وأقدر على الفعل.

اثنين – أن إعادة توجيه المصالح العربية في خدمة الحق العربي ضمان أولى .. فإن الأسطول الأمريكي السادس كان يتحرك ببترول عربي .. وهناك قواعد عربية وضعت قسراً وبرغم إرادة الشعوب في خدمة العدوان.

ثلاثة – أن الأمر الآن يقتضي كلمة موحدة تسمع من الأمة العربية كلها .. وذلك ضمان لا بديل له في هذه الظروف.

نصل الآن إلى نقطة هامة في هذه المكاشفة بسؤال أنفسنا .. هل معنى ذلك أننا لا نتحمل مسئولية في تبعات هذه النكسة؟

وأقول لكم بصدق – وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفي في الأزمة – فإنني على استعداد لتحمل المسئولية كلها – ولقد اتخذت قراراً أريدكم جميعاً أن تساعدوني عليه .. لقد قررت أن أتنحى تماماً ونهائياً عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي .. وأن أعود إلى صفوف الجماهير أؤدي واجبي معها كأي مواطن آخر .. أن قوى الاستعمار تتصور أن جمال عبد الناصر هو عدوها .. وأريد أن يكون واضحاً أمامهم أنها الأمة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر .. والقوى المعادية لحركة القومية العربية تحاول تصويرها دائماً بأنها إمبراطورية لعبد الناصر . . وليس ذلك صحيحاً .. لأن أمل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبد الناصر وسوف يبقى بعد جمال عبد الناصر.

ولقد كنت أقول لكم دائماً أن الأمة هي الباقية وأن أي فرد مهما كان دوره .. ومهما بلغ إسهامه في قضايا وطنه هو أداة لإرادة شعبية وليس هو صانع هذه الإرادة الشعبية..

وتطبيقاً لنص المادة 110 من الدستور المؤقت الصادر في شهر مارس سنة 1964 فلقد كلفت زميلي وصديقي وأخي زكريا محيي الدين بأن يتولى منصب رئيس الجمهورية .. وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقررة.

وبعد هذا القرار فإنني أضع كل ما عندي تحت طلبه وفي خدمة الظروف التي يجتازها شعبنا، أنني بذلك لا أصفي الثورة .. لأن الثورة ليست حكراً على جيل واحد – من الثوار .. وأني لأعتز بإسهام هذا الجيل من الثوار .. لقد حقق جلاء الاستعمار البريطاني وحقق استقلال مصر .. وحدد شخصيتها العربية.. وحارب سياسة مناطق النفوذ في العالم العربي .. وقاد الثورة الاجتماعية .. وأحدث تحولاً عميقاً في الواقع المصري .. أكد تحقيق سيطرة الشعب على موارد ثروته .. وعلى ناتج العمل الوطني .. واسترد قناة السويس.. ووضع أسس الانطلاق الصناعي في مصر .. وبنى السد العالي ليغرس الحضرة الخصبة على الصحراء المجدبة .. ومد شبكات الكهرباء المحركة فوق وادي النيل الشمالي كله .. وفجر موارد البترول بعد انتظار طويل .. وأهم من ذلك وضع على قيادة العمل السياسي .. تحالف قوى الشعب العاملة .. الذي هو المصدر الدائم لقيادات متجددة تحمل أعلام النضال الوطني والقومي مرحلة بعد مرحلة .. وتبنى الاشتراكية وتحقق وتنتصر.

أن ثقتي غير محدودة بهذا التحالف القائد للعمل الوطني، للفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية .. أن وحدته وتماسكه والتفاعل الخلاق داخل إطار هذه الوحدة قادر على أن يصنع – بالعمل وبالعمل الجاد وبالعمل الشاق كما قلت أكثر من مرة – معجزات ضخمة في هذا البلد ليكون قوة لنفسه ولأمته العربية ولحركة الثورة الوطنية وللسلام العالمي القائم على العدل.

أن التضحيات التي بذلها شعبنا وروحه المتوقدة خلال فترة الأزمة والبطولات المجيدة التي كتبها الضباط والجنود من قواتنا المسلحة بدمائهم سوف تبقى شعلة ضوء ولا تنطفئ في تاريخنا وإلهاماً عظيماً للمستقبل وآماله الكبار .. لقد كان الشعب رائعاً كعادته .. أصيلاً كطبيعته .. مؤمناً صادقاً مخلصاً .. وكان أفراد قواتنا المسلحة نموذجاً مشرفاً للإنسان العربي في كل زمان ومكان .. لقد دافعوا عن حبات الرمال في الصحراء إلى آخر قطرة من دمهم .. وكانوا في الجو – وبرغم التفوق المعادي – أساطير للبذل والفداء وللإقدام وللاندفاع الشريف إلى أداء الواجب أنبل ما يكون أداؤه .. أن هذه ساعة للعمل وليست ساعة للحزن .. أنه موقف للمثل العليا وليس لأية أنانيات أو مشاعر ودية .. أن قلبي كله معكم وأريد أن تكون قلوبكم كلها معي وليكن الله معنا جميعاً أملاً في قلوبنا وضياء وهدى.

وقبل أن ينتهي عبد الناصر من إلقاء بيانه وبمجرد أن نطق بقرار

تنحيه خرجت الجماهير من مختلف أنحاء القاهرة تردد هتافات واحدة لا تتغير .. في مصر الجديدة وفي المعادي وحلوان .. في السيدة زينب وفي الساحل .. في الجيزة وفي شبرا .. وفي أسوان وفي مرسى مطروح .. هتافات موحدة نصها "لا نريد إلا أنت يا جمال .. لا رئيس إلا أنت يا ناصر"..

وفي دقائق كانت عشرات الألوف تحيط بمنزل عبد الناصر .. وأعلن في الساعة الحادية عشرة مساء أنه سيتوجه في الصباح .. 10 يونيو إلى مجلس الأمة .. وزحفت الملايين من الأقاليم إلى مجلس الأمة .. وأعلن عبد الناصر في رسالة موجهة إلى أنور السادات رئيس مجلس الأمة عدم استطاعته الحضور لازدحام الشوارع بحيث تعذر عليه المرور .. وقبوله الخضوع لرغبة الجماهير !!.

وقبل إذاعة بيانه سارع زكريا محيي الدين وأعلن بيانه بأنه فوجئ بقرار عبد الناصر باختياره دون علمه ورفضه هذا القرار وتمسكه ببقاء عبد الناصر ليقود المسيرة كما قادها منذ عام 1952.

مسرحية 9 و10 يونيو:

- وفي أوراق المرحوم الدكتور رشوان فهمي وجدت قصاصة من الورق مليئة بخطه الكبير.. نابضة بحسه .. ويبدو أنه كتبها بعد أن سمع البيان .. تقول الورقة:

- "مسكين هذا الشعب العظيم .. هذا الشعب فيه من الأصالة والطيبة ما ليس في كل شعوب العالم .. دائماً يقع ضحية المغررين به .. سيأتي اليوم ليعرف هذا الشعب الحقيقة .. سيأتي اليوم الذي يعرف كيف كان ضحية لمسرحية متقنة الإخراج .. سيأتي اليوم الذي يعرف فيه أن عبد الناصر عندما كان يعلن قرار تنحيته كان يعلم علم اليقين أنه سيبقى وسيكون أقوى مما كان .. أن التاريخ سيجد من يكتب بجرأة عن مسرحية 9 يونيو التي شهدتها بنفسي وشاركني في مشاهدتها كل من حسن إبراهيم وعبد اللطيف البغدادي الإثنان من أخلص أبناء مصر .. ولكنه الشعب الطيب .. الشعب الساذج..

وفي لقائي مع حسن إبراهيم دار حديث الذكريات عن المرحوم الدكتور رشوان فهمي .. وأثرت موضوع 9 يونيو وبيان تنحى عبد الناصر وما كتبه رشوان فهمي .. فقال لي حسن إبراهيم:

- حقيقة كانت مسرحية!

ثم صمت لحظات ونظر إلي وقال:

- إنك ستحبني إلى كلام لا أريد أن أقوله .. إنني لا أريد أن أهاجم أحداً..

وقلت له:

- أن القصاصة التي تركها المرحوم الدكتور رشوان فهمي تحمل معنى أنك شاهد على مسرحية .. فما هي فصولها؟!

وابتسم حسن إبراهيم وعاد يكرر:

- حقيقة كانت مسرحية..!

وأشار إلى الحديقة .. خارج الغرفة التي كنا جالسين فيها وقال:

- كنت جالساً في هذه الحديقة ومعي الأخ البغدادي والمرحوم الدكتور رشوان ننتظر سماع بيان عبد الناصر وأمامنا جهاز التليفزيون .. دار التساؤل بيننا عما سيقوله.

قال رشوان:

- لابد أنه سيقول أن المعركة كانت مع أمريكا وانجلترا وليست مع إسرائيل فقط. ولذلك انهزمنا ويعد الشعب بنصر كبير في وقت قريب.. وسيصدقه الشعب كالعادة ..

وقال البغدادي:

- أعتقد أنه سيعلن تنحيه عن الحكم لأنه فشل .. سيعلنه بطريقة درامية تدفع الجماهير إلى التمسك به.

وتساءلت:

- إذا تنحى فمن سيخلفه؟

وبينما نحن جالسين نتحدث وصلت إلى أسماعنا أصوات جماهير تتحرك .. تهتف ((عبد الناصر .. عبد الناصر)).. ولم يكن البيان قد أذيع بعد .. وأرسلت السائق لاستطلاع الأمر وعاد وأبلغنا أن لوريات تحمل المئات من الشباب تنزلهم في فناء مدرسة مصر الجديدة الثانوية على مسافة مائتي متر من منزلي ..

وبدأ عبد الناصر يذيع بيانه .. وعندما جاءت فقرة قراره بالتنحي والتخلي عن منصبه لزكريا محيي الدين فوجئنا بأصوات الهتافات .. والمئات الذين كانوا متجمعين في فناء مدرسة مصر الجديدة الثانوية يخرجون راكضين متجهين ناحية منشية البكري .. حيث منزل الرئيس ..

وصمت حسن إبراهيم لحظة قبل أن يستأنف حديثه، ثم قال:

- لقد رسمها بذكاء شديد .. وعادة من يدرس سيكولوجية الجماهير يعرف أن الجماهير عندما تجتاز محنة من المحن .. وتختلط في أذهانها الأمور ..فإنها لا تعرف ماذا تفعل .. ولذلك فهي تندفع وراء مفجر يفجرها ويوجهها الوجهة التي يريدها .. واستغل عبد الناصر شعور الناس في ذلك اليوم .. أعد لهم المفجر ممثلاً في بضع مئات من الشباب وزعهم على مختلف أنحاء القاهرة .. وحددت لهم ساعة الصفر للتحرك وهي لحظة إعلانه تنحيه عن الحكم بهتافات معينة .. وبطبيعة الحال ستندفع خلفهم بقية الجماهير .. وهذا هو الذي حدث مساء 9 يونيو..

ووجدتني أسأله:

- ولماذا أعلن في بيانه اختياره زكريا محيي الدين ليخلفه في رئاسة الجمهورية؟

وأجاب ضاحكاً:

- الله يرحمه كان شديد الذكاء .. واختياره زكريا بالذات يدل على شدة الذكاء فهو استخدمه في أكثر من غرض من قبل .. عينه رئيس وزراء حتى يرفع الأسعار للضروريات من السلع .. فهو كان يخشى حب الناس له وكان لا يستريح إليه .. كان دائماً يريد أن ((يحرقه)) ولذلك فهو اختاره لهذا السبب فاسم زكريا مرتبط في أذهان الناس بارتفاع أسعار الضروريات .. بالإضافة إلى أن عبد الناصر كان قد أدرك أن أمريكا هي القوة الحقيقية والروس يساعدون ولكن بقدر .. واختياره زكريا وهو معروف بعدائه للشيوعية سيجعل الأمريكان تضغط على إسرائيل لتنسحب من سيناء .. أما إذا نجحت خطته وأعادته الجماهير إلى رئاسة الجمهورية كما أعد المسرحية فإنه يستطيع أن يحصل من السوفييت على كل شيء ليعوض الخسائر في السلاح .. وإلا فإن زكريا سيكون هو الرئيس القادم .. وسيستجيب السوفيت بطبيعة الحال لكل ما يطلبه حتى يضمنوا إبعاد زكريا عن الحكم .. وهو في الحالتين كان يفكر في مصلحة مصر لتحرير ما احتل من أراضيها ..

البغدادي يروي القصة:

- وروى لي عبد اللطيف البغدادي نفس الرواية .. لم يكذب حرفاً واحداً منها .. أضاف أنه بعد انتهائه من سماع البيان

مباشرة خرج مع حسن إبراهيم والمرحوم الدكتور رشوان وتوجهوا إلى منزل عبد الناصر ويبعد مسافة تقطعها السيارة في ثلاث دقائق فقط .. وهالهم الآلاف التي تجمعت أمام المنزل وسدت منافذ الشوارع ..

وصمت لحظة .. ثم استأنف حديثه معي قائلاً:

-أنني بعد ذلك بسنوات .. وأثناء لقائي مع عبد الناصر في سنة 1970 قلت له .. أنني كنت سمعت أنك وعبد الحكيم يوم 8 يونيو اتفقتما على الاستقالة واختيار شمس بدران ليخلفك كرئيس جمهورية .. وقد أشرت إلى ذلك في بيان التنحي بعد إعلان اختيارك زكريا بقولك ((أنني بذلك لا أصفي الثورة .. ولكن الثورة ليست حكراً على جيل واحد من الثوار)).. وزكريا من جيلنا .. أما شمس فهو من الصف الثاني .. فلماذا قلت اسم زكريا محيي الدين ..

وابتسم الله يرحمه وقال:

- حقيقة أننا في مساء 8 يونيو اتفقنا على ذلك ولكنني وأنا ألقي البيان وجدت أن الأصوب اختيار زكريا لأن علاقته بالأمريكان طيبة ويمكن يقدر يحل المشكلة .. وقد حدث أثناء اجتماعنا أنا وعبد الحكيم وشمس بعد انصرافكم نبحث ماذا نفعل أن قال شمس:

- ما ييجي البغدادي وكمال حسين وحسن إبراهيم ليشتركوا في الحل ..

فأنا قلت له:

- لأ .. نخليهم احتياطي..

وأضاف البغدادي يروي لي:

- وقلت لعبد الناصر أنني سمعت أن عبد الحكيم عامر ضرب بقدمه الترابيزة .. التي أمامه وهو يسمع بيانك وتنحيك واختيارك زكريا ولم تشر لاستقالته معك ..

فقال لي ((الله يرحمه)):

- أنا لم أسمع بذلك .. ولكن الذي حدث .. وربما إذا كنت تتذكر أثناء القائي البيان .. وكان هيكل هو الذي كتبه .. أن صورتي اختفت اللحظات .. في تلك اللحظات قدم لي محمد أحمد ورقة تتضمن أن عبد الحكيم في طريقه لمبنى الإذاعة ليذيع بياناً هو الآخر .. فأنا أشرت له بأن يمنعوه .. وفعلاً لم يحضر عبد الحكيم للإذاعة..

وللتاريخ .. فقد استكملت هذه الرواية من العقيد بالمعاش محمد محمد عبد الرحمن السكرتير الصحفي للمشير عامر .. والذي كان لا يفارقه في ذلك الوقت .. فقال لي:

- فعلاً .. ثار المشير عامر وقرر التوجه للإذاعة ليقدم بياناً باستقالته .. وكنا في منزله بالحلمية .. الفريق أول فوزي وشمس بدران وأنا وعقيد الشرطة أبو طالب حرسه الخاص .. ولم يكمل سماع البيان وتوجه إلى سيارته واستقلها وأراد الفريق أول فوزي أن يرافقه فرفض .. وركب معه شمس وأنا وأبو طالب .. وفي الطريق بحثنا احتمال منعه وأقنعناه بعدم التوجه للإذاعة والاكتفاء بإرسال استقالته لإذاعتها .. فاقتنع وذهبنا إلى منزل شمس بدران بالزمالك حيث استدعى محمود طنطاوي مدير مكتبه وسلمه الاستقالة وطلب منه التوجه إلى الإذاعة – لإذاعتها .. وعاد طنطاوي وأبلغه أنهم رفضوا ذلك .. فاتصلت بوكالات الأنباء وأمليتها نبأ الاستقالة .. وبعد خمس دقائق كان نبأ استقالة المشير أذيع من الوكالات .. فوافق عبد الناصر على إذاعته في الإذاعة .. وكان النبأ في ستة سطور ونصه:

قرر المشير عبد الحكيم عامر اعتزال جميع مناصبه ابتداء من الساعة السابعة والنصف مساء اليوم. وقد نشر النبأ على عمود واحد طبقاً لتعليمات عبد الناصر في جميع الصحف وفي الصفحة الأخيرة في اليوم التالي 10 يونيو ..

ويعود عبد اللطيف البغدادي إلى حديث الذكريات الأليمة أيام النكسة فيقول:

- عاد عبد الناصر إلى الحكم .. وأصدر قراراً بتغيير قيادات الجيش .. ثم قرار بتشكيل وزارة يرأسها بنفسه وجعل زكريا محيي الدين نائباً له بدون اختصاصات .. وبعد إعلانه تشكيل الوزارة بيوم أو بيومين كنت جالساً في منزلي وفوجئت بمصطفى نجل الأخ كمال حسين يتصل بي تليفونياً ويقول لي:

- باباً عايزك ضروري تروح له..

وسألته:

- هو بابا فين؟ ..

فأجاب:

- في البيت وأنا بأكلمك من بره ..

وقلت له:

- ليه .. هو تليفونكم عطلان؟..

فأجاب:

- لا .. هو طلب مني أكلمك من برة علشان عارف أن تليفونا مراقب ..

وابتسم البغدادي وأكمل الرواية قائلاً:

- وقلت له طيب .. ويبدو أن كمال نسي أن تليفوني أنا كمان كان مراقب .. واتصلت به فقال لي أنه يريدني فوراً .. وحاولت أن أعتذر له لوجود ضيوف في منزلي فقال لي أنه سينتظرني أمر عليه بعد خروجهم.

وفعلاً ذهبت إليه حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر .. وأبلغني أن عبد الناصر اتصل به في الساعة التاسعة صباحاً .. قال له يا كمال اليهود حيدخلوا القاهرة خلال أسبوع ومفيش ولا مدفع يحميها وعايزك تمسك المقاومة الشعبية وتعالى أشوفك النهارده الساعة 7؟

وسألني كمال الدين حسين:

- إيه رأيك!

فقلت له:

- أنت شعورك إيه .. عايز تقبل وألا تفرض..

وقال لي:

- أنا ما أقدرش أرفض .. الواجب يقتضيني أني أقبل لحماية بلدي ..

فقلت له:

- حاتقدر تعمل إيه .. ما زكريا كان ماسكها .. حتقدر تعمل أكثر منه .؟.

وقال لي كمال حسين:

- ده زانقني وعايزني الساعة السابعة وعايز أعرف إيه رأيك؟

فأجبته:

- أنا في شعوري أنه وصلته تقارير رأي عام تتضمن خيبة أمل الناس في التشكيل الوزاري الجديد .. وأن الناس كانت منتظرة أن يلم شمل مجلس الثورة لمواجهة المشاكل .. وأنا أعتقد أنه غير جاد في عرضه عليك المقاومة الشعبية .. هو يتصور إنك سترفض

فيقول للناس أنه حاول إشراكنا معاه ولكننا رفضنا .. وإذا كنت حتوافق فيخلي حكاية المقاومة الشعبية شكلية والناس ستشعر بعدم جديتها وتقع المسئولية عليك ويحرقك بهذه الطريقة أمام الناس ..

وسألني كمال:

- طيب أعمل إيه؟

فقلت له:

- أذهب في الموعد .. ولا تعلنه إنك موافق أو غير موافق .. ادخل معاه في مناقشة عن اعطاء الحريات للشعب وإشعاره بالأمن والاستقرار .. وشوف رأيه إيه؟

وقال لي كمال حسين:

- أنا با أفكر نذهب إلى جمال سالم ونشوف رأيه إيه أيضاً.. وفعلاً ذهبنا إلى منزل المرحوم جمال سالم وكان يتناول طعام غذائه .. وتناقشنا في الموضوع .. وأيد جمال سالم وجهة نظري .. وانصرفنا وعدت إلى منزلي على اتفاق أن يحضر لي كمال حسين بعد انتهاء مقابلته ..

وفوجئت في حوالي الساعة الثامنة إلا ربعاً مساء بحضور كمال حسين وعلى ملامحه الضيق والغضب وروى لي ما تم في المقابلة .. وأعتقد أن السيد كمال حسين يستطيع أن يعطيك الصورة الكاملة لما تم في تلك المقابلة..

كمال حسين يتكلم:

وكان كمال حسين حاضراً جلستنا في شرفة كابينة البغدادي .. كان يتابع حديثه وقد وضع فوق عينيه نظارة سوداء .. وفوق صدره منديل .. وفي يده منديل يجفف به العرق.

وقال لي:

- أنا دائماً أعرق كثيراً ..

(ثم تحدث عن تفاصيل تلك المقابلة .. قال ..

- ذهبت إلى عبد الناصر في الموعد .. رحب بي بشدة ثم سألني:

- هيه يا أبو كمال تمسك إنت المقاومة الشعبية زي ما كنت ماسكها أيام العدوان الثلاثي في منطقة القناة.

ورددت عليه:

- انت عايز مقاومة شعبية حقيقية ولا مقاومة تنشر صورها وأخبارها في الصحف فقط.. احنا تحدثنا عن هذا الموضوع في مقابلتنا الماضية .. وكنت بعد النكسة مباشرة قد طلبت مقابلته وتحدثت معه لمدة ثلاثة ساعات فيما يجب أن يكون لتعبر النكسة وطلب مني أن أكتب له في تقرير ما آراه واعداً أنه سينفذه .. وكتبت له تقريراً من 15 صفحة ظللت ساهراً طول الليل في كتابته وأرسلته إليه في الصباح التالي:

وسألته:

هل قرأت التقرير الذي بعثته لك في صبيحة المقابلة الماضية؟

فأجاب:

لا والله .. كنت مشغول جداً .. وتقدر دلوقت تلخصه لي تاني.

وقلت له:

أنني محتفظ بنسخة منه معي .. أخرجتها وأخذت أتلو له ما تضمنه وكان يتلخص في أن مفتاح الموقف في يد أمريكا وليس في يد الاتحاد السوفيتي وأنه يجب أن نحسن موقفنا معها وذلك بالنسبة للسياسة الخارجية الأجنبية .. وبالنسبة للسياسة العربية فيجب أن ننسى الماضي ونمد أيدينا لدول البترول دول الخليج والسعودية وإيران .. نلم شمل العرب كلهم حتى يستخدموا سلاح البترول في الضغط على أمريكا، كما قلت له أن مصر في حاجة إلى أبنائها المقاتلين في اليمن ويجب أن ننسحب من اليمن.

فقاطعني قائلاً:

ونسيبها للبدر؟

فقلت له:

مصر أحق بأبنائها للدفاع عنها.

فصمت .. واستأنفت كلامي عن ما يجب بالنسبة للسياسة الداخلية .. قلت له أن يجب أن يشعر الشعب بالأمان .. بالحرية .. بالديمقراطية .. فاليد الخائفة لا يمكنها أن تمسك بندقية .. وأنه بتوافر ذلك للشعب يمكن أن ننشئ مقاومة شعبية حقيقية.

وقاطعني قائلاً:
- دوختني يا كمال .. انت موافق تمسك المقاومة الشعبية والا لأ؟
فقلت له:
- يا ريس احنا نتعامل مع ربنا ودي بلدنا مصر ..
وقال لي:
- اخص عليك أنت زعلت ؟! هو انت قابلت بغدادي؟
فأجبته:
- أيوه وجمال سالم ولكن الكلام ده أنا قلته لك في المقابلة الماضية ..
وانتهت المقابلة .. وتوجهت إلى منزل البغدادي .. وفي صباح اليوم التالي نشرت الصحف نبأ تعيين عبد المحسن أبو النور قائداً لقوات المقاومة الشعبية**!!**

الباب السابع

* حياة الدكتور رشوان فهمي.
* مواقفه مع عبد الناصر.
* مواقفه مع قضايا الحرية.
* خطابه يوم عودته للجامعة.
* مواقفه من الطلاب.

عاشق الحرية

رحمه الله رحمة واسعة.

كان عاشقاً للحرية.

كان أستاذا عالماً .. مفكراً حراً .. رائداً أميناً نزيهاً .. متخطياً القيود والحواجز .. مستعلياً على الخطوب والشدائد .. متحدياً الوعيد والتهديد، وتلك هي شيمة الأحرار الذين لا تلين لهم قناة ولا يخشون في الحق لومة لائم..

لسانه دائماً كان ينطق بمشاعره .. كانت كلماته زفرة تنفيس لا شهقة تنفس .. انطلاق شعور وليس شعوراً بالانطلاق .. ممارسة لقول الحق وليست حق القول .. تمهيد وتوطئة لتطبيق مبدأ سيادة الحق لا حق السيادة .. دعوة على قوة القانون لا قانون القوة .. مناداة لما يجب أن يكون عليه حق المعارضة لا معارضة الحق .. إعلاء لما ينبغي أن تكون عليه عدالة الحكم لا شهوة السلطة .. تأييد لحكم الجماعة وليست فردية الحاكم مناداة لسياسة الفرد لا فردية السيادة والسلطة.

هذا هو المرحوم الدكتور رشوان فهمي .. الذي يرجع إليه الفضل في هذا الكتاب .. نذر حياته من أجل مصر وأبناء مصر .. وتعرض في سبيل دفاعه عن الحق للكثير والكثير .. ومات وترك في قلب كل حر حسرة .. وفي عين كل مخلص دمعة.

ولد الدكتور رشوان فهمي يوم 11 مارس سنة 1911 .. وتخرج من كلية الطب سنة 1936 وحصل على زمالة كلية الجراحين بأدنبرة عام 1949 .. بدأ حياته العملية طبيباً في وزارة الصحة سنة 1937 ثم معيداً بقسم طب العيون بطب الإسكندرية فمدرساً .. فأستاذاً مساعداً .. فأستاذاً حتى أغسطس سنة 1966 عندما أصدر جمال عبد الناصر قراراً بفصله من وظيفته وشطبه من الاتحاد الاشتراكي وعزله من منصب نقيب الأطباء وفرض الحراسة عليه .. وكل ذلك لأنه قال كلمة حق لم تعجب عبد الناصر .. وبقي محتفظاً بكرامته .. يرفض أن ينحني للحاكم .. وذهب الحاكم وجاء السادات وعادت له كل حقوقه بحكم القضاء وبقرار من السادات.

ويعتبر الدكتور رشوان واحداً من القلائل الذين نذروا حياتهم من أجل الدفاع عن الحريات .. ومنذ شبابه وهو يدافع عن حرية بلاده من الاحتلال البريطاني وفساد الأحزاب .. كان منزل والده الدكتور مصطفى فهمي مواجهاً لبتي الأمة .. وراقب رشوان في صباه المظاهرات وهي تحيط بمنزل زعيم الأمة .. شاهد رصاص الإنجليز وه يصيب المواطنين في صدورهم .. وأحب مصر .. وأحب سعد زغلول .. وعندما التحق بكلية الطب كان من شبابها الثائرين.

ويروي الدكتور نور الدين طراف ذكرياته مع الدكتور رشوان فهمي .. فقد تزامل الإثنان في الدراسة والكفاح .. وظلت تربطهما الصداقة وحب مصر حتى فارق رشوان الحياة فجأة في شهر يونيو عام 1975 .. قال الدكتور طراف يصف رشوان فهمي أيام شبابه:

رشوان كانت فيه الميزة التي نفتقدها في أغلب شبابنا وهي الميل الحقيقي والاهتمام بالمسائل العامة بجدية وبعيداً عن التهريج .. وفي أيام التلمذة كان الشباب قد بدأ يخرج من القيود الحزبية .. ويكون لنفسه تفكيره الخاص .. وقليلون من الشباب الذين تحرروا من هذه القيود وكان الدكتور رشوان واحداً منهم .. ومن أجل ذلك ساهم في جميع حركات الطلاب التي كانت تهدف إلى تحرير الوطن من الاحتلال ومقاومة الوزارات التي تساند الاحتلال .. كان دائماً يقتحم كل ميدان معركة ويقف إلى جانب الحق ..

ومن أبرز الحركات التي شارك فيها وتزعمها وخطط لها معنا هي معركة تحقيق استقلال الجامعات بعد أن كان وزير المعارف وقتئذ حلمي عيسى – باشا – قد أصدر قراراً بنقل الدكتور طه حسين من كلية الآداب إلى الوزارة بسبب اتصالاته بالطلاب، وتزعم الدكتور رشوان معنا الثورة ضد تدخل السلطة في استقلال الجامعة واستمرت الثورة ثلاثة أسابيع في جميع كليات الجامعة وبقيادة كلية الطب.

واشترك معنا المرحوم رشوان في حركة الطلاب عام 1935 للتوفيق بين زعماء الأحزاب وهي الحركة التي زينت بتكوين الجبهة الوطنية وتوقيع اتفاقية 1936.

وفي خلال حركة الطلاب كانت تنشب المعارك بين المتظاهرين

ورجال السلطة .. وفي إحدى المظاهرات أصيب على طه عفيفي وكان طالباً بدار العلوم ومن الزعماء برصاصة ولقي مصرعه في الحال .. نقل جثمانه إلى المشرحة بقصر العيني . وأرادت الحكومة أن تقوم بدفنه سراً .. وعلم رشوان فهمي بذلك عن طريق والده الدكتور مصطفى فهمي وكيل قصر العيني .. أبلغنا بنية الحكومة .. واشتركنا أنا وهو والدكتور عبد اللطيف جوهر ومحمد بلال في تهريب الجثمان من المشرحة .. كسر الدكتور جوهر قفل باب المشرحة ونقلنا الجثة إلى أحد المدرجات .. واكتشفت الحكومة السرقة .. حاصروا المبنى كله في محاولة للعثور على الجثة، ولما يئسوا اتصلوا بالدكتور علي – باشا – إبراهيم الذي أدرك أن لنا صلة باختفاء الجثة، وتم الاتفاق على أن تشيع الجثمان في موكب شعبي .. وخضعت الحكومة ..

وبصمت الدكتور طراف ويعود للحديث بصوت مليء بالتأثر فيقول:

- كان رحمة الله عليه الدكتور رشوان غير مؤمن بالأحزاب .. كان يعمل بوحي من ضميره ولذلك لم يحدث أن أعتقل مرة واحدة عندما كان يتم القبض على الطلاب المنتمين للأحزاب .. وعندما تخرج في كلية الطب اشتغل بالمسائل العامة في نقابة الأطباء .. ولم يحدث أن رشح نفسه عضواً أو نقيباً وسقط في الانتخابات.

ومن أجل حبه للحرية رفض أن يتزوج أو تكون له عيادة حتى لا يكون مضطراً إلى أي نوع من القيود .. وكنا عندما نسأله عن سر عدم زواجه يضحك ويقول:

- الزواج مبخلة ومجبنة ..

وكان يعني أن الزواج يضطر الرجل إلى البخل لتدبير مصروفات العائلة .. ويقوده إلى الجبن حتى لا يصيب عائلته بأي ضرر ..

وعندما قامت ثورة 23 يوليو كان الدكتور رشوان مدرساً بكلية طب الإسكندرية.. وشعر أن الثورة فيها الخلاص للبلاد من الفساد والطغيان .. وسارع يوم 23 يوليو بإرسال برقية باسم أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإسكندرية يؤيد الثورة .. وكانت أول برقية تأييد للثورة .. واستمر رشوان يؤيد الثورة في كل خطواتها .. وفي الستينات وبعد حرب اليمن اكتشف أن عبد الناصر يلعب بالحريات .. وكان هو يقدس الحريات ..

وبدأ يهاجم عبد الناصر وتصرفاته في مجالسه .. وكان يصل إلى أسماع عبد الناصر ما يقوله رشوان .. ولم يتخذ ضده أي إجراء إلا بعد أن نقل إليه المرحوم الدكتور النبوي المهندس والدكتور حسين كمال بهاء الدين طبيب الأطفال الذي جعله علي صبري أميناً للشباب في الاتحاد الاشتراكي، أنه هاجمه في خطاب له بنادي الجزيرة أثناء احتفال للأطباء .. أبلغاه أن رشوان رد على هجومه على القصر العيني وإدارته وبمقارنته بنجاح قناة السويس .. بأن الذين يهاجمون القصر العيني ويقارنونه بقناة السويس دليل على فشلهم .. ولو أعطوا إمكانيات قناة السويس للقصر العيني وأعطوا إمكانيات القصر العيني لقناة السويس .. لأصبح القصر العيني مستشفى عالمياً ولأغلقت قناة السويس.

وكانت هذه هي "القشة" التي قصمت ظهر البعير .. كما يقول المثل .. فقد كان عبد الناصر قد امتلأ بالحقد على رشوان فهمي .. كان هو النقيب الوحيد الذي يعارضه ويجادله .. كانت له مواقف عديدة ضد سياسة عبد الناصر بدأت منذ مناقشة الميثاق الوطني في سنة 1962.

أراد عبد الناصر أن يجمع شعبية ضخمة .. جعل أعوانه يقترحون أن تضم النقابات المهنية كل الذين يعملون في المهنة .. أن يدخل نقابة الأطباء الممرضون والممرضات والتمورجية .. وأن يدخل نقابة الصحفيين باعة الصحف وعمال المطابع .. وأن يدخل نقابة المحامين ووكلاؤهم وكتبة المحامين .. وقف رشوان يهاجم هذا الاتجاه بشدة في اجتماع دعا إلى عقده يوم 24 يونيو سنة 1962 وحضره نقباء وأعضاء النقابات المهنية وهاجم إعطاء السلطات للحاكم .. ومن كلماته في هذا الاجتماع ما قاله نصاً:

البلد ليست ملكاً للحكام فقط .. بل للحكام والمحكومين .. وعلى المحكومين مسئولية أكثر من الحكام .. مسئولية الشعب عامة هي تثبيت نظام كامل لا لأشخاص الحكام فقط .. وقد قال عبد الناصر أن السلطات التي في يده كحاكم لم تجمع في يد حاكم من قبله وليس من السهل على الحاكم أن يتنازل عن سلطاته للشعب.. لابد للشعب بأكمله العامل والفلاح وهم الذين يكونون القاعدة الشعبية والجنود الذين قاموا بثورة 52 والمتعلمين والمثقفين والرأسمالية الوطنية أن تحمي مكاسب الثورة..

وعند تطبيق الاشتراكية لابد أن نبدأ بالحريات وضماناتها

حتى يتمكن الفرد من أن يتكلم ويشعر بالاطمئنان.. في الوضع الحاضر من حق وزير الداخلية الاعتقال .. ومن حق الحاكم أن يحيل إلى المعاش أو يفصل أو يعين .. كل ما أريد أن أقوله هنا أنني كطبيب أريد أن أتكلم بحرية وأذهب إلى بيتي دون أن يطلبني وزير الداخلية .. لا مانع من أن يكون القانون في غاية القسوة فمن يعمل خطأ يوقع عليه الجزاء .. يجب أن يتوافر العدل للشعب كله .. أن قضاءنا قبل الثورة وبعدها يعتبر أحسن القضاء ففي عصور الاستبداد كانت تصدر أحكاماً من القضاء تختلف مع رأي القصر.

وكانت هذه الكلمة سبباً في أن يضع عبد الناصر عينه على الدكتور رشوان.. أراد أن يتخلص منه في عام 1962 .. ولكن وجد الكثيرين يعارضونه .. عارضه البغدادي وكمال حسين وحسن إبراهيم والدكتور طراف ..

مرت ثلاث سنوات .. ولم ينس عبد الناصر كراهيته للدكتور رشوان .. وكان الدكتور رشوان بدأ يستعد لدخول الانتخابات نقيباً للأطباء للمرة الثالثة في عام 1965 .. وعلم بذلك عبد الناصر .. طلب من عبد الحكيم عامر أن يرشح الفريق الدكتور رفاعي كامل نفسه ضد الدكتور رشوان وإرغام جميع أطباء الجيش على انتخابه .. وعقد اجتماع تمهيدي لمعرفة رأي أطباء الجيش .. وفوجئوا بأنهم مصرون على انتخاب الدكتور رشوان إلا إذا نزلت إليهم تكليفات رسمية بانتخاب الدكتور رفاعي كامل ..

ويقول حسن إبراهيم:

كنت في ذلك الوقت أميناً للاتحاد الاشتراكي في الإسكندرية وتربطني بالدكتور رشوان صداقة وطيدة منذ قيام الثورة .. عرفني به الزميل العزيز عبد الرءوف نافع وكان عبد الرءوف قد تعرف برشوان أثناء عمليات الفدائيين في منطقة القناة عام 1951. ووجدت في رشوان الشخص الوطني السليم الوطنية .. الصريح إلى أبعد حدود الصراحة .. قادر على الحركة السياسية .. محبوب من الجميع .. يجمع صفات السياسي الشريف المحب لوطنه .. وفكرت في عام 1964 أن أرشحه أميناً للاتحاد الاشتراكي بالإسكندرية .. وحملت ترشيحي وذهبت إلى جمال عبد الناصر .. ورفض جمال ..

قلت له:
- إذا كنت عايز فاعلية للاتحاد الاشتراكي فإن أصلح واحد هو رشوان .. فهو قادر على الكلام وعلى الإقناع السياسي.
فقال جمال:
- ده مغرور وليست لديه أي خبرة عملية:
ولم أعلم سر كراهية عبد الناصر للدكتور رشوان حتى في الخمسينيات.. فقد رشحه جمال سالم ليكون نائباً لوزير الصحة .. ورفض جمال .. وأثناء إعادة تشكيل لجنة الاتحاد القومي بالإسكندرية عام 1957 بعد الهجوم على الليثي عبد الناصر وتكاثر الإشاعات حوله وكان أميناً للاتحاد القوم .. استعنت برشوان في تشكيل اللجنة مع عبد الرءوف وأمليت أسماءها لعبد الناصر .. وتظاهر بالموافقة ثم فوجئت به يعلن أسماء أخرى رشحها شقيقه.
وفي سنة 1965 كنت حاضراً اجتماعاً لعبد الناصر حضره أمناء الاتحاد الإشتراكي في المحافظات والمحافظون .. وأحسست أن عبد الناصر وعبد الحكيم لهما اتجاه عنيف ضد ترشيح رشوان نقيباً للأطباء .. وأن الإثنين يريدان إسقاطه بكل الوسائل .. وذهبت إليه وحاولت مع جمال سالم إقناعه بالانسحاب حتى لا يتعرض للهزيمة .. ولكنه أصر وقال متحدياً:
- سأنجح إلا إذا منعوا ترشيحي بشطبي من الاتحاد الاشتراكي.
وفعلاً نجح رشوان فهمي في تلك السنة .. وأثار نجاحه استياء عبد الناصر .. وكان رشوان يشعر بما يحاول أن يدبره له عبد الناصر .. ولكن ذلك لم يرهبه أو يجعله بقفل فمه أو بفتحه بالنفاق للحاكم.
وفي الاحتفال بالعيد الرابع عشر للثورة .. يوم23 يوليو سنة 1966 ألقى رشوان كلمة في احتفال حضره الدكتور النبوي المهندس كمندوب عن عبد الناصر .. وتضمنت الكلمة غمزات لانفراد عبد الناصر بالحكم وتغريره بالشعب .. قال في خطابه:
((نحن نؤمن أنه منا لواجب على كل مواطن أن يتقدم ليأخذ مكانه في صفوف العمل الإيجابي .. فهذا الوطن ملك لكل فرد والثورة ملك لجميع الشعب ومن واجبنا نحن الذين هيأت لهم

الظروف العلم والمعرفة أن نتقدم للقيادات الفكرية .. فثورتنا علمية .. والبلد في حاجة لكل فكر ثوري متعلم ينير طريق الثورة بعلمه وثوريته ومعرفته .. فلننظر إلى ماضينا .. إلى ما قبل الثورة لنأخذ منه عبرة فنعمل حتى لا تنتكس الثورة ونعود إلى ما كنا فيه من حكم فاسد وصل فساد الملك الحاكم فيه حتى كان المستغلين .. فانتقل فساد الحاكم إلى جميع أجهزة الحكم من رشوة ومحسوبية وتنعم للخاصة وإذلال وحرمان للعامة من أفراد الشعب. أن الشعوب قد تخدع إلى حين ولكن لا يمكن خداع الشعوب بصفة الدوام، والشعوب لا يمكن أن تخضع للظلم بصفة دائمة أيضاً .. وأن الشعب إذا سالم مغلوب على أمره إلى حين فلن يستسلم للظلم أبداً بصفة دائمة .. فكلما ازداد ظلم الحاكم قربت نهاية حكمه ولنا من تاريخنا العربي المعاصر أمثلة وعبر ..

ولا شك أن الخطاب أثار عبد الناصر .. ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً .. الحديث جعله رشوان موجهاً عن حكم الفساد في الماضي .. ولكن سياقه وما تضمنه كان يشير بوضوح إلى ما وصلت إليه البلاد من فساد في ظل مراكز القوى التي يحميها الحاكم.

وتربص له عبد الناصر .. حتى جاءته كلمات رشوان فهمي في نادي الجزيرة مهاجماً تهجمه على القصر العيني .. واعتبر عبد الناصر أن هذا سبباً كافياً لفصله من وظيفته ومن عضوية الاتحاد الاشتراكي حتى يطرد من منصبه كنقيب للأطباء فقد كان يشترط لمن يشغل منصب عضو مجلس أو نقيب نقابة عضوية الاتحاد الاشتراكي.. وفرض الحارسة عليه .. ونفس الإجراءات اتخذها عبد الناصر في نفس اليوم ضد الدكتور عثمان وهبي لأنه تجرأ بعد سماعه هجوم رشوان على تهجم عبد الناصر على القصر العيني وساد الوجوم الحاضرين في الحفل أن صفق تأييداً له وصاح بأعلى صوته في الحاضرين قائلاً:

- ما تصفقوا يا جبناء.

وفيما يلي نص قرار اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي رقم 48 لسنة 1966 بفصل الدكتور رشوان:

بعد الاطلاع على القانون الأساسي للاتحاد الاشتراكي العربي وعلى قرار اللجنة التنفيذية العليا رقم 6 لسنة 1964 بشأن إصدار لائحة الإجراءات النظامية للاتحاد الاشتراكي العربي.

تقرر.

مادة (1): يفصل السيد الدكتور رشوان فهمي مصطفى عضو لجنة الاتحاد الاشتراكي العربي بوحدة هيئة تدريس ومعيدي ومدرسي كلية الطب بجامعة الإسكندرية من العضوية العاملة للاتحاد الاشتراكي العربي ومن كافة تنظيماته.

مادة (2): ينشر هذا القرار ويعمل به من تاريخ نشره.

جمال عبد الناصر

وكان ذلك يوم 21 أغسطس سنة 1966.. وفي نفس اليوم أصدر عبد الناصر بصفته الأولى كرئيس للجمهورية قرار فصل الدكتور رشوان والدكتور عثمان وهبي وهذا نصه:

قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة رقم 3306 لسنة 1966

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور

وعلى القانون رقم 184 لسنة 1958 في شأن تنظيم الجامعات في الجمهورية العربية المتحدة.

وعلى القانون رقم 26 لسنة 1964 في شأن تنظيم العاملين المدنيين بالدولة قرر:

المادة الأولى: يفصل من الخدمة كل من السيدين الدكتور رشوان فهمي الأستاذ بكلية الطب جامعة الإسكندرية والدكتور عثمان وهبي الأستاذ المساعد بكلية الطب بجامعة القاهرة مع حفظ حقهما في المعاش أو المكافأة.

المادة الثانية: ينشر هاذ القرار في الجريدة الرسمية.

صدر برئاسة الجمهورية في 5 جمادي الأولى سنة 1386-21 أغسطس سنة 1966.

جمال عبد الناصر

وفي نفس اليوم أيضاً أصدر جمال عبد الناصر قراراً بفرض الحراسة عليه وأفراد عائلته كما فرض الحراسة على الدكتور عثمان وهبي وعائلته.

ولم يقتصر الأمر عند ذلك .. بل أصدر عبد الناصر أوامره أن يعقد مجلس الأطباء اجتماعاً عاجلاً لفصل الدكتور رشوان .. واستجاب أعضاء المجلس في الحال لرغبة الحاكم .. لم يقف واحد منهم يدافع عن زميله رشوان فهمي .. وعقد المجلس اجتماعاً

مساء يوم الثلاثاء 23 أغسطس .. أي بعد قرارات عب الناصر بيومين .. وأصدر المجلس بياناً بفصل الدكتور رشوان وتأييداً للحاكم وفيما يلي نص البيان ..

أن مجلس نقابة الأطباء إيماناً منه باستمرار ثورتنا الاشتراكية ولثقته التامة في قيادة السيد الرئيس جمال عبد الناصر وحكمته.

وبعد الاطلاع على قرار اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي رقم 48 لسنة 66 والذي ينص في مادته الأولى على ما يأتي:

((فصل السيد الدكتور رشوان فهمي عضو لجنة الاتحاد الاشتراكي العربي بوحدة هيئة التدريس ومعيدي ومدرسي كلية الطب بجامعة الإسكندرية من العضوية العاملة للاتحاد الاشتراكي العربي ولجانه وتنظيماته)).

وتنفيذاً لنص المادة 43 من القانون رقم 62 لسنة 1949 الخاص بإنشاء نقابات واتحاد نقابات المهن الطبية والخاصة بفقدان شرط من شروط العضوية لمجلس النقابة.

يقرر المجلس بالإجماع ممثلاً لجميع الأطباء في الجمهورية العربية المتحدة ما يأتي:

أولاً- تأييد اللجنة التنفيذية العليا تأييداً كاملاً في قرارها سالف الذكر.

ثانياً- استنكار تصرفات السيد الدكتور رشوان فهمي الفردية دون أن يرجع فيها إلى مجلس النقابة والتي أدت إلى صدور هذا القرار.

ثالثاً – فصل السيد الدكتور رشوان فهمي مصطفى من عضوية مجلس النقابة ومن منصب النقيب طبقاً للمادة 43 من القانون رقم 62 لسنة 1949 .

رابعاً – تنفيذاً للمادة 44 من القانون رقم 62 لسنة 1949 والخاصة بشغل منصب النقيب عند خلوه بحل السيد الدكتور حليم قلدس جريس وكيل مجلس النقابة لشغل منصب النقيب إلى أن تنتخب الجمعية العمومية العادية القادمة خلفاً له. ونظراً لتغيب السيد الدكتور حليم قلدس جريس لسفره خارج القطر فقد انتخب مجلس النقابة السيد الدكتور أبولس بولس لشغل منصب النقيب لحين عودة سيادته ..

خامساً – يحل السيد الدكتور محمد السيد عمر الحائز على

أكثر الأصوات بعد السادة الأعضاء الذين تم انتخابهم في الانتخابات الأخيرة في المحل الذي خلا في مجلس النقابة وذلك حتى إجراء الانتخابات القادمة لمجلس النقابة.

واختتمت الجلسة حيث كانت الساعة الحادية عشرة مساء . صدر بنقابة الأطباء بدار الحكمة يوم الثلاثاء 23 أغسطس 1966 الساعة الحادية عشرة مساء.

توقيعات

دكتور أبولس بولس – دكتور أنور الأتربي – دكتور محمد عبد الوهاب شكري – دكتور عبد الوهاب البرلسي – دكتورة نعم منصور مهران – دكتور إبراهيم الشربيني – دكتورة حنان الغوابي – دكتور أحمد البنهاوي – دكتور أرمانيوس تادرس – الدكتور إبراهيم عبود (السكرتير العام).

ويضحك الدكتور نور الدين طراف من قلبه وهو يتذكر ما رواه له الدكتور رشوان عندما حضر إليه مندوب الحراسة لحصر ممتلكاته هو وأفراد عائلته تمهيداً لوضعهم تحت الحراسة..

سأله مندوب الحارسة:

- عندك عيلة؟

وأجاب رشوان:

- لأ .. أنا لوحدي وغير متزوج وليس لي أولاد طبعاً.

وسأله:

- عندك عزبة؟

فأجاب:

- لأ ..

وسأله:

- عندك عمارة؟

فأجاب:

- لأ..

وسأله:

- عندك عربية؟

فأجاب:
- لأ..
وسأله:
- ندك عيادة؟
فأجاب:
- لأ .. وأضاف ما هو أنا طبيب عيون حقيقي ولكن لا أملك شيئاً يبدأ بحرف العين..
وسأله:
- عندك حسابات في البنوك؟
فأجاب:
- أيوه .. حساب مدين بمبلغ مائة جنيه سلفة من بنك مصر فرع طلعت حرب بالإسكندرية بضمان مرتبي.

وضرب مندوب الحارسة كفاً بكف وتساءل:
- أمال حاطينك تحت الحراسة ليه!!

وتقبل الدكتور رشوان قرارات عبد الناصر بنفس راضية .. كان واثقاً أن دولة الظلم لن تستمر .. واعتقد جميع عارفيه أنه يمر بضائقة مالية نتيجة فرض الحراسة عليه وفصله .. وكانوا يعلمون عنه اعتزازه بكرامته .. عرضوا عليه افتتاح عيادة .. رفض حتى لا تقيد حريته مواعيد العيادة .. اجتمع أصدقاؤه البغدادي وحسن إبراهيم والدكتور نور الدين طراف وعبد الرءوف نافع وقرروا أن يرسلوا له راتباً شهرياً .. وبعثوا إليه بمظروف فيه أول مرتب .. وأعاده لهم .. ثم اتصل بكل منهم وشتمه.

شيء واحد جعله يقتنع بافتتاح عيادة .. لاحظ كل صباح وجود مظاريف ملقاه من (عتبة) باب مسكنه إلى الداخل .. وكان يفتح المظاريف ويجدها تحتوي على مبالغ من النقود .. وتحركت مشاعره عندما وجد أن أغلب المظاريف تضم مبالغ زهيدة مما يدل على أن الذي بعثها إما طالب من طلابه أو فراش أو تومرجي .. واضطر أن يخضع لعرض زملائه بافتتاح عيادة حتى يقتنع بسطاء الحالة .. من محبيه أنه في سعة من العيش ويدخرون لأنفسهم ما يقدمونه إليه.

وعاش رشوان فهمي الأزمة وهو مرفوع الراس .. لم يحنيها

للحاكم أبداً .. وجاءه بعض زملائه فرحين ليبلغوه أن عبد الناصر أبدى استعداده لرفع الحراسة عنه ومنحه معاشاً استثنائياً وإعادته لوظيفته لو اعتذر له .. ورفض رشوان أن يقدم الاعتذار .. قال لهم مؤنباً تصرفهم في التوسط له لدى الحاكم .. وقال ساخراً عن المعاش الاستثنائي .. هو بيدفع من جيبه أو دي أمواله ((... أنا لا أستحق سوى معاشي العادي .. وكان صافي المعاش الذي تقرر له ثمانية وأربعين جنيهاً وثلاثمائة مليم .. وكانت لديه التزامات شهرية كإيجار الشقة وأجرة الشغال واستهلاك الكهرباء والتليفون أربعون جنيهاً ولا يتبقى معه سوى ثمانية جنيهات ..

ورغم ذلك لم ينحن للحاكم ..

وحدث أن أثار أطباء مستشفى المواساة موضوع الدكتور رشوان أمام عبد الناصر أثناء زيارته لشقيقه المريض بها.

وأبدى عبد الناصر استعداده لإعادته إلى عمله لو تقدم بطلب بذلك.

ويقول الدكتور طراف أن محمد أحمد سكرتير عبد الناصر ذهب إلى رشوان يحمل له البشرى .. وفوجئ به يسأله:

- هل عبد الناصر فصلني بناء على طلب تقدمت به حتى أتقدم له بطلب لإعادتي .. أنه يريد إذلالي .. ولن أحني له رأسي أبداً.

ومرت الشهور .. وحدثت النكسة .. وقال لي حسن إبراهيم أن رشوان أسماها وكسة .. وكان رأيه الذي يجاهر به في كل مكان أن مسئولية الوكسة .. وكان رأيه الذي يجاهر به في كل مكان أن مسئولية الوكسة .. تقع على عبد الناصر .. أنه المسئول الأول عن حدوثها لأنه ترك الدنيا بدون إدارة .. قيد الحريات .. فتح المعتقلات .. وإذا كانت الناس لا تشعر بالمن .. وتعيش في الخوف فإنها لا تستطيع أن تحارب .. فاليد المرتعشة لا تستطيع أن تحمل السلاح ..

ويروي الدكتور طراف عن مواقف رشوان فهمي موقفاً يدل على مدى تمسكه بالمبادئ. قال:

- رغم موقف عبد الناصر من رشوان إلا أنه رفض التآمر عليه.. وعندما كان شمس بدران يتصل بالناس ليجمعهم للمشير ..

اتصل برشوان وقابله .. بدأ يحدثه عن رغبة المشير في أن تعود الحريات للبلاد وأن يتم حكمها بطريقة ديمقراطية .. وأنه يريد منه أن يجتمع بالمشير من أجل ذلك ..

وسخر منه رشوان قائلاً:

- اسمع يا شمس هو أنتم كده .. ما تعرفوش الحرية إلا بعد أن تطلعوا بره السلطة..

ويضيف حسن إبراهيم إلى هذه الرواية جانباً آخر فهو يقول:

- كان رشوان له فلسفة خاصة في معرفته بالأشخاص .. فهو يعرف شخصاً كصديق يخدمه .. ولكن في نفس الوقت يكون غير مقتنع به في مجال آخر خلاف الصداقة .. وقد كان صديقاً لشمس بدران ورغم صداقته له كان يصارحه القول دائماً بأنه غير كفء ليكون وزيراً للحربية .. هاجم تصرفاته عندما قام رجال المباحث الجنائية تحت إشرافه باعتقال آلاف الوطنيين وتعذيبهم .. ولذلك عندما جاء شمس يعرض عليه الانضمام إلى المشير بعد النكسة رفض وقال له:

أنا أولاً لست متآمراً .. وثانياً أنا غير مقتنع بكم كأشخاص .. وإذا كان عبد الناصر له مساوئ .. فأنتم أيضاً لكم أضعاف مساوئه ..

وهكذا كان دائماً رشوان فهمي .. لا يتآمر على عدوه إذا شعر أن في ذلك افتراء عليه .. ولا يقبل أن يفوز بشيء لا يستحقه ..

ويروي الدكتور نور الدين طراف عن الدكتور رشوان هذه القصة:

وزع مجلس كلية الطب بالإسكندرية وظائف التدريس على الأقسام المختلفة وفقاً لاحتياجات كل قسم لا وفقاً لأقدمية المشتغلين فيها .. وكان الدكتور رشوان مدرساً في قسم الرمد .. وفوجئ أنه سيرقى إلى وظيفة أستاذ مساعد بدون أحقية إلا لأنه يشاع عنه علاقته بقادة الثورة .. وكان ذلك في شهر مايو سنة 1956 .. ولم يعجبه ذلك التصرف فبعث بخطاب إلى رئيسه المباشر رئيس قسم الرمد متضمناً مذكرة طالباً رفعها لمدير الجامعة..

وبين أوراق الدكتور رشوان عثرت على صورة هذه المذكرة وفيما يلي نصها:

أن المدرسين يشعرون كما أشعر، ولهم العذر، أن توزيع

وظيفتي الأستاذين المساعدين على قسمي الرمد والبكتريولوجي بالذات -كان وفقاً لاحتياجات الأقسام وليس وفقاً لأقدمية المشتغلين بها – قد تم لصالح اثنين لهما صلة بذوي السلطة في الوقت الحاضر أنا أحدهما .. مما يسيء لسمعة الجامعة ومما يسيء لسمعة الحكم والقائمين بالحكم منه براء ومما يشعرني دون ذنب بالحرج ومما يثير روح التذمر بين المدرسين ولهم في ذلك العذر.

فإنه إذا اتخذت الإجراءات المتبعة عادة لشغل وظيفتي الأستاذين المساعدين الموزعتين على قسمي الرمد والبكتريولوجي، لترتب على ذلك:

أولاً: تعييني في وظيفة أستاذ مساعد بقسم الرمد وفي هذا ترقية لي وترتيبي الثاني في أقدمية المدرسين .. أي أنني أتخطى الأول .. مع أن صلتي برجال الحكم الحاضر الذين ثاروا على الفساد والتي أفخر بها قائمة على ثقة متبادلة تحتم على أن أكون أميناً على هذه الثقة حريصاً على إبعاد أية شبهة عنهم لا أن أخون هذه الثقة بقبول الترقية متخطياً زميلاً أقدم مني لأنه ليس له صلة بذوي النفوذ، مهما كان إغراء المنصب أو المكسب المادي فإن المبادئ عند من يعتنقها أعز من كل إغراء في الحياة.

كما أن احترامي لنفسي كعضو في هيئة التدريس بالجامعة أول واجباته تلقين الأخلاق للنشء – وما أؤمن به من مثل يحتم على أن أترفع عن قبولي لنفس سنة 1956 وضع يخالف عقيدتي التي ثرت لها عام 1951 مع ما التمس من مبررات وحملات حينذاك لتخطي صاحب الحق حتى رد الحق إليه.

ثانياً: ترقية الزميلة الدكتورة عايدة اللقاني إلى وظيفة أستاذ مساعد بقسم البكتريولوجي وترتيبها الثالثة عشر في أقدمية المدرسين وليس ذلك إلا لأنها حرم الدكتور عبده سلام عضو مجلس الخدمات.

واستجابت الجامعة لرأي الدكتور رشوان وعدلت عن التلاعب في الترقيات بعد أن كانت تعتقد أنها تقوم بها تقرباً منها للسلطات.

ويصمت الدكتور طراف بعد رواية القصة ويقول:

- هكذا كان رشوان دائماً .. تصرفاته تدل على إيمان حقيقي بالحق والحرية .. ومن أجل ذلك تعرض للكثير ..

ومات الحاكم .. وتولى السادات الحكم .. ولم يبعث رشوان

بأي تأييد له اعتقاداً أن حكم السادات امتداد لحكم عبد الناصر وخاصة أنه أبقى على مراكز القوى التي كانت تحيط بعبد الناصر .. ثم قام السادات بثورة التصحيح في 15 مايو سنة 1971 .. وتأكد لرشوان أن السادات صادق في إعادة الحريات .. صادق في إصلاح الفساد .. وليس أدل على ذلك من إطاحته برؤوس الفساد .. وسارع رشوان فهمي وبعث ببرقية إلى السادات يوم 16 مايو هذا نصها:

السيد أنور السادات

رئيس الجمهورية – القاهرة

أنقل إلى سيادتكم مشاعر جماهير الأطباء وجماهير أساتذة الجامعة التي تريد سيادتك واحداً في شعب من الأحرار لا قائداً على شبع من الخائفين بالقضاء على أسباب الخوف التي سلطت على الشعب. فالشعب الخائف لا ينتج ولا يحارب وشعب مصر كان خائفاً ولم ولن يكون جباناً نتيجة الإرهاب الفكري، والشعب يؤيد كل خطوة تعمق بها سيادتك الحرية السياسية والحرية الاجتماعية وتؤكد سيادة القانون واستقلال القضاء ورد الاعتبار الذي كنا وما زلنا نفخر به، في ظل دستور دائم يسوى القانون فيه بين الحاكم والمحكوم فلا يسيطر على حريته غير الحق والعدل. نريد شعباً قوياً يساند الحاكم لا شعباً ضعيفاً يستند إلى الحاكم والله يوفقكم لما فيه ضمان حرية المواطن التي هي أساس حرية الوطن والله ولي التوفيق..

وانتظر الدكتور رشوان فترة من الزمن .. كان يريد أن يشارك عن طريق الاتحاد الاشتراكي الذي فصل منه في تأييد ثورة السادات على الفساد .. وأرسل برقية إلى السادات يوم 9 يونيو سنة 1971 هذا نصها:

السد أنور السادات

رئيس الجمهورية ورئيس الاتحاد الاشتراكي العربي – القاهرة

أطلب من سيادتكم التكرم بالأمر بإعادة قيدي في الاتحاد الاشتراكي الجاري إعادة بنائه إذ أنه كان قد رفع اسمي من الاتحاد بأمر الأمين العام حينئذ السيد علي صبري وقد عزمت على ترشيح نفسي لمنصب نقيب أطباء الجمهورية مع التكرم بالأمر بإخطار اللجنة المؤقتة لنقابة الأطباء..

وبعد أسبوع بعث أعضاء هيئة التدريس والمعيدين والأطباء العاملين بكلية طب الإسكندرية والمستشفيات الجامعية المعهد الطبي بمذكرة للسادات موقعاً عليها من حوالي الـ 500 يلتمسون إعادة قيد الدكتور رشوان عضواً عاملاً بالاتحاد الاشتراكي العربي لثقتهم في إخلاصه ووطنيته ويؤيدون ترشيحه نقيباً للأطباء..

وأعيد قيد الدكتور رشوان في الاتحاد الاشتراكي .. وبدأ السادات تصحيح كل أخطاء الماضي .. ومع كل خطوة اتخذها كان رشوان فهمي يبعث إليه مؤيداً .. أعاد السادات رجال القضاء إلى مناصبهم .. فأرسل إليه برقية تقول سطورها:

قرار سيادتكم الحكيم بإعادة السيد الأستاذ المستشار عادل يوقس رئيساً لمحكمة النقض رد للقضاء قدسيته للدولة احترامها.

وأعاد السادات إلى الجامعة أساتذتها المفصولين .. وكان الدكتور رشوان فهمي واحداً من هؤلاء الأساتذة..

وتوافد المهنئون عليه .. وتلقى آلاف البرقيات والرسائل وفي مقدمتها رسالة من وزير الصحة الدكتور محمود محفوظ نصها:

أرجو أن تتقبلوا خالص تهنئتي ونحن إذ نعتبر عودة سيادتكم إلى منصبكم كسباً للجامعة وللعلم نتمنى لكم دوام التوفيق مع أطيب تحياتي.

ورسالة أخرى من أمين لجنة الاتحاد الاشتراكي بالجامعة الدكتور محمد فخر الدين الصاوي نصها:

يشرف لجنة قسم جامعة الإسكندرية للاتحاد الاشتراكي العربي رجوع الحق إلى نصابه وعودتكم إلى أسرة الجامعة مثلاً طيباً مشرفاً يحتذى به.

وأقيم أكثر من احتفال تكريماً له .. مجلس نقابة أطباء الإسكندرية أقام احتفالاً يوم الجمعة 17 مارس سنة 1972 .. ونادى أطباء كلية الطب أقام احتفالاً في يوم الجمعة التالي 24 مارس .. وفي الاحتفالين تحدث الدكتور رشوان .. وأحدث خطابه في احتفال كلية الطب دوياً هائلاً في مختلف الأوساط .. وفيما يلي نصه:

زملائي.. أبنائي:

اهتزت مشاعري أول مرة خطت فيه قدمي مدخل الكلية بعد حوالي ست سنوات واليوم وأنا ألتقي بأسرتي أساتذة وأعضاء هيئة

التدريس وأطباء وطلبة الكلية ازداد اهتزاز إحساسي بين شعور بالزهو والفخر دون الغرور، والرهبة دون الخوف.

الفخر لأن قرار جامعة الإسكندرية بعودة أستاذ رأت من حقها أن يعود، قد ردت للأستاذية اعتبارها وللجامعة قدسيتها وللدولة احترامها.

وشعور بالرهبة والقلق دون الخوف، الرهبة من المسئولية الضخمة التي تتحملونها ويسرني بل ويشرفني أن أشارككم في تحملها بعد أن قبلتموني عضواً مرة أخرى في أسرة الجامعة.

رهبة التدريس سوف أتعود عليها. ورهبة شديدة أرجو أن أقدر على مشاركتكم فيها في القيام بواجبنا نحو مصر وشعب مصر، خاصة ومصر تمر بأقسى محنة في تاريخها نتيجة أخطاء فادحة وقاتلة ارتكبتها قيادتنا السياسية والعسكرية مرتكزة على ثقة عمياء تسببت في غفلة الشعب عن مراقبة قيادته وتحكمت في أمورنا عقول قصار، والسنة طوال، فتعرض جيشنا لمذبحة 5 يونية سنة 1967 دون أن يحارب، وتعرض الشعب وما زال يتعرض من يومها حتى يفيق ويصحو من المذلة والمهانة.

فإن الشعوب قد تخدع إلى حين ولكن لا يمكن خداع الشعوب بصفة الدوام مهما كانت غفلة الشعوب، ومهما كانت كفاءة الخادعين.

وقد حضرت اليوم وكلي أمل أن يكون هذا الجمع بداية تدارس عن واجب الجامعة أساتذة وطلاباً في طريق مشاركة الشعب والجيش في الخروج من المحنة التي نقاسيها، لا مجرد استقبال لأستاذ عائد، علينا أن نبدأ:

- أن نكون أمناء وصرحاء مع أنفسنا لا ننتظر حتى نسأل، بل نتقدم بما نراه صواباً فمصر ملك للجميع وليست حكراً على ذوي السلطة أمناء وصرحاء مع طلبتنا فهم أصحاب حق فيما يقرر لحاضر ومستقبل هذا الوطن.

- أمناء وصرحاء مع حكامنا ومن تصدروا لقيادة الوطن تنفيذياً وسياسياً، نتدارس في نظام ولكن في صراحة، لا نرهب السلطة ما دمنا على حق، ولا نسعى لإرضاء السلطة بالباطل فالسلطة يجب أن تستمع لصوت الشعب فهي تقرر مصير الشعب.

ونحن أساتذة وطلاب الجامعات جزء من الشعب، وإن كان ليس

من حقنا أن نفرض وصاية ولكن من واجبنا أن نرفض الوصاية على الشعب فعندما استكان الشعب للوصاية كانت نكبة 5 يونية سنة 1967 ولنبدأ بدراسة عيوبنا التي تسببت لما نحن فيه، وتصححها ولا نسكت عليها ولا نسمح بتكرارها حتى لا تتكرر المأساة.

فلا يجوز للجامعات أن تأخذ دوراً سلبياً وتنظر إلى الطبقة المنتفعة سياسياً والتي تلتف حول كل حاكم..

تدخل في روع الحاكم أنها تحميه من الشعب وتصور للشعب أن تصرفاتها التي تعود عليها بالمنفعة هي إرادة الحاكم التي لا مرد لها وحتى نقطع الطريق على الذين يعيشون في كنف السلطة والذين وصلوا إلى مراكز الصدارة عن طريق الظروف أو الصدفة، فجعلوا من أنفسهم عازلاً بين القيادة العليا والقيادات المختلفة على جميع المستويات، وشوهوا كل حركة وطنية كما دأب من سبقوهم سواء حركة طلابية أو عمالية، فسموها يوماً أمريكية امبريالية صهيونية، ومرة شيوعية روسية، وأخرى صينية وأنها نتيجة تدخل أجنبي فتقضي على أي صوت حر يرتفع بالحق في سبيل بقائها في مراكز السلطة وأخشى أن نتغاضى عما يحدث فيعود تحكم مراكز قوى جديدة، وتتحول المؤسسات إلى مؤسسات تصفق وتوافق وتهتف لكل قرار وأي قرار بالإجماع كما كانت. فيعود الإنسان المصري كما كنا نرى مغلولاً لا يقدر أن يتحرك معقود اللسان لا يقدر أن ينطق ثم نجده من أجل ذلك خائفاً يخشى أن يعمل فيغضب سادته، ويخشى أن يسكت فيسوء به ظن المسيطرين على أمره، وللقضاء على الخوف يجب أن نؤمنه، فنحميه من تكرار سيطرة السلطة المطلقة التي حجبت كل الحريات يوم كانت الأنظمة السياسية بكل أنواعها وتسلسلها تساندها الدولة، ولا تقيم وزناً للحريات وللقيم والأخلاقيات عندما تحكمت في الأرزاق وربطت حرية الكلمة بلقمة العيش عن طريق مباشر بسيطرتها على الوظائف الحكومية والقطاع العام، أو يغر مباشر بتبعية الصحافة للاتحاد الاشتراكي وفصلت رجال القضاء والنيابة وأساتذة الجامعات وكان الحكم على الفرد بقدر نفاقه الذي سمى بالثقة لا بمقدرته التي سميت بالكفاءة وكانت شعار ذوي الثقة.

وأول مخرج لما نحن فيه من مذلة ومهانة هو وضوح الرؤيا أمام الشعب وخروجنا من المعميات والتضليل التي نعيش فيها، أننا

هزمنا لا لأننا كان ينقصنا التكنولوجيا فحسب بل كان ينقصنا الإنسان الحر وحتى لا تتكرر المأساة يجب تحرير الإنسان المصري بوضع ضمانات تكفل له حريته وآدميته في دستور يضعه الشعب لا تفرضه السلطة ولو عن طريق الاستفتاء.

وأول ضمان للحريات هو سيادة القانون على الحكام والمحكومين، وتحقيقاً لسيادة القانون واحترامه، يجب أن يكون القانون خادماً للحرية لا سيفاً مسلطاً عليها. أن استقلال السلطة القضائية وتأكيد الضمانات لأعضائها يعد أهم ضمان لكل أفراد الشعب كذلك يجب البعد بالسلطة القضائية عن التنظيمات السياسية، وتأكيد أن النيابة العامة جزء من السلطة القضائية ويتعين البدء فوراً في إزالة البصمات اللي هزت قدسية القضاء، بإلغاء القرار الجمهوري رقم 83 لسنة 68 وعودة كل المستشارين والقضاة وأعضاء النيابة العامة الذين خرجوا.

هذا القرار الذي صدر سنة 1968 وصور تضليلاً أنه لمصلحة العدالة. وقصد منه في الحقيقة التخلص من رجال القضاء الذين نادوا بسيادة القانون، ورجال القضاء الذين حكموا في قضايا خاصة بالعدل لا حسب أهواء السلطة في ذلك الحين.

وبعد مايو الماضي نشرت الصحف أن رجال القضاء الذين أخرجوا عام 1968 عادوا لمناصبهم وهذا ليس كله صحيحاً فلم يعد الأستاذ محمد ممتاز نصار رئيس نادي القضاة المنتخب وصحبه الذين نادوا بسيادة القانون.

وثاني الضمانات

كفالة حرية الصحافة فعلاً لا قولاً حتى لا ترتبط حرية الرأي بلقمة العيش فتعود للصحافة المصرية مكانتها، ويكون قدر الصحفي بكفاءته لا بقربه من السلطة وقدرته في التضليل.

وثالث الضمانات

احترام الجامعات ودور العلم فلا ينهك احترامها رجال الشرطة وهم إخواننا، ولا يفصل رجال الجامعات سواء كان أستاذاً أو أحدث خريج أو طالب إلا بحكم القانون لا حسب هوى السلطة.

ورابع الضمانات

حماية ضباط الشرطة من الإغراء أو التهديد فضابط الشرطة أول سلطة قانونية يتعامل معها الشعب.

وضمان حرية الانتخابات ..

حتى لا تتكرر نتائج الـ 99.9% وحتى تمثل المؤسسات السياسية إرادة الشعب لا إرادة السلطة.

وخامس الضمانات

ومن أهمها قيام معارضة أو معارضات منظمة فالنظام الذي لا يسمح بالمعارضة يعاقب نفسه بالعمى عن رؤية مواقفه وفقدان الرؤيا يفتح الباب لكل التخبطات ومن ثم كل المغامرات التي تنتهي في الغالب إلى كوارث يدفع ثمنها الشعب.

لمصارحة النفس

يجب أن نتأكد أن وجود إسرائيل يخدم مصالح:

الاستعمار الغربي القديم والجديد والصهيونية العالمية بكل متطلعاتها والشيوعية الدولية بكل أطماعها، ويضرب الحضارة العربية عن طريق إفقارها وابتزاز أموالها عن طريق السلاح، وأحكام ربط اقتصادها باقتصاد من تتعامل معها وكل يسعى لمصلحته في المنطقة وللتغلب على ما وصلنا إليه علينا أ نصلح العيوب التي تنحسر في وطننا قبل أن نعتب على غيرنا فإذا قصرنا ألقينا اللوم على روسيا وإذا تفوقت إسرائيل اتهمنا الصهيونية والامبريالية وأعمانا غرورنا أن العدو والصديق يتسلل من عيوبنا لا من حدودنا.

وأن سياسة مصر يجب أن تكون لمصلحة مصر وشعب مصر في المقام الأول أن سياسة مصر يجب أن تقرر في القاهرة لا في واشنطون حيث يرسلون لنا وساطة ولإسرائيل أسلحة. ولا في موسكو حيث يرسلون لنا أسلحة ولإسرائيل مهاجرين.

ولا في بكين ولا غيرها حيث يرسلون لنا تأييدات حارة واستنكارات لأعمال إسرائيل ويجب أن نفهم إن لم نكن قد فهمنا أن كل دولة تعمل لمصلحتها في المقام الأول وهذا واجب الدولة ولكنني في الوقت نفسه أؤكد لإخواننا الضباط والجنود في قواتنا المسلحة أن الجبهة المدنية تقف معهم لحماية مصر وشعب مصر.

وأعتقد أنه آن الآوان لتكوين تجمع وطني من أساتذة الجامعات وطلبتاه عن طريق اتحاداتهم ومن النقابات المهنية والعمالية وغيرها من التجمعات الشعبية الحقيقية التي تمثل هيئات الشعب وإرادته

يساند الجبهة العسكرية ويجمع شمل الجبهة الداخلية ويؤمن حرية المواطن، فالوطن لا يجد من يدافع عن حريته عندما لا يكون فيه مواطنين أحرار.

وفقنا الله .. وأشكركم ..

آثار الخطاب ضجة لأنه كان أول صوت يرتفع يكشف كل أخطاء الماضي التي لم يتم إصلاحها رغم قيام ثورة التصحيح .. اعتبره البعض نقداً للحكم واعتبره البعض رأياً يجب احترامه .. ولم يحدث للدكتور رشوان أي اضطهاد بعد ذلك الخطاب .. وشعر أنه يعيش عصر الحرية فعلاً ..

وعندما وقعت أحداث الطلاب في يناير سنة 1973 وتم القبض على عدد م الطلاب وأثير الموضوع في مجلس الشعب وتقرر تشكيل لجنة لتقصي الحقائق برئاسة الدكتور السيد على السيد وكيل المجلس .. سارع الدكتور رشوان بإرسال رسالة إليه تحمل دفاعاً عن الحركة الطلابية وتبرئها مما حاولت الأجهزة أن تلصقه بها من اتهامات.

ويقول خطاب الدكتور رشوان ..

تحية واحتراماً لسيادتكم والسيادة أعضاء اللجنة التي نرجو لها جميعاً كل توفيق خاصة نحن الأساتذة والطلاب.

لم يسعدني الحظ بالحضور أمام اللجنة كما كنت أتمنى أنا وكثير من أعضاء هيئات التدريس استكمالاً لتقصي الأسباب الحقيقية للحركة الطلابية.

فإنه من الأمانة أن تصل الحقائق كاملة للسيد رئيس الجمهورية وهو المسئول الأول في الدولة.

وليس من الأمانة إخفاء أية حقائق عن سيادته أو امتصاص الحركة الطلابية أو ضربها حتى تهدأ الأحوال ظاهرياً وتعود الدراسة في جو من التربص .. تربص السلطة بالطلبة وتربص الطلبة بالسلطة وعدم الاستقرار المبني على القناعة والثقة المتبادلة..

وليس من العدل دمغ الحركة الطلابية بالعمالة .. فالحركة الطلابية نتيجة طبيعية بعد مرور خمس سنوات ونصف سنة .. يوم تعرض جيشنا لمذبحة 5 يونية 1967 . دون أن يحارب وتعرض شعبنا وما زال يتعرض للمذلة والمهانة، هي تعبير عن القلق

والتمزق الذي يشعر به جميع أفراد الشعب. فالشعب الذي لا يقلق بعد خمس سنوات شعب ميت لا يستحق الحياة.

وقد آن الآوان لنتدارس جميعاً في محبة وثقة، وأن نكون أمناء مع أنفسنا.

أمناء وصرحاء مع طلبتنا فهم أصحاب حق لما يقرر لحاضر ومستقبل مصر.

أمناء وصرحاء مع حكامنا، نتدارس في نظام ولكن في صراحة.

وعلينا أن نترفع عن تشويه كل حركة وطنية سواء طلابية أو عمالية كما كان يحدث في الماضي. ونوصمها بأنها نتيجة تدخل أجنبي.

أن بعض العناصر قد ينتهز الفرصة ليركب موجة الحركة الطلابية، ولكني واثق من وعي الطلبة ووطنيتهم ونقاء حركتهم. وأن تشويه الحركات الوطنية طلابية وعمالية وضربها أو احتوائها حتى تهدأ الأحوال ظاهرياً في جو من الشك والخوف والترقب.

سيعيد الإنسان المصري كما كان قبل نكبة 5 يونية 1967. مشلولاً لا يقدر أن يتحرك. معقود اللسان، لا يقدر أن ينطق، ولن يستفيد من هذا الخوف إلا العدو لأن الشعب الخائف لا ينتج ولا يحارب.

أن جميع طوائف الشعب ومنهم الطلبة تريد أن تعرف الحقيقة فيما عدا الأسرار العسكرية مهما كانت الحقيقة مؤلمة أو قاسية.

اكتب إلى سيادتك وقلب الشعب يعتصر ألماً لما وصلت إليه حالتنا، لعل يكون فيما اكتبه قبس من النور وسط الظلام ينير طريق الحقيقة. حتى لا تتكرر المأساة، يجب تحرير الإنسان المصري والثقة فيه والاعتماد عليه.. يعبر عن نفسه عن طريق صحافة حرة.. صحافة لا ترتبط فيها حرية الكلمة بلقمة العيش. صحافة تنير الطريق ولا تخدع الشعب وتضلله حتى سئم الشعب والطلبة الخداع والتضليل.

يجب احترام القانون على الحكام والمحكومين، وأن يكون القانون خادماً للحرية لا سيفاً مسلطاً عليها.

يجب احترام دور العلم، فلا ينتهك احترامها رجال الشرطة وهم إخواننا ولا يتخذ إجراء إلا طبقاً للقانون لا حسب هوى السلطة.

يجب احترام دور النقابات المهنية والعمالية والتنظيمات الطلابية.

يجب تأمين رجال الشرطة من الإغراء والتهديد حتى يأخذ رجل الشرطة مكانه اللائق في المجتمع المصري ويكون ولاءه للوطن لا للسلطة ولو كانت على خطأ.

يجب الاستماع إلى مختلف الآراء دون تشكيك أو اتهام بالعمالة. فيوم تقوم الثقة في كل ما ينشر أو يذاع مهما كان قاسياً .. يومها سوف تتحد كلمة الشعب بجميع طوائفه والطلبة في المقدمة تساند قياداتها السياسية عن إيمان مهما كانت التضحية.

وحتى هذا اليوم ستبقى النفوس قلقة.

وستبقى الثقة مزعزعة..

حتى ولو هدأت الحركات الوطنية طلابية أو عمالية بالاستقطاب أو بالقهر .. أن الوطن لا يجد من يدافع عن حريته عندما لا يكون فيه مواطنين أحرار.

والله ولي التوفيق..

دكتور رشوان فهمي
أســـــتاذ بجامعـــــة

الإسكندرية

وكان عميد كلية الطب قد أصدر قرارات بفصل بعض الطلبة الذين اشتركوا في تلك الأحداث وكتب إليه رشوان فهمي الرسالة التالية:

اكتب إلى جمال الدين مسعود الأب الروحي لكل من يعمل في كلية الطب وفي مقدمتهم أبناؤنا الطلبة.

الكل يقدر فيك الحزم وحب النظام ويحترمك لذلك كما أن الكل يأمل بل ويثق أن في قلبك الكبر متسعاً للتسامح مع أبنائك الطلبة حتى من أخطأ منهم بدافع من الحماس والإخلاص في وطنيتهم.

كنا جميعاً طلاباً اشتركنا في حركات طلابية لم تخل بعضها من تصرفات تتسم بحماس الشباب.

وكان أملنا دائماً في أساتذتنا.

واليوم أيضاً أمل الطلبة في أساتذتهم وعميدهم بالتماس مراجعة الأحكام الجامعية التي صدرت ضد بعض الطلاب حتى تكون كليتنا

مثلاً لعفوك عند المقدرة. وبالتماس رعاية المحجوزين تحت التحقيق فكلهم أبناؤنا ولك من كل من يعمل بالكلية كل التقدير والاحترام.

دكتور رشوان فهمي
أستاذ بالكلية

وكانت مصر كلها تعيش تلك الأيام في تمزق .. الدعايات المغرضة تؤكد أننا سنصمت على الهوان واحتلال العدو أراضينا .. والسادات يدبر في صمت لمعركة النصر .. وجاء يوم النصر .. يوم 6 أكتوبر .. ورفع الشعب المصري رأسه عالياً .. وتحقق الأمل .. وأسرع رشوان فهمي بإرسال برقية للسادات نصها:

أؤيدك يا سيادة الرئيس في قرارك الشجاع والذي أعاد لمصر احترامها وللعرب قدرهم وللشعب كرامته وسوف نؤازرك بكل ما أعطانا الله من قوة تحمل مهما كانت التضحيات حتى يتم التحرير كاملاً بفضل إخواننا رجال القوات المسلحة وجميع أفراد الشعب.

وبدأ رشوان بعد ذلك يردد في كل مجلس أنه لو مات في أي لحظة .. فسيموت مرتاحاً .. مطمئناً .. لأن مصر انتصرت .. ولأن مصر وجدت أخيراً من يحكمها بالعدل والقانون .. وأطلق كل الحريات ..

ومات رشوان فهمي فجأة .. وخرج الآلاف يشيعون جثمانه إلى مقره الأخير .. تسبق خطواتهم دموعهم .. وذهب رجل من رجال التاريخ..

في هذا الكتاب